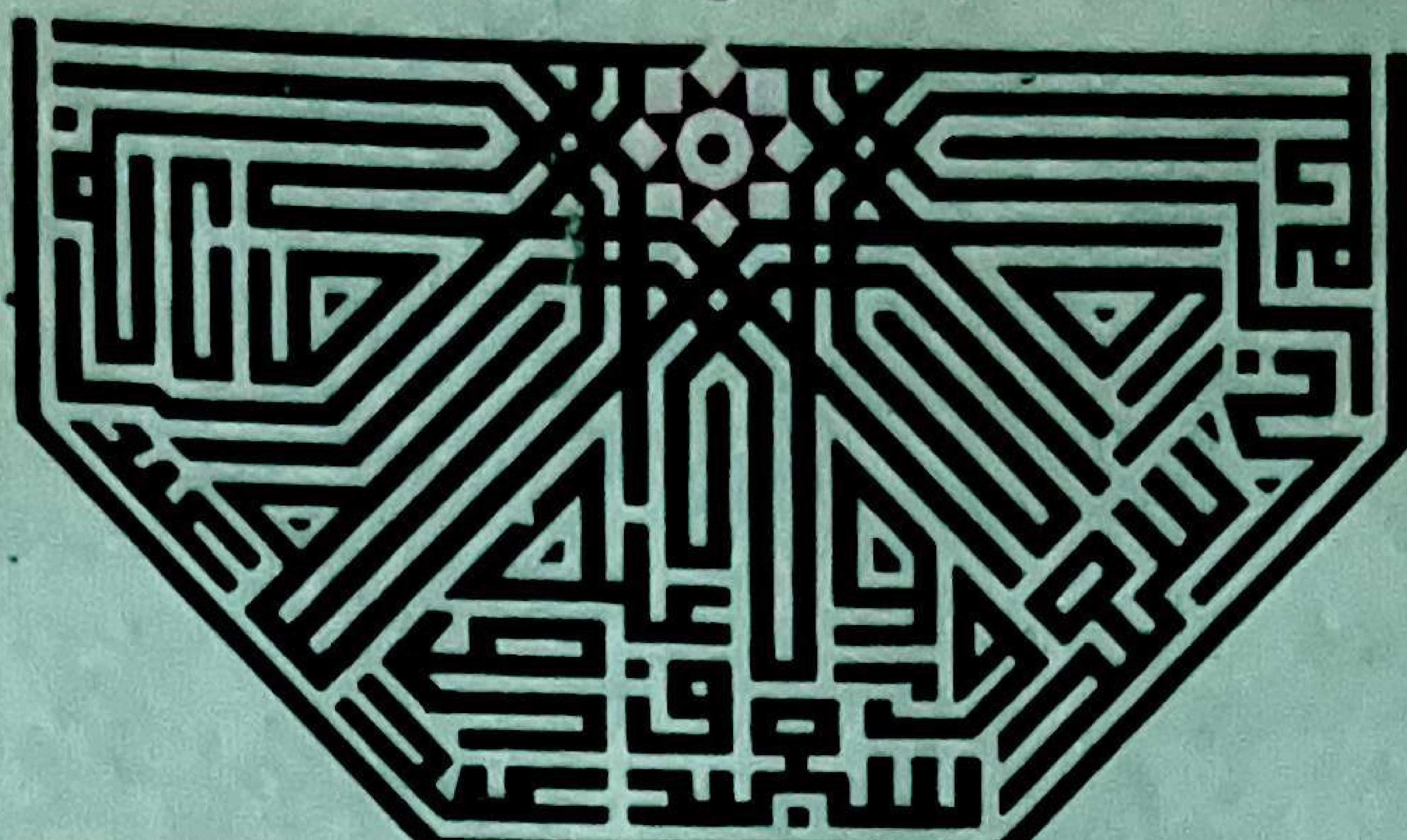
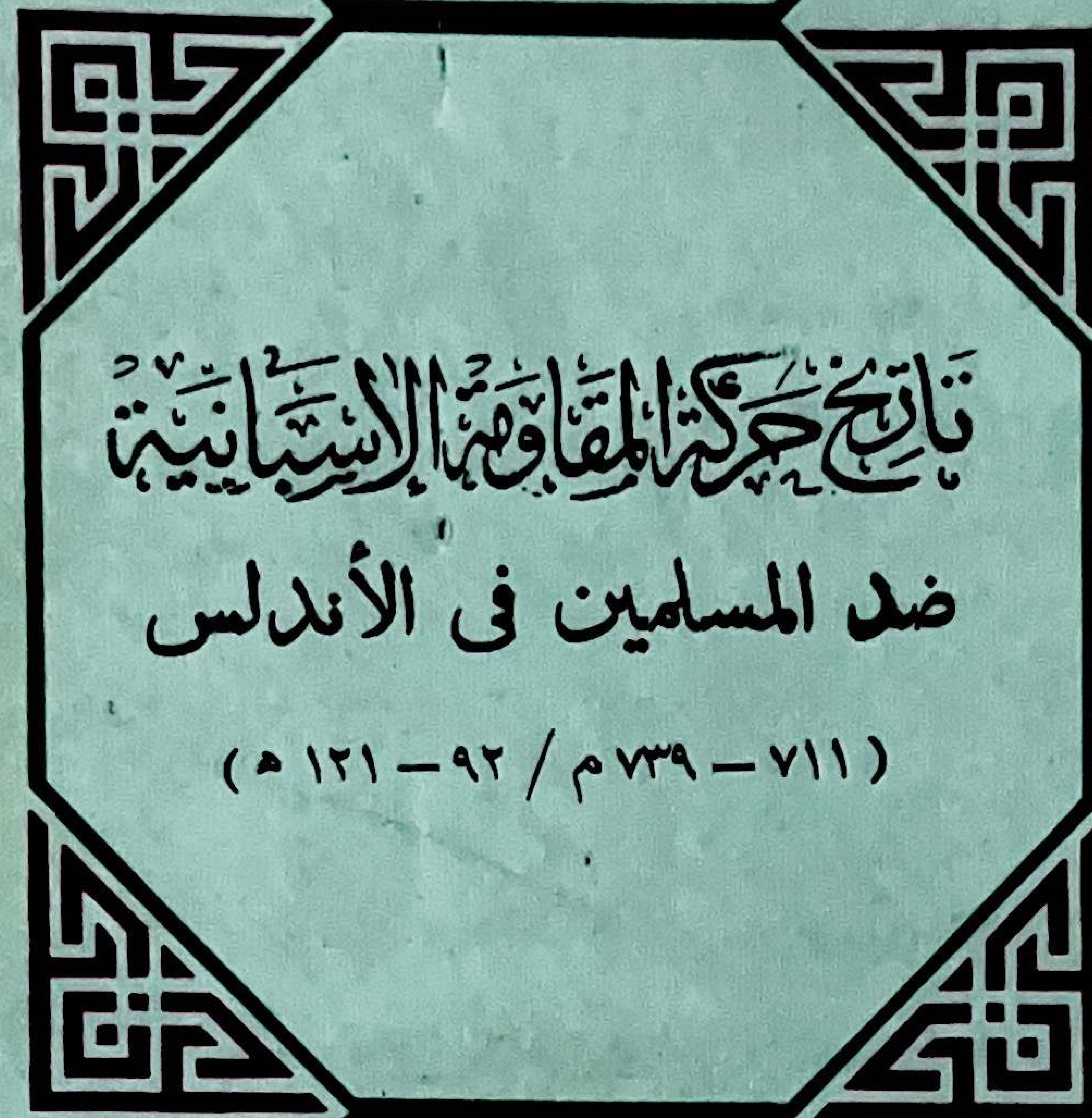
دكتور

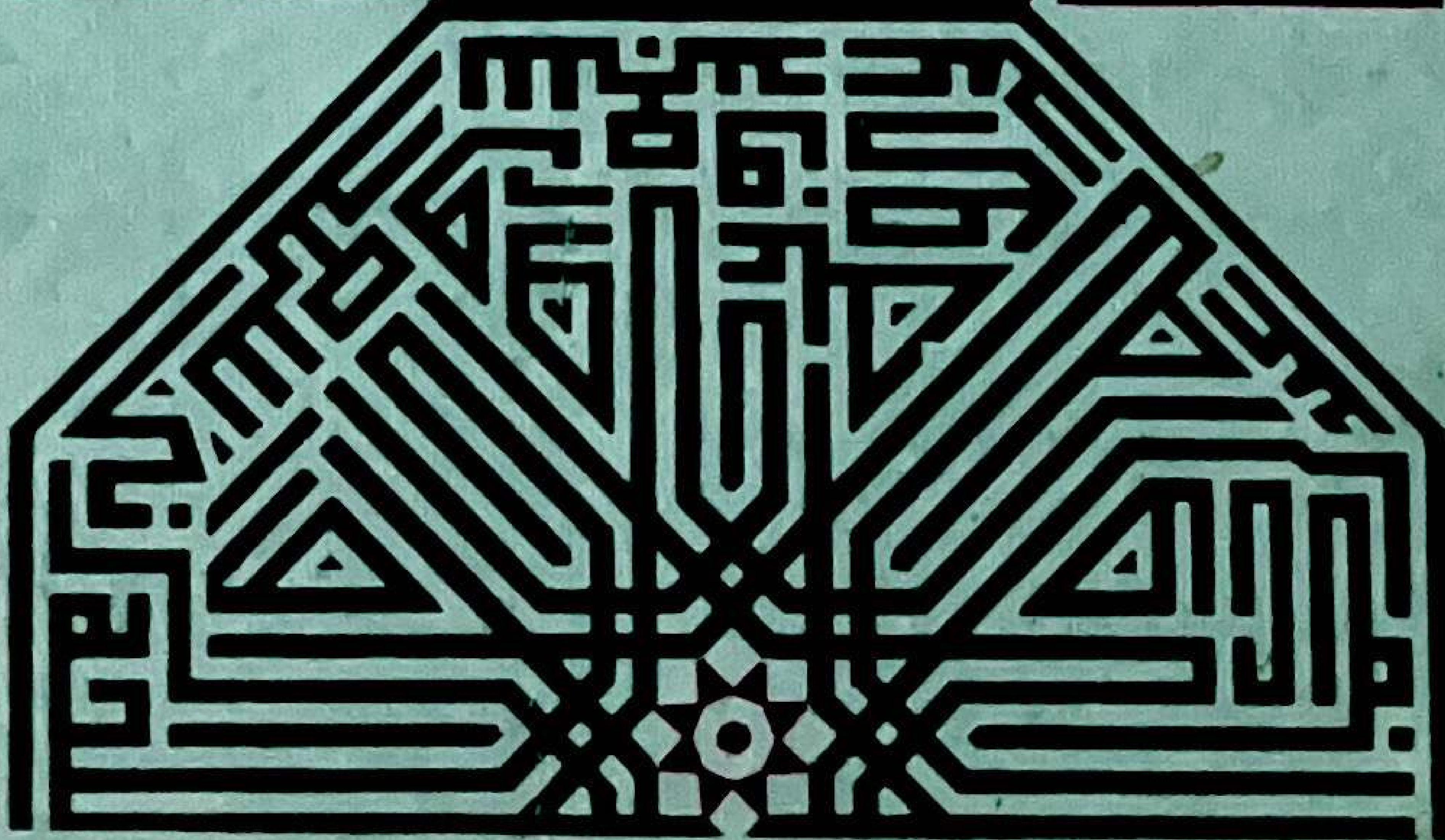
عبد المحسن طه رمضان





تاريخ حركة المقاومة الإسبانية ضد المسلمين فى الأندلس

(٧١١ - ٧٣٩ م / ٩٢ - ١٢١ هـ)



ملتزم الطبع والنشر

مكتبة سعيد رأفت

دكتور
عبد المحسن طه رمضان
كلية الآداب – جامعة عين شمس

تاريخ حركة المقاومة الإسبانية
ضد المسلمين فى الأندلس

الجزء الأول

أصولها وتكوينها

(٧١١ – ٧٣٩ م / ٩٢ – ١٢١ هـ)

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة سعيد رأفت

بسم الله الرحمن الرحيم

«وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » صدق الله العظيم •

سورة الأنفال ، آية ٤٦ •

أهم الاختصارات المستخدمة فى البحث

Anal. Uni. Hisp.	=	Anales de la Universidad Hispalense, Publicaciones de la Universidad de Sevilla, Serie Filosofia y Letras.
Anal. Uni. Madrid	=	Anales de la Universidad de Madrid.
APH	=	Academia Portuguesa de Historia, Lisboa.
BAAL	=	Boletin de la Academia Argentina de Letras.
Bol. Hisp.	=	Bulettin Hispanique, Bordeaux.
Bol. IAEV.	=	Boletin Del Instituto Americano de Estudios Vascos.
BRAH.	=	Boletin de la Real Academia de la Historia de Madrid.
CHE	=	Cuadernos de Historia de Espana, Buenos-Aires.
COL. DIHE	=	Coleccion de Documentos Inéditos para la Historia de Espana, Madrid.
CSAA.	=	Cuadernos del Seminario de Arte y Arqueologia.
EMA.	=	Estudios Sobre la Monarquia Asturiana, Coleccion de Trabajos Realizados Con Motivo Del II Centenario de Alfonso el Casto, Celebrado en 1942, 2 ed., Oviedo 1971.

Esp. Sagr. = Espana Sagrada, Madrid.

Est. EMCA = Estudios de Edad Media de La Corona de Aragon.

MGH. = Monumenta Germaniae Historica Scriptorum, Ed. G.H. Pertz, Hannoverae.

MRAH = Memorias de la Real Academia de la Historia de Madrid.

Pat. Lat. = Patrologiae Cursus Completus, Ed.J.P. Migne. Paris.

RABM = Revista, de Archivos, Bibliotecas y Museos, Madrid.

R. Filo. Hisp. = Revista de Filologia Hispanica de Buenos-Aires.

RFPL = Revue de la Facultad de Filosophie et Lettres de Buenos-Aires.

R. Hisp. = Revue Hispanique, Paris - New York.

RIEIM = Revista Del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid.

RMFLC = Revista Mensual de Filosofia, Literatura Y Ciencias de Sevilla, Sevilla.

تمهيد

* مقـــدمة ·
* تعريف بأهم المصادر والمراجـــع ·

مقدمة

اندفعت الجيوش الاسلامية فى موجات متتابعة من قلب شبه الجزيرة العربية ، منذ مطلع القرن الأول الهجرى / أواخر النصف الأول من القرن السابع الميلادى ، مكتسحة أراضى الفرس والروم فى العراق والمشرق والشام ومصر وما يلى مصر غربا ، بحيث لم يكد يقترب ذلك القرن الهجرى من نهايته حتى كان الشمال الافريقى قد انتظم فى حوزة الدولة الاسلامية ، على أيدى خلفاء بنى أمية ٠ ومن هذا الشمال الافريقى تطلع المسلمون الى الشاطىء الأوروبى المقابل ، تجاه شبه جزيرة ايبيريا La Peninsula Ibérica ـ اسبانيا والبرتغال الحاليتين ـ الواقعة فى أقصى جنوب غرب قارة أوروبا ٠ فعبرت اليها جيوشهم ، ونزلت على ساحلها الجنوبى فى رجب من عام ٩٢ هـ / أبريل ٧١١ م ، وتقدمت فى أراضيها منتصرة حتى قضت فى أقل من عام على المملكة القوطية الجرمانية التى كانت قائمة فيها ، ولم ينته عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م حتى كانت قد وصلت الجيوش الاسلامية الى أقصى الأطراف الشمالية من شبه الجزيرة ، الواقعة على ساحل بحر كنتبرية El Mar Cantàbrico ٠ وبذلك سيطر المسلمون على معظم نواحى شبه الجزيرة ، الذى عرف منذ ذلك الحين باسم الأندلس ، فأقاموا بها مدة تقارب ثمانية قرون تالية ، الى أن اضطروا الى إخلائها كلية فى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى (٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م) ٠

ومع أن الدراسات الأندلسية قد نشطت منذ القرن الماضى لاستجلاء جوانب تاريخ المسلمين بالأندلس طوال تلك القرون الثمانية ، وما أسهم به المسلمون حضاريا فيها ، حتى تكشفت بفضل ذلك حقائق باهرة تبرز ما تبوأه المسلمون من مكانة ذات شأن حضارى عظيم ، سطرت صفحة من أمجد صفحات تاريخ ايبيريا فى العصور الوسطى . بيد أنه لا يزال مع ذلك كثير من الغموض يحيط ببعض جوانب هذه الفترة ، ومنها ما يتعلق بمدى امتداد الحكم الاسلامى بعد معارك الفتح الاولى على النواحى الشمالية والشمالية الغربية من شبه جزيرة ايبيريا ، وبخاصة على اقليم أشتوريس Asturias المطل على الجزء الأوسط من ساحل بحر كنتبرية ، اذ لا يعلم حتى وقتنا الحاضر ما اذا كان هذا الاقليم قد انضوى تحت طاعة المسلمين كغيره من باقى اقاليم ايبيريا ، أم أنه أفلت وظل بمنأى عن سيطرتهم .

وتتمثل أهمية اقليم أشتوريس فى أنه سبق غيره من اقاليم ايبيريا ليكون مسرحا لأول حركة تمرد قام بها سكانه على المسلمين فى اواخر عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، أى بعد نحو سبع سنوات فقط من فتح المسلمين ايبيريا . ولم تلبث أحداث هذا التمرد أن تطورت الى ثورة فعلية على المسلمين فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، وهى ثورة جرت الى صدام عسكرى بين الفريقين فى آكام كوبادونجا Covadonga ، المعروفة للمسلمين بصخرة بلاى Pena de Pelayo أو الصخرة فقط ، التى تقع فى بطن جبل أوسبة Auseva احدى جبال قمم أوربا Los Picos de Europa الوعرة ، الممتدة فى أقصى شرقى أشتوريس . وهو صدام أصيبت فيه القوات الاسلامية بأول هزيمة لها على مستوى ايبيريا كلها منذ فتحها .

ولا جدال فى أن انتصار مسيحيى اشتوريس على المسلمين فى تلك المعركة كان ضعيفا هزيلا فى حد ذاته ، اذ اقتصر على انحسار النفوذ الاسلامى عن الجزء الجبلى القاحل ، الذى دارت عليه وحوله المعركة ، فى أقصى شرقى أشتوريس . الا أن مجاورة ذلك الجزء لدوقية قانطابرية (كنتبرية) Cantàbria ، التى لم تكن قد شملتها موجة الفتح

الاسلامى الأولى ، أو امتدت اليها السيطرة الاسلامية فيما بعد ، قد نفس من خناقها ، فانتهز دوقها الفونسو (أذفونش) Alfonso الفرصة وضمه الى دوقيته منذ العام الأول لاعتلائه الحكم فى عام ٧٣٩م/١٢١ هـ ، وأعلن ميلاد أول كيان سياسى مسيحى فى الشمال مستقل عن الكيان الاسلامى الأندلسى فى الجنوب ، عرف بمملكة أشتوريس El Reino de Asturias ، التى كانت بمثابة أول تعبير ملموس نحو تكوين جبهة مسيحية فى شمال ايبيريا ضد المسلمين فى تلك الفترة المبكرة .

وتبعا لذلك ، تغير شكل الخريطة السياسية لايبيريا لأول مرة منذ أن فتحها المسلمون ، وصارت موضع نزاع دائم وصراع لم يهدأ الا قليلا بين ما يسيطر عليه المسلمون ، أى الأندلس أو ما عرف باسبانيا الاسلامية أيضا ، وبين اسبانيا المسيحية التى ظلت مملكة أشتوريس تجسيدا لها طوال مدة وجودها ، التى استمرت ما يقرب من قرن وثلاثة أرباع قرن ، انتهت فى عام ٩١٠ م / ٢٩٧ هـ .

حقيقة لقد بدأت مملكة أشتوريس على هذا النحو متواضعة ضعيفة من حيث مساحتها وقدراتها اذا ما قيست بالاندلس، ومن حيث أهدافها التى لم تنشد من ورائها سوى محاولة اثبات وجودها فى ايبيريا كقوة منعزلة عن المسلمين ومستقلة عن كيانهم السياسى ، دون أن تتطلع وتتذاك الى الاستئثار بالسلطة فيها من دونهم . ومع ذلك ،فسرعان ما تضخمت مساحتها على نحو لم يكن فى الحسبان ، بحيث امتدت سيطرتها على كل ما يقع شمال نهر دويرة Duero من اقليم جليقية (غاليسيا) Galicia المطل على المحيط الأطلنطى غربا حتى بلاد البشكنس (الباسك) Vascones شرقا ، أى ما يوازى نحو ربع مساحة ايبيريا . وحينذاك ازدادت قوتها وقدرتها ، وثبتت أقدامها ، وأمنت جبهتها الداخلية ، وتطورت استراتيجيتها من مجرد الدفاع عن نفسها الى الهجوم والضغط على المسلمين ، ثم تبلورت أهدافها النهائية فى تقرير أحقيتها وحدها فى الحياة والسيطرة على ايبيريا ، الامر الذى لم تقدر معه لوجهتى نظر أشتوريس والاندلس أن تلتقيا على هدف ، أو أن تتعايشا

فى سلام ومودة أو حسن جوار ، وانما اتسمت العلاقات بينهما بالعداء ، وهو عداء ورثته اشتوريس للقوى المسيحية التى خلفتها ، مثل ليون León وقشتالة Castilla وجليقية Galicia ، التى انتقل الصراع فى عهدها الى مرحلة أخرى جديدة .

ومن أسف ، فقد اوصل المسلمون بأنفسهم مملكة اشتوريس الى هذه الغايات ، وافسحوا لها بطريقة غير مباشرة الطريق الى تحقيقها ، اذ واكب الفترة اللازمة واللاحقة لنشأتها انشغال المسلمين عنها فيما نشب بين بعضهم البعض من صراعات ، بدأت بصراع العرب والبربر ، الذى ما كاد ينتهى باخلاء البربر طواعية لمناطق استيطانهم فى اقليمى اشتوريس وجليقية ، حتى حلت محله حروب ضارية بين العرب انفسهم ، ولم تنته هى الأخرى الا وجه المسلمون معظم نشاطاتهم الحربية الى نواحى أخرى فى خارج ايبيريا أو فى داخلها ، وعلى الأخص الى اقليم سرقسطة Zaragoza ، الذى عرف للمسلمين بالثغر الأعلى الأندلسى وفيما بعد باسم أراجون (أراغون) Aragon ، اذ كان على وشك أن يخرج من أيديهم بسبب تطلعات حكامه المستمرة الى الاستقلال . وقد استنفدت تلك الجهود ، فضلا عن غيرها ، جل طاقات المسلمين واتت عليها أو كادت ، بحيث لم يصبح لديهم متسع من الوقت أو وفرة فى الجهد للاهتمام بأمر أشتوريس الاهتمام الكافى .

وفى الجانب المقابل ، فلم تأل أشتوريس جهدا للفت من عضد المسلمين بكل ما وسعها ذلك من أساليب سرية وعلنية ، فخاضت ضدهم حروبا مباشرة متعددة ، وعاونت ثوار المدن الأندلسية ذاتها ضدهم ، والبت عليهم عمال الثغور الأندلسية ، فضلا عن محاولات حكامها المستميتة لفرض سيطرتهم على مراكز التجمعات المسيحية الأخرى فى منطقة الشمال الايبيرى ، مثل نبرة Navarra بغرض ايجاد جبهة مسيحية ضد المسلمين داخل ايبيريا ، كما وسعت نطاق الصراع ضدهم خارجها ، فأقامت علاقات مع ملوك الفرنجة - أعداء المسلمين - فى غالة للحصول على عونهم العسكرى ، واتصلت ببابوات روما لاضفاء الشرعية الدينية على صراعهم السياسى ومباركته ، وهى أمور ساعدت

على اشتداد حدة الصراع وتنوع أشكاله بين الأندلس واشتوريس ، وكان الحظ فيه حليفا لأشتوريس .

وهنا نود التنويه الى ان مملكة اشتوريس لم تكن المملكة المسيحية الوحيدة فى الشمال الايبيرى ، وانما ظهرت بجانبها قوى مسيحية أخرى معاصرة لها ، وابرزها قطالونيا Cataluna فى أقصى شمال شرقى ايبيريا ، ولكنها كانت خاضعة لنفوذ الفرنجة فى غالة ، الذين اتخذوها قاعدة متقدمة لهم فى ايبيريا لتأمين بلادهم ، ولمدافعة محاولات التقدم الاسلامى فيها . كما ظهرت الى الوجود امارة نبرة Navarra فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، عند الطرف الجنوبى الغربى من جبال البرتات Pyrenaei ، ولكن بسبب استراتيجية موقعها كمعبر بين ايبيريا وغالة ، فانها ظلت مجالا لتنافس القوى المحيطة بها من الفرنجة فى غالة ، والمسلمين فى الأندلس ، وملوك اشتوريس ، فانشغلت نبرة فى مدافعة مطامعهم . ومن ثم فلم يتهيأ لأى من قطالونيا ونبرة أن تلعب دورا يضاهى دور اشتوريس فى مقاومة المسلمين ، واستأثرت أشتوريس وحدها فى الغالب بهذا العبء خلال تلك الفترة المبكرة .

ولذلك كانت حركة التمرد فى اقليم أشتوريس بشمالى ايبيريا ، وما اعقبها من قيام مملكة فيه مستقلة عن النفوذ الاسلامى فى الأندلس ، أول تعبير اسبانى مسيحى لاعاقة المسلمين على نطاق ايبيريا كلها ، ويشكل فترة هامة وحرجة للغاية من تاريخ المسلمين فيها ، اذ صارت اشتوريس على هذا النحو البؤرة التى انبثقت منها فكرة المقاومة المسيحية ضدهم ، قبل أن تظهر فى غيرها من أقاليم ايبيريا ، وتحملت وحدها الدور الأكبر فى بلورتها وتطويرها ، فابتدأت بها أولى مراحل التقلص التدريجى البطىء للنفوذ الاسلامى فى ايبيريا ، وهو تقلص تكفلت القوى المسيحية التى تلت مملكة أشتوريس باتمام مراحله على صورة أشد وأقسى ، وذلك فيما عرف بحركة الاسترداد La Reconquista

التى انتهت بالفعل باجلاء المسلمين عن آخر معاقلهم فى ايبيريا ، واستعادة المسيحيين الاسبان السيطرة عليها كلية فى عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م ، أى بعد ما يقرب من ثمانية قرون على فتح المسلمين لها فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ٠

ومع هذه الأهمية المتعددة الجوانب ، فلا تزال المكتبة الاندلسية تفتقر الى دراسة متكاملة تستجلى جوانب هذا الموضوع ، وتكشف النقاب عن حقيقته وطبيعته ، وتضعه فى اطاره الصحيح ٠ ولا زالت أيضا عوامل وظروف نشأة حركة التمرد المسيحى ضد المسلمين فى اقليم أشتوريس ، والملابسات المحيطة ببداياتها وتطوراتها ، وطبيعة موقف مسلمى الأندلس منها ، ودورها الحقيقى فى مناواتهم غير واضحة المعالم ، وكل ما كتب عنها ورد فى ثنايا دراسات عامة عن تاريخ المسلمين فى الأندلس ، واعتمد مؤلفوها فى الغالب على المصادر العربية وحدها من دون اللاتينية والاسبانية او العكس ، مما جعلها دراسات مبتورة تعبر عن وجهة نظر واحدة ٠

وابرز ما يؤكد هذا القصور المزدوج ، أن الدراسات العربية التى تناولت موضوع حركة المقاومة الاسبانية ضد مسلمى الأندلس قد انحصرت حتى وقتنا الحاضر فى دراستين وحيدتين ، احداهما لباحث مصرى بعنوان : « العلاقات بين الممالك الاسلامية والنصرانية فى اسبانيا منذ الفتح وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى »(١) ، وهى دراسة لم تخرج عن كونها نفس الخطوط العريضة العامة التى أوردها المؤرخون المصريون الحديثون فى دراساتهم عن تاريخ المسلمين فى الأندلس ، وذلك بسبب طول الفترة التى تعالجها الدراسة فهى تقارب خمسة قرون ، وأيضا بسبب تعدد الممالك المسيحية التى تعرضت الدراسة لمعالجة علاقاتها مع المسلمين فى الأندلس ، فضلا عن أنها اقتصرت فى مصادرها الأصلية على المصادر العربية وحدها ، مما يجعلها أصدق دليل على التعبير عن وجهة النظر العربية ٠ وينسحب هذا القول على

(١) أعدها رجب محمد عبد الحليم ، للحصول على درجة الدكتوراة بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ٠

الدراسة الثانية ، التى كان قد اعدها باحث عربى آخر (١) عن نفس الموضوع ، فى جامعة كمبردج Cambridge بانجلترا ، فى عام ١٩٦٦ م ؛ وان اقتصر على دراسة الفترة بين عامى ١٣٨ – ٣٦٦ هـ / ٧٥٥ – ٩٧٦ م ٠ وبذلك فلم تكشف أى من هاتين الدراستين عن جديد يذكر فيما يتعلق بعلاقات المسلمين بتلك الحركة الاسبانية المناوئة وهى فى مراحلها الأولية، كما لم تنجح فى ازالة الغموض الذى غلفها به المؤرخون المسلمون الأوائل أنفسهم ، فبقيت حقيقية تلك الحركة وتفاصيلها المتكاملة المترابطة احدى علامات الاستفهام الكبيرة بين أوساط المتخصصين العرب فى تاريخ المسلمين بالأندلس ٠

أما الدراسات الأوربية فهى وان أولت اهتماما أكبر لهذا الموضوع الشائك الا أنها دراسات غير متكاملة ، اذ انصبت بالاولى على ابراز جوانب معينة فيه ٠ كما أن أغلبها – وعلى الأخص الدراسات الاسبانية – يتسم بالغلو فى تقييم حركة التمرد المبكرة ضد المسلمين فى اقليم أشتوريس ، ثم فى دور مناهضة مملكة أشتوريس لهم ، ويتصف بطابع قومى متطرف ودينى متعصب ، بحيث اعتبرته مقاومة

(١) هو عبد الرحمن الحجى ، وقد نشر فصول دراسته بالانجليزية فى احدى المجلات ثم ترجمها الى العربية ونشرها كمقالات اما فى كتيبات أو مجلات عربية ، فمثلا نشر فصلا بعنوان « Christian states in Northern Spain During the Umayyad period » فى مجلة : **The Islamic Quarterly** London 1965, 9pp. 46-55. وهو نفس الفصل الذى ترجمه الى العربية ونشره ضمن المجموعة الثانية من كتيب : أندلسيات ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٣٩ – ٥٦ ٠ كما نشر فصلا آخر بعنوان : « Relations Between the Andalusian Rebels and Christian Spain during the Umayyad period ». فى نفس المجلة السابقة .Op Cit., 10 pp 84-94 ثم ترجمه الى العربية ونشره فى مجلة الابحاث ، التى تصدرها الجامعة الامريكية ببيروت ، السنة ١٨ ، مارس ١٩٦٥ ، ثم نشره مرة أخرى فى كتيب : أندلسيات ، المجموعة الثانية السابق الاشارة اليها ، ص ١٠٧ – ١٢٧ ٠

اسبانية قومية هى امجد مراحل الكفاح الاسبانى خلال تاريخ ايبيريا على مر العصور ، وصورته على أنه صراع بين الاسلام والمسيحية فى تلك الفترة المبكرة .فضلا عن أنها أفسحت المجال لكثير من الأساطير الخارقة تأكيدا للتاييد الالهى للاسبان فى مقاومتهم لأعدائهم المسلمين ، الأمر الذى ابعد هذا الدور عن طابعه الواقعى ، وأوشكت معه أن تضيع معالمه فى طيات تلك المغالاة المتعمدة .

وازاء هذا التهويل الأوربى وذاك التحرج العربى ، أصبح لزاما علينا ـ نحن العرب ـ أن نتخطى مرحلة التامل الجامد القاصر على التغنى بامجاد وانجازات أجدادنا ، الى مرحلة جديدة من التامل الواعى فى الجوانب المشرقة والكئيبة ـ علىالسواء ـ من تاريخ هؤلاء الأجداد ، لنتعرف فى صدق على أسرار كبواتهم وعثراتهم الماضية ، وبهذا وحده تتوفر لنا الوسائل المطلوبة للانسجام مع حاضرنا والتغلب على مشكلاته ، بما فى ذلك من مقدرة على التصدى لمحاولات الأوربيين المغرضة التى تستهدف تزييف أو تشويه تاريخ أجدادنا .

وليس هناك من شك فى أن دراسة تاريخ حركة المقاومة الاسبانية ، منذ أن ظهرت بداياتها فى أعقاب الفتح الاسلامى لايبيريا الى أن انتهت باجلاء المسلمين عنها فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى / التاسع الهجرى ، يعتبر احد الموضوعات البارزة التى تكشف عن أسرار كثير من عثرات المسلمين فى ماضيهم ، وهى عثرات تتشابه معظم أسبابها وعناصرها مع تلك التى يعانيها أحفادهم فى الوقت الحاضر ، اذ ما أشبه اليوم بالبارحة .

وفى نيتنا أن نتابع دراسة تاريخ تلك الحركة فى عدة أبحاث متصلة ، كل منها يختص بفترة زمنية لها سماتها وخصائصها التى تميزها عن غيرها ، وان كانت فى مجموعها تبرز المراحل المتتابعة لتلك الحركة ، وتاثيراتها المختلفة على مسلمى الأندلس ، وموقف هؤلاء الأخيرين منها . ولذلك فقد أفردنا الجزء الأول من تلك الأبحاث لتقصى أصول تلك الحركة وتكوينها وحقيقتها وأهدافها خلال الفترة المبكرة من التواجد الاسلامى بايبيريا أى فيما بين عامى ٩٢ ـ ١٢١ هـ / ٧١١ ـ ٧٣٩ م .

واذا كان من المسلم به أن تلك الحركة قد تكونت وارسيت أصولها فى اقليم اشتوريس الواقع فى أقصى شمال ايبيريا ، خلال تلك الفترة القصيرة التى أعقبت الفتح الاسلامى ، الا انها لم تعبر وقتذاك عن معارضة قوية واسعة النطاق للمسلمين هناك ، اذ لم ينشأ لها كيان سياسى مستقل عن الكيان الأندلسى ، وبالتالى فلم تشكل خطرا ملحوظا أو أن تتآمر ضد الوجود الاسلامى فى تلك البلاد ، ويؤيد راينا أن المسلمين صرفوا نشاطهم الى تنظيم الأندلس اداريا وماليا ، والى غزو غالة من بلاد الفرنجة .

اما منذ عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م فصاعدا فقد اخذ ساعد حركة المقاومة فى اقليم اشتوريس فى القوة والتطور ، بحيث اكتمل لها عناصر الدولة ومقوماتها ، وظهر لها كيان سياسى عرف بمملكة اشتوريس كانت بدءا لمرحلة أخرى جديدة فى تاريخ تلك الحركة ، اذ تبلورت اهدافها واتضحت مطامعها السياسية ، وظلت هذه القوة المسيحية المناوئة تنتقل من طور الى آخر حتى وضح ميل ميزان القوى لصالحها مع أوائل القرن الخامس الهجرى / النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، ثم انتهى الأمر بنجاحها فى استرداد كل أراضى ايبيريا من المسلمين مع أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

هذا وقد قسمنا دراسة الفترة التى يشغلها هذا البحث الى تمهيد وبابين ، ويحتوى التمهيد على مقدمة وتعريف باهم المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها . أما الباب الأول وعنوانه : اقليم أشتوريس الاسبانى حتى الفتح الاسلامى فى عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، فقد خصصناه للتعرف على تاريخ وحضارة اقليم اشتوريس باعتباره مهد حركة المقاومة حيث ظهرت فيه قبل أن تظهر فى غيره من أقاليم ايبيريا . وانقسم هذا الباب الى فصلين ، أولهما بعنوان : اشتوريس قبل الفتح الاسلامى ، ويختص بتحديد موقع اقليم اشتوريس بشبه جزيرة ايبيريا ، وحدوده وأهم ملامح جغرافيته ، والأجناس البشرية المختلفة المكونة لسكانه منذ القدم ، واثر الظروف الجغرافية والبيئية على تكوين طبائعهم وانماط حياتهم وانشطتهم ، ثم من تعاقب على حكمهم من الرومان اللاتين والجرمان المتبربرين حتى أواخر القرن الهجرى

الاول / أوائل الثامن الميلادى ، وما تركوه من آثار وأضحة على الاقليم وسكانه ميزت جوانب الحياة هناك بخصائص معينة قبل الفتح الاسلامى .

أما الفصل الثانى فهو بعنوان : الفتح الاسلامى لأشتوريس ، واختص بدراسة تحليلية نقدية لتتبع وتحديد مدى ونوعية المقاومة التى اعترضت المسلمين فى أنحاء ايبيريا ، لا سيما وأن الذين قاموا بهذه المقاومة قد التجأوا فيما بعد الى اقليم أشتوريس ولعبوا الدور الرئيسى فى التمهيد لظهور حركة المقاومة فيه ضد المسلمين . ثم تحديد وقت وأسباب وأهداف فتح المسلمين لاقليم اشتوريس ، وكيفية تقدمهم فى أراضيها ، وتحليل حالة اللاجئين اليها وموقفهم من المسلمين أثناء فتحها ، وهل اقتصر الفتح على بعض نواحيها أم شملها كلها ، وهل كان بصلح أم عنوة ، فضلا عن الأسس التى حددت العلاقة بين سكان أشتوريس وأولئك اللاجئين من ناحية وبين المسلمين من ناحية أخرى وذلك حتى وقت وقوع التمرد بها على المسلمين .

فى حين اشتمل الباب الثانى ، وهو بعنوان : المقاومة الاسبانية فى طور التكوين ٩٥ – ١٢١ هـ / ٧١٤ – ٧٣٩ م ، على ثلاثة فصول ، تناول الفصل الأول وعنوانه : بلاجيوس وبداية المقاومة ضد المسلمين فى اقليم أشتوربس ، دراسة دقيقة مستفيضة لأصل ونسب بلاجيوس (بلاى) Pelagius القوطى الذى نسبت الروايات اللاتينية اليه فضل قيادة المقاومة المسيحية ضد المسلمين فى اقليم أشتوريس ، ومناقشة الآراء المختلفة التى نفت وجوده واعتبرته مجرد شخصية وهمية ، أو التى خلطت بينه وبين شخصيات أخرى ، ثم التعرف على نشأته وحياته قبل الفتح الاسلامى لايبيريا ، ودوره فى مقاومة المسلمين أثناء فتحهم لأقاليمها ، وعلاقته بهم بعدما فتحوا اقليم أشتوريس ، والظروف والملابسات التى بلورت لديه فكرة التمرد عليهم ، وأسلوبه فى اثارة سكان أشتوريس المسيحيين ضدهم ، ومدى تقبلهم لفكرته ، وما تلا ذلك من وقائع وأحداث شكلت وجود حركة عصيان ذات ملامح معينة ضد المسلمين فى اقليم أشتوريس .

أما الفصل الثانى ، وعنوانه : تطور المقاومة ضد المسلمين فى أشتوريس، فتناول تحديد بداية وقائع تمرد سكان أشتوريس ، والعوامل التى عاونتهم وأخذت بأيديهم وادت الى تطور حركتهم ، مما اعطاها طابع ثورة حقيقية أحس المسلمون بخطرها ، وجرت الى صدام مسلح بين الطرفين . وقد نوقشتبداياته ووقائعه وتطوراته ونتائجه ، بصورة أخرجته من حيز الصمت الذى التزمته الروايات الاسلامية من ناحية ، وابعدته عن الطابع الأسطورى الخيالى الذى أحاطته به الروايات اللاتينية من ناحية أخرى .

فى حين كان اهتمام الفصل الثالث والأخير ، وعنوانه : رد الفعل الاسلامى للمقاومة فى اقليم أشتوريس حتى عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، هو ابراز طبيعة العلاقة بين كل من المسلمين والمسيحيين الثائرين فى اشتوريس بعد أول صدام مسلح بينهما ، وذلك من خلال دراسة أحوال ومشاغل كل من الطرفين ، ومدى مساهمتها فى تشكيل سياسة كل منهما تجاه الآخر ، فضلا عن دراسة تحليلية مدعمة بما أمكن الحصول عليه من نقوش ووثائق لسبرغور حصيلة هذا الصراع بالنسبة لمسيحيى أشتوريس ، ونتائجه على أنماط حياتهم السياسية والدينية حتى عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م .

وأخيرا ، فقد اختتم البحث بخاتمة تبرز أهم النتائج التى ترتبت عليه ، ومنها خضوع أشتوريس للمسلمين منذ فتحهم لها فى أواخر عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م وطوال فترة البحث ، وان تميزت أشتوريس دون غيرها من أقاليم ايبيريا بأن شهدت أطرافها الشرقية وقوع أول تمرد على المسلمين بعد سنوات قليلة من فتحها ، وهو وان لم يكن من صنع سكان أشتوريس الأصليين بقدر ما بدأته العناصر القوطية الجرمانية اللاجئة بينهم ، فانه أدى الى أول هزيمة عسكرية حلت بالمسلمين فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، فقدوا معها والى الأبد الجزء الشرقى الجبلى من أشتوريس ، الذى عرف عند المسلمين بصخرة بلاى Pena de Pelayo أو الصخرة فقط ، التى صارت نواة تمركزت فيها العناصر المناوئة للمسلمين ، فكانت أشتوريس بذلك أسبق الأقاليم الايبيرية التى ناهضت المسلمين فى تلك الفترة المبكرة .

تعريف بأهم المصادر والمراجع

وانتهز الفرصة لأقدم الشكر الى كل من عاونني في تلك الدراسة وهم كثيرون ، واخص الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد أستاذ التاريخ الاسلامى بآداب عين شمس ، والأستاذ الدكتور اسحق عبيد استاذ تاريخ العصور الوسطى بنفس الكلية ، والمرحوم الأستاذ الدكتور بتلر L. Butler أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية رويال هولواى Royal Holloway College احدى جامعات لندن ، والأستاذ الدكتور ساندرسون N. Sanderson الأستاذ بنفس الكلية ، والأستاذ الدكتور هارفى L.P. Harvey أستاذ ورئيس قسم الدراسات الاسبانية بكلية كنجس King's College بجامعة لندن ، والعاملين بمكتبات انجلترا واسبانيا ، لا سيما مكتبة المتحف البريطانى The British Museum Library ، ومكتبة لندن London Library ، ومكتبة مدرسة الدراسات الافريقية والشرقية The School of Oriental and African Studies Library ، ومكتبة البودليان The Boudlian Library باكسفورد ، والمكتبة الأهلية بمدريد La Biblioteca Nacional ، ومكتبة المجمع الملكى للتاريخ La Biblioteca de la Real Academia de la Historia ومكتبة المجلس الأعلى للأبحاث العلمية La Biblioteca del Consejo Superior de Investigaciones Cientificas ومكتبة معهد الدراسات الاسلامية La Biblioteca del Instituto de Estudios Islamicos ، ومكتبة المعهد الاسبانى للثقافة العربية La Biblioteca del Instituto Hispano-Arabe de Cultura وارشيف مدينة سيمانكس EL Archivo de Simancas ، الى كل هؤلاء وغيرهم كثير ، اكرر خالص شكرى وتقديرى وامتنانى .

وارجو ان أكون بهذا البحث المتواضع قد أسهمت فى كشف النقاب عن فترة هامة من تاريخ المسلمين فى الأندلس ، وعرضت لمرحلة دقيقة من مراحل حركة المقاومة الاسبانية وهى فى طور تكوينها .

والله الموفق

اعتمدنا فى هذه الدراسة على كل ماأمكن الحصول عليه من مصادر ومراجع كتابية متنوعة عربية وأوربية ، فضلا عما توفر من مصادر غير كتابية لها أهميتها الخاصة فى البحث التاريخى ، وتاتى الوثائق فى مقدمتها ، ونصنف ما توفر لنا منها الى نوعين :

النوع الأول ، هو الوثائق اللاتينية الصادرة فى أشتوريس(١) قبيل وبعد قيام مملكة مستقلة فيها ، وهى وثائق تحمل توقيعات من أصدرها من الملوك أو غيرهم من الشخصيات السياسية أو الدينية ،

---

(١) جمع أنطونيو فلوريانو Antonio Floriano معظم هذه الوثائق ، مع دراسة تحقيقية لكل وثيقة من حيث تاريخها والأسماء الواردة فيها ، ورأيه فى الزائف منها والحقيقى ، وذلك فى كتابه : Deplomatica Espanola del periodo Astur, 2t, oviedo 1949. كما قام براو دييجو Barrau Dihigo بدراسة بعض تلك الوثائق دراسة تحقيقية أيضا : فى مقاله بعنوان: « Etude sur les Actes de Rois Asturiens », R.Hisp. 1919, 46ppI -191. ثم قام بلدا Belda بجمع العديد منها فى كتابه : Documentos Reales de la Edad Media Referentes a Galicia, Madrid 1953 هذا فضلا عن الوثائق العديدة المنشورة فى مجلة CHE التى تصدر فى بوينس أيرس Buenos-Aires ،وعلى الأخص الأجزاء ١ ـ ٢ ، ٤ ، ١٠ ، وكذلك الوثائق التى نشرت ذيلا على بعض الكتابات لا سيما المجموعة المسماة Espana Sagrada ، التى بدأ باصدارها فلوريث H. Florez فى مدينة مدريد Madrid فى عام ١٧٤٧ ، واستكملها من بعده ريسكو M. Risco وآخرون ، حتى بلغت ستة وخمسين مجلدا فى عام ١٩٥٧ م ، وتوجد فيها وثائق هامة فى الأجزاء ١٦ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ على الخصوص . كما أن هذه المجموعة عبارة عن منجم غزير للمعلومات عن تاريخ الكنيسة الاسبانية ، على غرار المجموعة المسماة : Gallia Christiana بالنسبة لتاريخ فرنسا ، وتوجد فى مجموعة اسبانيا سجرادا السابقة الذكر معظم المدونات التاريخية المتعلقة بتاريخ اسبانيا .

وهى وثائق عثر على اصولها فى أرشيفات الكنائس والأديرة ، مع انه قد اختص باصدارها وحفظها ديوان خاص فى أشتوريس - مثلما تصدر الوثائق عادة - حيث ظهرت فيها وظيفة الكاتب الملكى Notarius Regis لصياغتها وحفظها(١) .

ولدينا العديد من هذاالنوع من الوثائق التى احتوت على اشارات افادتنا فى تقرير بعض الحقائق الهامة ، كتحديد وقت بدء التمرد على المسلمين فى اشتوريس بعد احتلالها ، وأعداد الجيش الاسلامى الذى أنيطت به مهمة اخماده ، وحقيقة اوضاع المتمردين السياسية بعد أول صدام عسكرى لهم مع المسلمين .

كذلك فتعكس هذه الوثائق طبيعة روح العصر الدينية ، اذ تتعلق فى معظمها بتأسيس كنائس وأديرة فى أشتوريس ، أو بما منحه ملوكها لها من عطايا وهبات وامتيازات ، أو بتبديل تبعية بعض الكنائس من أسقفية لأخرى حسب الاتساع التدريجى لمساحة أشتوريس، او بتأسيس مدن وحصون جديدة فيها صار لها شأنها فى تاريخ اشتوريس ، أو مراكز دفاعية ضد الهجوم الاسلامى .

كما تظهر تلك الوثائق سمو مكانة الرهبان ورجال الدين فى أشتوريس، ودورهم فى تعمير الأراضى القريبة من الحدود الفاصلة بين أشتوريس والأندلس، وسياسة ملوك أشتوريس فى تشجيعهم على المضى فى هذا الاتجاه ، أو فى مناهضة المسلمين ، ومن ثم فان تلك الوثائق تزيح الستار عن خصائص عامة للحياة العسكرية والدينية وحتى الاقتصادية والاجتماعية فى أشتوريس وقتذاك .

أما النوع الثانى من الوثائق فهو الوثائق العربية الصادرة فى الأندلس ، ومن أسف فلم يصلنا منها سوى وثيقة عربية فريدة(٢) ، هى عهد امان أحد أمراء الأندلس الى « أهل قشتالة ومن تبعهم من سائر

---

(١) انظر . Suàrez Fernandez, Historia de Espana, Madrid 1970, p. 31.

(٢) اوردها فى Casiri, Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialensis, Matriti 1770, 2 p. 104.

البلدان » ، وكانت قشتالة وقتذاك احدى مناطق السيطرة الاشتورية . وفيما عدا ذلك فلا وجود لأى وثيقة عربية اخرى تتعلق بعلاقات اشتوريس والأندلس .

ولا تقل النقوش الكتابية والآثار المادية (١) عن قيمة الوثائق فى البحث التاريخى ، اذ هى مصادر غير عادية . وما توفر منها عن اشتوريس يؤكد بعض الحقائق التى اختلفت حولها الآراء ولم تكن قد استقرت بعد . ومن النقوش لدينا العديد الذى يوجد على شواهد قبور ملوك اشتوريس وملكاتها ، او على أحجار تاسيس المبانى العامة وبخاصة الكنائس . اما ما توفر من الآثار فهو الآخر كثير ، وان اقتصر على كنائس لا زال بعضها قائما حتى وقتنا الحاضر ، فضلا عن بعض الصلبان المصنوعة من الذهب الخالص المطعم بالأحجار الكريمة ، ويحتوى على نقوش كتابية .

ولعل وفرة تلك الآثار الفنية والمعمارية الدينية لتبين حالة الفن المعمارى والزخرف فى أشتوريس منذ أن صارت مملكة ، ومدى ما اصطبغت به من طابع دينى ،وما بلغته أشتوريس من قوة مادية وروحية مكنتها من مناوأة المسلمين ، اذ الآثار - حسبما لاحظ ابن خلدون (٢) - « انما تحدث عن القوة التى بها كانت - الدولة - أولا ، وعلى قدرها يكون الأثر » .

أما المسكوكات ، فعلى الرغم من أن أشتوريس قد صارت كيانا سياسيا مستقلا عن الأندلس منذ عام ٧٣٩ م / ١٢١ هـ ، فانها لم تتخذ لنفسها عملة خاصة بها ، وربما يرجع ذلك الى انها اكتفت باستخدام

---

(١) جمع بعض المؤرخين والأثريين تلك النقوش ، ومن أهمهم : Hubner, Inscriptiones Hispaniae Christianae, Berolini 1871 ، وملحقه : Supplementum, Berolini 1900. وكذلك : vigil, Asturias: Monumental, Epigrafica y Deplomatica, 2 Vols, Oviedo 1887.

(٢) المقدمة ، دار التحرير ١٣٨٦ ، ص ١٥٣ .

العملات الرومانية والقوطية (١) أو حتى الاسلامية (٢) . ومع ذلك فلم يصلنا منها عملة يكون قد عثر عليها فى اشتوريس أو تشير اليها خلال فترة البحث .

وفيما عدا تلك المصادر الأولية ، تأتى المصادر التاريخية الاسلامية الأندلسية وهى التى عاش مؤلفوها اما فى الأندلس ذاتها ، واما فى شمال أفريقيا قريبا منها وكانوا على اتصال بها ، ولذلك كانوا على معرفة بأحوال الأندلس واخبارها أكثر من غيرهم من المؤرخين المشارقة . وتتميز تلك المصادر الأندلسية بانفرادها بمعلومات عن تاريخ المسلمين فى الأندلس بنسب تتفاوت ايجازا واطنابا فيما بينها ، ولفترات قد تطول أو تقصر بحسب وقت كتابة كل منها ، فزودتنا بروايات متنوعة عاونتنا على رسم صورة شبه وافية لكيفية فتح المسلمين ايبيريا ، وتتبع فلول المقاومة القوطية أثناء تقدمهم بالبلاد ، ثم طبيعة الحكم الاسلامى فيها . وتتبع مهام المسلمين ومشاغلهم فى داخل الأندلس وفى غالة من بلاد الفرنجة .

ومن الجدير بالذكر أن معظم مؤرخى الأندلس حتى أواخر القرن الرابع الهجرى (١٠ م) قد نظروا الى تاريخ الأندلس من وجهة نظر واحدة ، اذ كانوا موالى بنى أمية ، مما جعلهم كمؤرخين للبلاط الأموى فى الأندلس يهتمون فى الغالب بتاريخ ولاتهم وأمرائهم وسيرتهم الذاتية ، أى تاريخ الأسرة الحاكمة ، فصارت كتابات معظمهم كسجلات عائلية ، أهملت أحداثا حيوية فى التاريخ السياسى ، بحيث يصعب فهم الاطار العام للحقيقة التاريخية من هذه الكتابات الا فيما بين نوع من الضباب .

أما بالنسبة لاقليم اشتوريس الذى ظهرت فيه بوادر المقاومة ضد المسلمين ، فلم يركز المؤرخون الأندلسيون وقتذاك على كيفية فتح

(١) Altamira, «The Western Caliphate», Camb. Med. Hist. 1936, 3p 441.

(٢) Vives, Approaches to the History of spain, London 1970, p.36. ، الخربوطلى ، العرب فى أوربا ، الدار المصرية للتاليف والرتجمة ١٩٦٥ ، ص ١٢٥ .

المسلمين أو طبيعة حكمهم له بصورة تتكافأ مع ما ذكرته عن بقية اقاليم ايبيريا ، وما اورده بعض هؤلاء المؤرخين لا يعدو أن يكون اشارات متفرقة مقتضبة مضغوطة ، زاد فى غموضها اعتبار مؤلفيها اقليم اشتوريس جزءا من جليقية ، فجاء الحديث عنهما عاما دونما تخصيص لأشتوريس ، أو حتى ذكر لها فى معظم الأحيان .

كذلك فان المطلع على المصادر الأندلسية خلال تلك الفترة يظهر له ان مؤلفيها لم يتتبعوا بدايات حركة النشاط المسيحى المضاد للمسلمين فى اقليم اشتوريس ، فى السنوات التالية مباشرة لفتح المسلمين ايبيريا واستقرارهم فيها ، واقتصروا فى كتاباتهم على مجرد فقرة واحدة عنها ، لا تقوم وحدها الا لتحديد جزئية معينة خاصة باشتوريس ، مما جعل هذه الحركة تبدو فى رواياتهم وكأنها مجرد أمر غير مرئى ، أو حتى مسألة خلفية جانبية لم يتوقعوا لها نجاحا أو توفيقا ، فاهملوها تقليلا من شأنها واحتقارا ، واشاروا الى ذلك قائلين : « ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم »(١) .

ولا يعنى ذلك ، أن كل مؤرخى تلك الفترة قد كرسوا جهدهم للتاريخ للمسلمين فى الأندلس فقط ، وانما تناول بعضهم حركة النشاط المسيحى المضاد ، بيد أن ما يتعلق ببداياته وأصوله وتطوراته فى مراحله الأولى قد فقد ، وما حفظته بعض الكتابات المتأخرة فهو قليل لا يفى وحده لتتبعه ورسم اطار له فى تلك الفترة المبكرة .

أما العصر الذهبى للتاريخ فى الأندلس فيبدأ منذ القرن الخامس الهجرى (١١ م) فصاعدا ، وأهتم مؤرخوه بالكتابة عن كل أو معظم جوانب الحياة فى الأندلس ، كما تتبعوا علاقاتها مع اسبانيا المسيحية ، فالقوا

(١) انظر اخبار مجموعة ، نشر لافونتى Lafuente y Alacantra ، مجريط ١٨٦٧ ، ص ٢٨ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، نشر ليفى بروفنسال وكولان، بيروت ، ٢ ص ٢٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، القاهرة ١٣٦٧ هـ ، ٤ ص ١٥ ـ ١٦ ، ٦ ص ٨٢ ـ ٨٣ .

الضوء على بعض مشاكل الأخيرة ومصاعبها الداخلية التى اثرت على طبيعة علاقاتها مع الأندلس . بل ان بعض هؤلاء المؤرخين الأندلسيين ، كابن الخطيب(١) وابن خلدون(٢) ، وبعض المؤرخين المشارقة كالقلقشندى(٣) ، قد اهتم بالتاريخ لدويلات اسبانيا المسيحية بما فيها اشتوريس ، بان افردوا لها فى كتاباتهم فصولا قائمة بذاتها ، وان كان جل اهتمامهم فيها قد انصب على ذكر تتابع حكامها ومدة حكم كل منهم ، فهذا لا يقلل من قيمتها لموضوع البحث ، حيث تحتوى على معلومات تاريخية هامة ومفيدة .

واقدم ما وصلنا من الكتب الأندلسية كتاب : « مبتدا خلق الدنيا » (٤) ، الذى ينسب تارة الى فقيه الأندلس وعالمها(٥) ، واقدم مؤرخيها عبد الملك بن حبيب (٦) (١٧٤ – ٢٣٨ هـ / ٧٩٠ – ٨٥٣ م) ، وتارة

---

(١) انظر . تاريخ اسبانيا الاسلامية ، تحقيق ليفى بروفنسال Levi-Provençal ، بيروت ١٩٥٦ ، ٢ ص ٣٢٢ وما بعدها .

(٢) انظر . العبر ، بيروت ١٩٦٨ ، ٤ ص ٢٨٥ وما بعدها .

(٣) انظر . صبح الأعشى ، القاهرة ١٩١٣ ، الجزء الخامس على الخصوص .

(٤) لا زال الكتاب مخطوطا فى مكتبة بودليان باكسفورد تحت رقم Marsh 288 ، وعنوانه طويل . انظر . بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة مؤنس ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٥ ، ف ٦٢ ص ١٩٤ . ولم ينشر من الكتاب السابق الا القسم الأندلسى الذى حققه مكى بعنوان « باب استفتاح الأندلس » ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٥٧م ، ٥ عدد ١ – ٢ ص ٢٢١ وما بعدها .

(٥) انظر . ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، دار المعارف مصر ١٩٥٥ ، ٢ ص ٩٦ ، المقرى نفح الطيب ، القاهرة ١٩٤٩ ، ٢ ص ٢١٥ ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى ، دار المعارف ١٩٦٥ ، ص ١٩٤ .

(٦) عنه بتفصيل ، أنظر . ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، قسطنطينية ١٣٠٢ هـ ، ص ٣٦ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ١ ص ٢٦٩ – ٢٧٢ ، الضبى ، بغية الملتمس ، مجريط ١٨٨٤ ، ص ٣٦٤ – ٣٦٥ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، دار المعارف مصر ١٩٦٢ ، ٣ ص ٨٦ ، بالنثيا ، نفسه ، ف ٦٢ ص ١٩٣ – ١٩٤ ، Pons Boigues, Los Historiadores y Geografos Arabigo - Espanoles, Amesterdam 1972, pp. 29-30.

ينسب كله او بعضه الى احد تلامذته ابن ابى الرقاع (١) ، خاصة وان رواية الكتاب تصل الى احداث عام ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م ، اى بعد وفاة ابن حبيب نفسه .

والكتاب احد الكتب الأندلسية التى تناولت التاريخ العام كمقدمة لتاريخ الأندلس (٢) الذى لم يتوسع فيه المؤلف(٣) . ورغم ما اشير عن ضآلة القيمة التاريخية للكتاب لما فيه من اساطير وقصص اعتمدت على الرواية الشفهية (٤) ، فهذا لا ينسحب على رواية احداث الفترة التى يعالجها البحث ، اذ ان احداث الشطر الأول من فترة البحث لا يبعد عن عصر المؤلف بكثير ، واعتمد فى معلوماته عنه على الأندلسيين انفسهم وهو منهم ، اما الشطر الثانى فقد عايش المؤلف احداثه ، مما يجعل لهذا الشطر من كتابه ثقلا تاريخيا بالنسبة لموضوع البحث .

ثم كتاب : « اخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم » ، للرازى(٥) (٢٧٤ – ٣٤٤ هـ / ٨٨٩ – ٩٥٥ م) . الملقب بعالم الأخبار

---

(١) عنه ، أنظر . Sànchez Albornoz, En Torno a los Origénes del Fuedalismo, Buenos-Aires 1977, 2 pp 80-85; Dozy, Recherches, Ip 28.

(٢) Makki, « Egipto y la historiografia, » RIEIM, 5 p. 192.
وعن محتويات الكتاب بتفصيل ، أنظر . بالنثيا ، نفسه ، ف ٦٢ ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٣) لطفى عبد البديع ، الاسلام فى اسبانيا ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٦٧ ، Dozy, Introduction a la Histoire de L'Afrique de Ibn-Adhari, Leiden 1848, p. 13.

(٤) بروكلمان ،تاريخ الأدب ، ٣ ص ٨٧ ، سعد زغلول ، نفسه، ص ١٩٤ ، بالنثيا ، نفسه ، ف ٦٢ ص ١٩٥ ، Dozy, Recherches, Ipp 28-34

(٥) هو أحمد بن محمد بن موسى الرازى ، وعنه أنظر . ابن الفرضى . نفسه ، ١ ص ٤٢ ، الضبى ، نفسه ، رقم ٣٢٩ – ٣٣٠ ص ١٤٠ . Casiri, Op Cit., 2p 330 ; Pons Boigues, Op.Cit, p62; Sànchez Alonso, Historia de la Historiografia Espanola, Madrid 1941, Ip 167.
وأبوه من الرى فى بلاد فارس ، وفد الى الأندلس كتاجر حوالى عام ٢٥٠ هـ / ٨٦٠ م ، واكتسب ثقة أميرها آنذاك فعهد اليه بمهام سياسية خطيرة =

وبالتاريخى لكثرة تأليفه التاريخية وحتى الجغرافية ، بحيث تنسب اليه أعمال عديدة هامة - مفقودة فى وقتنا الحاضر - عن تاريخ الأندلس وجغرافيتها (١) . ومن بينها النص العربى لهذا الكتاب ، الذى وصلنا معظمه - وعلى الأخص ما يتصل بفترة البحث - مترجما الى اللغة الاسبانية ، بعنوان : « مدونة الرازى العربى » La Cronica del Moro Rasis (٢) ، التى نقلت بدورها عن ترجمة برتغالية للنص العربى الكامل ، قام بها خيل بيرث Gil pérez بالتعاون مع بعض العرب فى عهد الملك البرتغالى دون ديونيس Don Dionisio (٣) (١٢٧٩ - ١٣٣٥م) . ثم نشر هذا النص البرتغالى بعنوان(٤) : « Cronica del Moro Rasis, version del Ajbar Muluk AL-Andalus de Ahmad Ibn Muhammad Ibn Musà AL-Ràzi 889-955.»

= كالتجسس لحسابه على بلاد المشرق وأفريقية ، وسفيرا له الى أفريقية لاحكام الصلة معها ، وقام بالوساطة بين مولدى وعرب مدينة غرناطة ، وتوفى عقب عودته منها فى عام ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، وينسب اليه تأليف كتاب « الرايات »عن الفتح الاسلامى لايبيريا فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م . أنظر . محمد بن مزين ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٣ ، ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، مصر ١٩٥٦ ، ٢ ص ٦٧٠ ، بالنثيا ، نفسه ، ف ٦٣ ص ١٩٦ .

(١) عن أعماله ، أنظر . الحميدى ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٩٧ ، الضبى ، نفسه ، رقم ٣٢٩ - ٣٣٠ ص ١٤٠ ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب ، ٣ ص ٨٧ ، بالنثيا ، نفسه ، ف ٦٣ ص ١٩٧ .

(٢) حققها ونشرها جاينجوس Gayangos بنفس العنوان فى مجلة : MRAH 1850, 8pp 5-100

(٣) أنظر . Ballester, Las Fuentes Narrativas de la Historia de Espana, Mallorca 1908, pp. 68-69: Dozy, Introducion, p 24, السيد سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٤) حققه كل من كتلان D. Catalàn وأندريس De Andrés ونشراه فى عام ١٩٧٥ ، فى الجزء الثالث من مجموعة Fuentes cronisticas de la Historia de Espana التى يصدرها Seminario M. Pidal, universidad de Madrid. Facultad de Filosofia y letras.

وهذا الكتاب اول الكتب الأندلسية التى تمثل وجهة نظر امراء الأندلس من بنى امية ، وكان مؤلفه يهدف الى كتابة تاريخ الأندلس منذ فتح المسلمين ايبيريا فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م حتى عصره فقط ، اى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى (١٠ م) ، ولكنه مهد لذلك بمقدمة طويلة تشمل وصفا جغرافيا لايبيريا وحدودها حتى عصره(١) ثم مختصرا لتاريخها منذ القديم حتى قبيل الفتح الاسلامى لها(٢) . مما يجعل الكتاب اول تاريخ عام بالعربية يعالج تاريخ ايبيريا منذ فجر التاريخ حتى القرن الرابع الهجرى ، ولا يستغنى عنه اى باحث فى تاريخ اسبانيا وجغرافيتها فى العصور الوسطى ، بحيث يضعه مؤرخو اسبانيا الحديثين على رأس أهم كتب العصور الوسطى(٣) .

---

(١) هى القطعة التى حققها جاينجوس Gayangos بالاسبانية فى الملحق الأول من مقاله السابق الذكر ، ص ٣٣ - ٦٣ ، وهى نفسها التى حققها سنترا L. Cintra بالبرتغالية ضمن مدونة : Cronica geral de Espanha de 1344, Lisboa 1952 ، ثم ترجمها المؤرخ الفرنسى ليفى بروفنسال Lévi-Provençal الى الفرنسية ونشرها بعنوان : « Description de L'Espagne D'Ahmad AL-Razi » AL-Andalus 1953, 18 pp. 59-104.

(٢) حقق المؤرخ الاسبانى سابدرا Saavedra قطعة منها المتعلقة بتاريخ ملوك القوط الأواخر حتى الفتح الاسلامى ، ونشرها بالاسبانية ملحقة بكتابه : Estudio Sobre la Invasion de los Arabes, Madrid 1872, pp. 145-154. ثم حققها المؤرخ الاسبانى سانشيث البرنوث Sànchez Albornoz مع زيادة فى أولها للفترة السابقة على عهد الملك وامبا ، وتنقص فى آخرها بعض الفقرات التى تؤرخ للفتح الاسلامى حتى مقتل آخر ملوك القوط ، وذلك كملحق على مقاله بعنوان : « La cronica Del Moro Rasis y la continuatio Hispana », Anal. uni. Mad. 1934, 3 pp. 261-265. وتجدر الاشارة الى أن المؤرخ جاينجوس فى مقاله السابق الذكر ، ص ٨ - ١١ ينفى نسبة هذا الجزء المتعلق بتاريخ ايبيريا حتى الفتح الاسلامى الى الرازى ويرى أنه من وضع المترجم البرتغالى خيل بيريث ، ويعارضه فى هذا الرأى المؤرخان الاسبانيان سابدرا وسانشيث البورنوث ، اللذان يؤكدان أنه من تأليف الرازى . أنظر . Saavedra, Op. Cit., p. 9 ; Sànchez Albornoz, Adiciones al Estudio de la cronica del Moro Rasis, Madrid 1978, p. 37 Sqq.

(٣) Sànchez Albornoz, En Torno, 2 p 123.

وتزداد أهمية الكتاب بالنسبة لموضوع بحثنا فيما يتعلق بتاريخ الأندلس وطبيعة علاقتها باشتوريس بسبب أن المؤلف كان أول من استقى معلوماته عن اشتوريس من المصادر اللاتينية التى كتبت فى كل من الأندلس واسبانيا المسيحية ولا زال بعضها مفقودا فى وقتنا الحاضر ، فاحتفظ ببعض ما كانت تحويه من معلومات هامة • وفى نفس الوقت اصبح كتابه هذا مصدرا أساسيا لمؤرخى الأندلس القدماء كابن حيان ، والمؤرخين المشارقة كابن الأثير ، الذين أرخوا للمسلمين فى الأندلس وعلاقاتهم بمملكة اشتوريس وباسبانيا المسيحية على وجه العموم(١) •

يلى ذلك كتاب : « أخبار مجموعة » (٢) ، الذى نعتقد انه من تصنيف ثلاثة أو اثنين من المؤلفين عاشوا فى مدينة قرطبة ولكنهم مجهولى الاسم ، عاش أولهم فى أواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ، وآخرهم فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجرى (١٠ ـ ١١ م)(٣) • وما يدل على تعدد مؤلفى الكتاب ما يرد فيه ما نصه : « أخبرنى من سمع عبد الرحمن بن معاوية يحدث طائفة من البدو حديث هربه قال ٠٠٠ »(٤) اى أن المؤلف استقى معلوماته مباشرة من أحد المعاصرين للأمير

---

(١) انظر بتفصيل Sànchez Albornoz, La Cronica del Moro Rasis Op Cit.. p. 235 Sqq. ولنفس المؤلف « Una Cronica Asturiana Perdida », R.Filo. Hisp. Buenos-Aires 1945, 7pp 112-118.

(٢) عنوانه بالكامل : أخبار مجموعة فتح الأندلس وذكر من وليها من الأمراء الى دخول عبد الرحمن بن معاوية وتغلبه عليها وملكه فيها هو وولده والحروب الكائنة فى ذلك بينهم ، حققه لأول مرة مع ترجمة اسبانية لافونتى أى الكانترا Lafuente y Alcantara ونشره بالجزء الأول من مجموعة Col. Obr. Ar. Hist. Geog., Madrid 1867 التى تصدرها La Real Academia de la Historia كما يطلق على الكتاب أيضا اسم : Anonimo de Paris ، أى مجهولة باريس ، وبسبب وجود مخطوطته فى المكتبة الأهلية بباريس •

(٣) قارن فى ذلك : Lafuente, Op. Cit., p. VI ; Dozy, Introducion, pp. 11-12 ; Ballester, Op Cit., pp. 66-68; Barrau-Dihigo, « Recherches sur l'Histoire Politique de Royaume Asturien », R.Hisp. Paris 1921, 50 p. 56 ; Sànchez Alonso, Op. Cit., I pp 170-171.

(٤) أنظر • النص ، ص ٥٠ •

عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨ ـ ١٧٢ هـ / ٧٥٦ ـ ٧٨٨ م) • وفى مكان آخر من الكتاب يقول المؤلف : « اخبرنا محمد بن وليد »(١) وهو احد رواة الحديث الذين توفوا فى عام ٣٠٩ هـ / ٩٢١ ـ ٩٢٢ م • ثم فى مكان ثالث ما نصه : « واتصل ملك عبد الرحمن (بن محمد) خمسين سنة »(٢) وعبد الرحمن انتهى حكمه فى عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، اى ان المؤلف عاش بعد ذلك التاريخ ، ويكون من المستحيل أن يعيش مؤلف واحد طوال هذه المدة كلها •

ومع تعدد هؤلاء المؤلفين فيلاحظ ان مجموع المادة الواردة فى الكتاب تدل على أنهم اما أن يكونوا من أسرة الأمويين ذاتها ، أو من مواليها المتعصبين لها ، اذ اقتصرت عنايتهم فى الكتاب على اخبار عرب الأندلس والبيت الأموى بخاصة ، مهملين التاريخ لبقية طبقات أهل البلاد(٣) •

والكتاب يؤرخ للأندلس منذ فتحها فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م حتى نهاية حكم الخليفة الأموى عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر ، أى حتى عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، على أن الجزء الذى يتوقف بأحداث عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م ، أى حتى نهاية حكم عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل ، يعتبر سجلا تاريخيا من الطراز الأول ، ويمثل أوفر مادة الكتاب وأوضحها ، فيحوى روايات متكاملة مطولة حافلة بالتفاصيل الهامة لموضوع البحث عن مراحل الفتح الاسلامى لايبيريا ، وعن الأوضاع الداخلية فى الأندلس ، كبدايات النزاع بين العرب والبربر من ناحية وبين العرب بعضهم البعض من ناحية أخرى ، وتطور هذا النزاع الى حروب أهلية استمرت حتى قيام الامارة الأموية فى عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، ثم الثورات والمصاعب المتعددة التى واجهت أول أمير أموى ، ومعلومات طيبة عن طبيعة علاقة الأندلس باشتوريس وبلاد البشكنس ، وهى معلومات توضح مدى الارتباط العضوى بين هذه العلاقات وما كانت تمر به الأندلس من صعوبات داخلية •

---

(١) أنظر • النص ، ص ١٤٧ •

(٢) أنظر • النص ، ص ١٥٤ •

(٣) أنظر • بالنثيا ، نفسه ، ف ٦٤ ص ٢٠٢ •

ومجموع المادة الواردة فى هذا الجزء تجعلنا نعتقد أن مؤلفه لا بد أن يكون رجل حرب لأنه لا يقف باهتماماته عند الحملات الحربية فحسب ، وانما يعرض لما يستخدم فيها من ذكاء وحيلة ، ويشرح التحركات الفنية القتالية كما لو كان خبيرا واسع التجربة ، ويعتمد فى معرفته على العلم والتقاليد العسكرية .

وهو سياسى أيضا ، يرد الأحداث الى أسبابها الحقيقية ، ويستخف بأقاويل العامة . وهو قرطبى يتحدث عن الأمكنة فيها كمن شهدها ، فيعرض لما طرأ عليها من عمران ، ويقدم تفسيرا لما أصابها من تغيير . وهو عربى يحفظ من الذاكرة أسماء القبائل العربية الكثيرة ، وروابط الصداقة أو العداوة بينها . وهو من البيت الأموى اذ يهتم بذكر الأحداث التى قام بها أفراد يرتبطون بأسرته(١) .

أما الجزء الذى يؤرخ للأندلس منذ عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م فصاعدا ويتوقف بأحداث عام ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م الذى توفى فيه الأمير عبد الله ابن محمد ، فلا يعتبر تاريخا بالمعنى المعروف مثل الجزء السابق عليه ، وانما مجموعة من الموضوعات الدينية والحكايات والنوادر الموجزة والقصائد الشعرية عن أمراء الأندلس خلال هذه الفترة ، مما يوحى بأن كاتب هذا الجزء فقيه أديب ينتسب الى قبيلة قريش . وان كانت مثل تلك الموضوعات تبرز مدى الميول الأدبية لأمراء أندلس تلك الفترة وفضائلهم وعنايتهم بالعلم فهذا لا ينفى احتوائها على بعض الاشارات التاريخية ، التى تفيدنا فى التعرف على أحوال الأندلس أو علاقتها باشتوريس .

ومع هذا التفاوت فان مؤلفى هذا الكتاب قد تتبعوا أخبارهم من جميع مصادرها السماعية والكتابية وتوخوا فيها الدقة(٢) ،

---

(١) انظر بتفصيل . الطاهر مكى ، دراسات أندلسية ، دار المعارف ١٩٨٣ ، ص ٣٤ – ٣٧ .

(٢) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، ص ٣٣٩ .

والبعد عن الأساطير(١) ، ما جعل للكتاب قيمته التاريخية الكبيرة وأحقيته ليكون مصدرا أساسيا وهاما لدراسة تاريخ المسلمين فى الأندلس .

ثم كتاب : « تاريخ افتتاح الأندلس »(٢) ، المنسوب لابن القوطية (ت قرطبة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) ، أى من أصل قوطى وان صار مولى لبنى أمية اذ كان جده الأعلى مولى للخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، وكان « حافظا للخبر النادر ، مضطلعا بأخبار الأندلس ، مليا برواية سير أمرائها ، وأحوال فقهائها وشعرائها ، يملى ذلك عن ظهر قلب »(٣) . ومن المرجح أن الكتاب ليس من تأليفه وانما من املائه على أحد تلامذته ممن كانوا يحضرون دروسه فى التاريخ لأن الرواية ترد فيه على لسان أحدهم ، فضلا عن أن بعض تلاميذه من مؤلفى التراجم لم يذكروا هذا الكتاب ضمن ما ألفه ابن القوطية(٤) .

والكتاب عبارة عن مجموعة من الأخبار المتفرقة التى تبدأ بأخبار الأندلس من بداية الفتح الاسلامى حتى وفاة الأمير الأندلسى عبد الله بن محمد فى عام ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م . وبسبب انتساب ابن القوطية

---

(١) بالنثيا ، نفسه ، ص ١٩٩ .

(٢) تحقيق عبد الله الطباع ، بيروت ١٩٥٨ . وقد ترجمه الى الفرنسية Cherbonneau ونشر بعنوان : Histoire de La Conquête de L'Espagne par Les Musulmans Traduite De La Chronique d'Ibn-EL Kouthya, Journal Asiatique, Paris 1853, 1856.

(٣) قارن : ابن الفرضى ، نفسه ، ٢ ص ٧٦ – ٧٧ رقم ١٣١٨ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، بيروت ١٩٧١ ، ٤ ص ٣٦٨ رقم ٦٥٠ . وعن ابن القوطية نفسه ، أنظر بتفصيل . بروكلمان ، تاريخ الأدب ، ٣ ص ٨٩ – ٩٠ ، بالنثيا ، نفسه ، ف ١٦٥ أ ص ٢٠٢ . Pons Boigues, Op. Cit, pp. 83-84.

أنظر بتفصيل ، الطاهر مكى ، دراسات أندلسية ، ص ٣٩ – ٤٠ .

لأصل قوطى فلم يخل الكتاب من تلميحات ذى طابع متعصب لأصله(١) ، كما انه لم ينس انتسابه الى بنى أمية عن طريق الـولاء فلم يبد أى تعاطف مع المناوئين لهم فى الأندلس(٢) ٠

ومن ناحية أخرى ، فالكتاب يحوى مادة علمية متنوعة وتفاصيل ذات اهمية لموضوع البحث ، وهى تفاصيل لم يرد معظمها فى غيره من الكتابات التى أشرنا اليها من قبل ، مثل فتن العرب والموالى خلال عصر الامارة الأموية فى الأندلس ، ومحاولات المولدين الاسبان الانفصال عن سلطان الامارة ، أو الخروج عليها ومناوأتها بمعاونة ملوك أشتوريس أحيانا ، فضلا عن محاولات خلفاء بغداد فى القضاء عليها ، وتهديدات النورمان - الذين تعرفهم المصادر العربية أحيانا بالمجوس - لشواطىء الأندلس ، ثم علاقات أمراء بنى أمية بأشتوريس وغالة ، مما يجعل هذا الكتاب فى طليعة المصادر التاريخية الأندلسية التى لا غنى عنها ، حتى ان المؤرخ الهولندى دوزى Dozy يصفه بقوله : « قل أن يوجد مثله عند الموالى الآخرين »(٣) ٠ هذا فضلا عن بساطة الكتاب وأمانة كاتبه التاريخية ٠

يلى ذلك كتاب : « المقتبس » ، لابن حيان (٤) (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ /

---

(١) عن هذه التلميحات ، أنظر ٠ بالنثيا ، نفسه ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، أحمد مختار العبادى ، نفسه ، ص ٣٣٨ ، الطاهر مكى ، نفسه ، ص ٤٤ وما بعدها Sànchez Albornoz, En Torno, 2pp. 168-169.

(٢) Dozy, Introducion, p. 30 ; Sànchez Alonso. Op. Cit., Ipp. 173-174.

(٣) Dozy, Loc. cit.

(٤) هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ، كان جده الأعلى مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وقد ولد وتوفى فى قرطبة ، وعنه بتفصيل ، أنظر ٠ Gendron, « Historiografia Medieval Hispana Arabica » AL-Andalus 1972, 37 p. 379 ; Garcia Gomez,. « A Proposito de Ibn-Hayyan », Al-Andalus 1946, 2 pp 400- 406 ; Antuna, « Ibn Hayyan de Cordoba y Su Historia de la Espana Musulmana » CHE, 4 pp. 11-18 ; Sànchez Alonso, Op. Cit., pp. 175-176.

٩٨٧ - ١٠٧٦ م)شيخ مؤرخى الأندلس(١) ، وصاحب لواء التاريخ فيها ، وانصح الناس فيه ، واحسنهم نظما له(٢) ، الف فيه تاليف هامة (٣) فقدت كلها مع الأسف ، باستثناء اجزاء قليلة منها ، ومن بينها بعض أجزاء الكتاب المشار اليه ، الذى يؤرخ فيه للأندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عام ٣٦٦ هـ /٩٧٦ م على وجه التقريب ٠ ولحسن الحظ فان بعض ما عثر عليه من قطع من هذا الكتاب يغطى احداث عدد من السنين التى يعالجها موضوع البحث(٤) ، ومعلوماته بالغة القيمة لا توجد معظمها فى غيره من الكتب الأندلسية السابقة عليه ٠

فالقطعة الأولى حقق المؤرخ الفرنسى ليفى بروفنسال Lévi-Provençal فقرات منها مع ترجمة اسبانية ، بالتعاون مع المؤرخ الاسبانى جومث غرسية Gomez Garcia ، بعنوان : « Textos Inéditos del Moqtabis de Ibn Hayyan Sobre los Origenes del Reino de Pamplona » (٥) أى : « نصوص غير منشورة من المقتبس لابن حيان عن أصول مملكة بمبلونة » وهى نصوص انتقاها هذان المؤرخان من قطعة - كانت بحوزة الأول من كتاب المقتبس(٦) - تعالج أحداث الفترة بين عامى

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ١ ص ١١٧ ٠

(٢) ابن خلكان ، وفيات ، ٢ ص ٢١٨ ، ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ١ ص ١٥٣ رقم ٣٤٥ ، الضبى ، بغية ، ص ٢٦٠ رقم ٦٧٩ ٠

(٣) عن هذه الأعمال بتفصيل ، أنظر ٠ Garcia Gomez, Op. Cit., op 406-418 ; Gendron, Op. Cit., pp 373-380 ; Antuna, Op. Cit., pp. 18-34; بالنثيا ، نفسه ، ص ١٤٦ - ١٥٣ ، ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق مكى ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٥٦ - ٦١ ، ٦٥ - ٨٥ ٠

(٤) عن مخطوطات كتاب المقتبس وما نشر منه حتى الآن ، أنظر ٠ ابن حيان ، نفسه ، ص ١٤٦ - ١٥٣ ٠

(٥) AL-Andalus 1954, 19 pp 295-315.

(٦) كان ليفى بروفنسال ينوى تحقيقها ونشرها بالاشتراك مع المرحوم عبد الحميد العبادى ، الا أن الأجل لم يسعف كليهما فتوفيا تباعا ، واختفت أخبار تلك القطعة الهامة من المقتبس ٠

١٨٣ - ٢٦٤ هـ / ٧٩٩ - ٨٧٨ م ، وهذه النصوص تتعلق ببدايات مملكة بمبلونة (نبرة) من بلاد البشكنس وعلاقاتها بامارة قرطبة وقتذاك ، وموقف حكام الثغر الأعلى الأندلسى ومملكة أشتوريس من هذه المملكة التى ظهرت خلال القرن التاسع الميلادى .

والقطعة الثانية بعنوان : « المقتبس من انباء أهل الأندلس »(١) ، تتناول أحداث السنوات الأخيرة من امارة عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط والجزء الأكبر من امارة خليفته وابنه محمد ، أى بين عامى ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م ، وتشتمل على معلومات هامة عن أوضاع الأندلس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية فى تلك الفترة ، وفيها تفاصيل جديدة مثيرة عن علاقة هذين الأميرين بنوابهم فى الثغر الأعلى ، وبالبشكنس فى بمبلونة ، وبمملكة أشتوريس والفرنجة ، مما أوضح طبيعة ونوعية وأهداف العلاقات بين أشتوريس من ناحية وبين حكام الثغر الأعلى وبمبلونة والخارجين على أميرى قرطبة من ناحية أخرى .

أما القطعة الثالثة فهى بعنوان : « المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس » (٢) ، وتشمل تاريخ الأندلس فى عصر الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٢٩٨ هـ / ٨٨٧ - ٩١٠ م) ، ويركز فيها ابن حيان على أخبار المخالفين والخارجين من العرب والبربر والمولدين على سلطان هذا الأمير فى داخل الأندلس ، وأحوال الثغر الأعلى الأندلسى وطبيعة ما ساد من علاقات بين حكامه وبين الأمير القرطبى ، وانعكاساتها على موقف أشتوريس من أمير قرطبة ومن الخارجين عليه فى داخل الأندلس .

---

(١) تحقيق مكى ، بيروت ١٩٧٣ .

(٢) تحقيق ملشور أنطونيا Melchor Antuna ، فى مدينة باريس Paris عام ١٩٣٧ . وقد ترجمت تلك القطعة الى الاسبانية ونشرت تباعا فى مجلة .CHE فى الأجزاء ١٣ - ٣٢ ، بين عامى ١٩٥٠ - ١٩٦٠ م .

وفى الواقع ، فان كتابات ابن حيان تستحق منا نظرة تامل ، اذ انها تمثل طفرة فى تطور علم التاريخ ومنهجه فى الأندلس(١) ، فتعالج تاريخ الأندلس معالجة شاملة لنواحى النشاط الانسانى فى الحقبة التى يؤرخ لها ، واتبع فيها منهج الكتابة على حسب العهود عهدا بعد الآخر ، وايضا على حسب المنهج الحولى . اذ يبدأ بالحديث عن سيرة الأمير وشخصيته وأخلاقه ورجال دولته والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية والأحداث الكبرى فى عصره ، وطرفا من حياة الناس اليومية ، ثم ينتقل الى سرد الأحداث فى تفصيل بترتيب السنوات ، مهتما بابراز المادة التاريخية فى أسلوب واضح ودقة فى اختيار الألفاظ والتزام فى تحديد التواريخ وضبطها .

كذلك فكان اعتماد ابن حيان على مصادر مكتوبة وليس على الرواية الشفهية ، ولم يكن مجرد ناقل من هذه المصادر ، وانما أخضع رواياتها لميزان علمى نقدى ، بان قارن بينها وفحصها ليتحرى الحقيقة فى نزاهة وحياد(٢) ، بحيث اشتهر عنه عدم اعتماد الكذب(٣) .

ومن ناحية أخرى ، فان ما أورده ابن حيان من أخبار عن اسبانيا المسيحية بما فيها أشتوريس ينم عن معرفته الدقيقة بكل أحوالها وانساب حكامها ، أكثر من معرفة كثير من مؤرخى عصره من المسيحيين مما جعل المؤرخين الحديثين ، والأوربيين بخاصة ، يقدرون كتاباته ويعكفون على دراستها لأهميتها الفائقة فى استجلاء جوانب التاريخ الاسبانى بشطريه الاسلامى والمسيحى(٤) .

---

(١) عن هذا المنهج أنظر بتفصيل . السيد سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص ٧٨ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكى ، ص ٨٥ - ٨٨ ، ١٠٤ - ١١١ ، لطفى عبد البديع ، نفسه ، ص ٧٠ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكى ، ص ٨٩ - ٩٢ ، Garcia Gomez, Op. Cit., p. 419-420, Antuna, Op. Cit., pp 34-36 ; Sanchez Albornoz, En Torno, 2pp. 207-208.

(٣) ابن خلكان ، نفسه ، ٢ ص ٢١٩ ، ابن بشكوال ، نفسه ، ١ ص ١٥٣ .

(٤) بالنثيا ، نفسه ، ص ٢١١ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكى ، ص ٩٨ - ١٠٤ ، Dozy, Introducion, pp. 64,73 ; Gendron, Op. Cit., pp. 391-392.

واذا كان لابن حيان فضل الاحتفاظ ببعض ما احتوته الكتب التي اعتمد عليها من مادة تاريخية ، فقد أصبحت كتاباته بدورها أساسا للمؤرخين اللاحقين له ، واعتمدوا عليها اعتمادا كبيرا(١) بحيث ان كتاباتهم تشتمل على نقول كثيرة من كتاباته التي مازالت مفقودة حتى وقتنا الحاضر .

يلي ذلك كتاب : « فتح الأندلس »(٢) ، لمؤلف لا زال مجهول الاسم ، من المرجح أن يكون أحد علماء القيروان في أفريقية(٣) ، كتبه خلال السنوات الأولى من القرن الثاني عشر الميلادي(٤) ، وفيه يؤرخ للفتح الاسلامي لايبيريا ، وتاريخ ولاتها وأمرائها حتى قريبا من عصره(٥) . ويمتاز هذا الكتاب بالتفصيل الوافي عن وقائع النزاع وتطوراته بين العرب والبربر المسلمين ، ثم بين العرب بعضهم البعض خلال عصر الولاة ، والقحط الذي أصاب الأندلس آنذاك ، وأثر ذلك كله في اخلاء البربر لمناطق استيطانهم في جليقية وأشتوريس بالشمال الاسباني ، واستيلاء أول ملك أشتوري على هذه المناطق . ولا يغفل المؤلف أيضا الاشارة الى بعض حملات المسلمين الى اسبانيا المسيحية حتى بدايات عصر الامارة الأموية ، وان كان يغفل ذكر هذه الحملات بقية عصر الامارة .

وكتاب : « الاكتفاء في أخبار الخلفاء » ، لابن الكردبوس(٦) ،

Garcia Gomez, Op. Cit., pp. 420-423 ; Antuna, Op. Cit., pp 63-71.

(٢) حققه خواكين دي جونثالث Joaquin de Gonzàlez ونشره مع ترجمة اسبانية بعنوان : Fatho-L-Andaluci, Historia de la Conquista De Espana, Argel 1889.

(٣) Sânchez Alonso, Op. Cit., I p 179

(٤) Sânchez Albornoz, En Torno, 2p 211.

(٥) عن المصادر التي يرجح اعتماد المؤلف عليها ، أنظر Sànchez Albornoz, Op. Cit., 2 pp. 212-216.

(٦) ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري ، نسبة الى مدينة توزر احدى مدن أقصى افريقية . عنها أنظر . ياقوت ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ١٣٢٤ ، ٢ ص ٤٢٨ – ٤٢٩ . وعن المؤلف ، أنظر . أحمد العبادي ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ١٣ ، ٦٥ – ١٩٦٦ ، صفحات ٧ – ١٥ .

الذي عاش في اواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر م . وقد تناولت القطعة المتعلقة منه بالأندلس(١) تاريخا مختصرا لها منذ الفتح الاسلامي حتى عصر المؤلف ، الا ان بها مادة خصبة قيمة تمتاز بالدقة والعمق ، وتنفرد بمعلومات جديدة غير متوفرة في غيرها من المصادر . كوصف عملية نزول الجيش الاسلامي على الساحل الاسباني وصفا يوضح عظم المقاومة التي لاقاها منذ بداية الفتح . بيد أن المؤلف أهمل جانب أشتوريس فلم يؤرخ لفتحها ، ولا لما حدث بها من اضطرابات فيما بعد .

أما كتاب : « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » ، لابن عذارى المراكشي(٢) (ت اواخر القرن السابع هـ / الثالث عشر م) ، فان الجزء الثاني(٣) منه يعتبر من المصادر التاريخية الهامة التي تؤرخ في تفصيل للمسلمين في ايبيريا منذ الفتح حتى اواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(٤) ، ويمدنا بعديد من الموضوعات المفيدة لموضوع البحث ، كثورة البربر في الاندلس ونتائجها على البربر المقيمين في جليقية وأشتوريس ، وبدايات نزاع العرب في الاندلس وتطوراته حتى نهاية عصر الولاة ، ومصاعب أمراء الأندلس مع المولدين والبربر والعرب الذين استمد بعضهم بالمسيحيين سواء في أشتوريس أو في بمبلونة ، ورد الفعل الاسلامي على هذا التعاون ، وحملات المسلمين المتتابعة على أراضي اسبانيا المسيحية بما فيها أشتوريس ، ثم غارات النورمان (المجوس) على كل من سواحل الأندلس واسبانيا المسيحية .

وفضلا عن ذلك ، فللكتاب أهمية أخرى اذ أن كثيرا مما ورد فيه قد نقله ابن عذارى دون تغيير أو تبديل من المصادر الأندلسية والمغربية

---

(١) نشر وتحقيق أحمد العبادي ، بعنوان : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط – نصان جديدان – صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد ١٣ ، ٦٥ – ١٩٦٦ ، ص ٤١ وما بعدها .

(٢) عنه وعن كتابه بتفصيل ، أنظر . Sànchez Albornoz, En Torno, 2 p 255 Sqq. ، السيد سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٠٠ – ١٠٢ .

(٣) حققه ليفي بروفنسال Lévi-Provençal بالاشتراك مع كولان Colin ، ليدن ١٩٥١ م .

(٤) Dozy, Introducion, p.6.

التى كانت متوفرة فى أيامـــه ، ثم فقدت حتى وقتنا الحـاضر ، وبهذا
احتفظ لنا بما كانت تحويه هـذه المصادر من مادة تاريخية تفيد
موضوع البحث ، بل ان بعض هـذه المادة يعوض لنا النقص فى أخبار
الفترة التى تؤرخ لها الأجزاء التى لا زالت مفقودة من كتاب ابن حيـان
السابق الذكر .

ثم كتاب : « تاريخ اسبانيا الاسلامية » (١) ، لابن الخطيب(٢)
٧١٣ – ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ – ١٣٧٤ م ، الذى ألفه عن تاريخ ايبيريا منذ
الفتح الاسلامى حتى عصره ، مرتبا على حسب تتابع ولاتها وأمرائها
ومتبعا فى ذلك ما ورد عند ابن عذارى السابق الذكر دون اختلاف كبير ، على
أنه أول التواريخ الشاملة لاسبانيا المسيحية والاسلامية الذى يصل
الى ايدينا كاملا من بين المصادر الاسلامية الاندلسية والمشرقية على حد
سواء ، فضلا عن أن مؤلفه قد أفرد فيه فصلا قائما بذاته عن تاريخ
الممالك المسيحية الاسبانية حتى عصره ، وذلك بعنوان : « ذكر التعريف
بما أمكن من ملوك النصارى بالأندلس على الاختصار »(٣) ، استقى
مادته من مختصر لمدونة الفونسو العاشر وافاه به أحد أصدقائه من يهود
قشتالة(٤) ، وان اقتصر فيه على تتابع ملوكهم ومدة حكم كل منهم ،
مع بعض الاشارات التاريخية المقتضبة ، على الأقل فى الفترة التى
يعالجها البحث .

---

(١) حققه ليفى بروفنسال Lévi-Provençal ، ط ٣ ،
بيروت ١٩٥٦ . وهو الجزء الثانى من كتاب ابن الخطيب المعنون : « أعمال
الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام » .

(٢) عنه أنظر . بالنثيا ، نفسه ، ف ٨١ ص ٢٥٢ وما بعدها ،
ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٥ – ١١ ، الحسن بن
محمد السائح ، منوعات ابن الخطيب ، المغرب ١٣٩٨ / ١٩٧٨ ، ص ٣٥
– ٤٢ ، Pons Boigues, Op. Cit., p. 334 Sqq.

(٣) ص ٣٢٢ – ٣٣٨ من الكتاب المذكور ، وقد نشر هذا الفصل متنا
وترجمة اسبانية ملشور أنطونيا M. Antuna ، بعنوان : « Una Version
Arabe Compendiada de la Estoria de Espana de Alfonso EL Sabio. »
AL-Andalus 1933, Ipp 105-154.

(٤) أنظر . ابن الخطيب ، تاريخ ، ص ٣٢٢ ، Sànchez Alonso,
Op. Cit., Ip 279.

ثم كتاب : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون(١)
(٧٣٢ – ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ – ١٤٠٥ م) ، فى عـدة أجزاء ، الجزء الأول
منها هو المقدمة الشهيرة(٢) التى تتناول معلومات هامة عن حضارة
المسلمين فى الأندلس ، فى حين تناول الجزء الرابع (٣) تاريخ المسلمين فى شبه
جزيرة ايبيريا حتى عصره . وهو كتاب له قيمته ، وبخاصة ان المؤلف
اورد – مثل ابن الخطيب – فصلا خاصا عن الممالك المسيحية فى
اسبانيا(٤) ، وهو فصل اثنى عليه المؤرخون الأوربيون الحديثون ،
فيرون أنه منقطع النظير لا يوجد ما يستحق ان يقارن به فى ابحاث
مؤرخى الغرب الذين لم يوفق أى منهم الى تدوين تاريخ عن هذه الممالك
بمثل الدقة والوضوح اللذين يتسم بهما تاريخ ابن خلدون »(٥) . وفى
الواقع فقد زودنا ابن خلدون فى هذا الفصل بمعلومات عن تاريخ اسبانيا
المسيحية استقاها من ابن حيان وابن الخطيب السابقين عليه ، وان
كان يشوب بعض معلوماته أخطاء تحتاج الى تقويم ، مثل نسبة
بلاجيوس أول قواد حركة المقاومة فى اقليم أشتوريس الى اصل أشتورى
وليس الى أصل قوطى ، وكذلك تاريخ وفاته ، فضلا عن اغفاله ذكر بعض
ملوك أشتوريس واسقاط مدة حكمهم كلية .

وكتاب : « ذكر بلاد الأندلس »(٦) ، لمؤلف مغربى مجهول الاسم
عاش أواخر القرن الرابع عشر الميلادى أو بداية القرن الذى يليه(٧) ، وهو

---

(١) عنه وعن حياته وأعماله بتفصيل ، أنظر . على عبد الواحد ،
عبد الرحمن بن خلدون ، الاعلام رقم ٧ ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٣
وما بعدها ، بالنثيا ، نفسه ، ف ٨٢ ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٢) كتاب التحرير ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

(٣) بيروت ١٩٦٨ م .

(٤) أنظر أعلاه ، ٤ ص ٣٨٥ وما بعدها ، والفصل بعنوان : « الخبر
عن ملوك بنى أذفونش من الجلالقة ملوك الأندلس بعد القوط ولعهد
المسلمين وأخبار من جاورهم من الفرنجة والبشكنس والبرتغال والالمام
ببعض أخبارهم » .

(٥) Dozy, Recherches. Ip 60 .

(٦) حققه لويس مولينا Luis Molina ، مدريد ١٩٨٣ فى
جزأين ، وقد اختص الأول بالنص العربى ، والثانى بالترجمة
الاسبانية .

(٧) أنظر . مقدمة الكتاب ، ص I× و XIX.

كتاب جغرافي تاريخي على قدر كبير من الأهمية لأن مؤلفه استقى مادته من الكتابات السابقة عليه ، فنقل فقرات ضائعة من كتابات العذري وابن حيان على الخصوص ، ثم أعتمد عليه بعض المؤرخين اللاحقين له مثل المقرى (١) . والكتاب يبدأ بمقدمة جغرافية طويلة عن الأندلس ومدنها واحدة بعد الأخرى ، يليها عرض تاريخي لمن نزلها من الأمم والملوك منذ القديم حتى القرن الخامس الهجرى / ١١ م . وما يهم موضوع البحث من أجزاء هذا الكتاب هو القسم الجغرافى فضلا عن الفصلين اللذين يعالج المؤلف فيهما تاريخ الأندلس خلال عصرى الولاة والامارة ، فيورد معلومات طيبة عن أحوالها الداخلية ونشاطات ولاتها وأمرائها ضد مسيحيي أشتوريس .

وكتاب : « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب »(٢) ، للمقرى(٣) (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) ، وهو كتاب عظيم القيمة والفائدة ، ومصدر أساسى للباحثين فى تاريخ الأندلس على الخصوص رغم تصنيفه المتأخر ، وميل مؤلفه فيه الى النقل أكثر من التحقيق والتمحيص(٤) ، لأنه احتفظ لنا بفقرات اما بنصها او ملخصة من الكتابات المفقودة لمؤرخى الأندلس الأوائل ، كالرازى وابن حيان والحجارى (ت ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م)(٥) ، وتحوى هذه الفقرات معلومات هامة عن وصف الأندلس جغرافيا ، وتاريخ المسلمين

---

(١) أعلاه ، ص XIV حتى XVIII.

(٢) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٩ م ، وعلى الأخص الجزءان الأول والرابع .

(٣) نسبة الى مقرة من أعمال قسنطينة بالجزائر ، وعنه بتفصيل ، أنظر . محمد عبد الغنى حسن ، المقرى صاحب نفح الطيب ، أعلام العرب رقم ٦٠ ، ص ١٢ – ١٣ ، ٢٠ ، ٢٣ – ٢٤ ، بالنثيا ، نفسه ف ٩٣ ص ٣٠٢ – ٣٠٤ ، الطاهر مكى ، دراسة فى مصادر الأدب ، دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٤) عن منهج المقرى فى كتابه أنظر ، محمد عبد الغنى حسن ، نفسه ، ص ٨٧ – ٨٨ ، ١١٢ – ١١٣ ، ١١٨ ، ١٥٢ – ١٥٣ ، الطاهر مكى ، نفسه ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٥) عنوان كتاب هذا الأخير : « المسهب فى فضائل المغرب » ، مفقود ولم يصلنا منه الا ما أورده المقرى من فقرات نقلها منه ، أنظر . Sànchez Alonso, Op. Cit., I p. 191.

فيها ، وعلاقات امرائهم بملوك اشتوريس . حقيقة ان بعض هذه المعلومات متقضبة ومضغوطة بسبب الاختصارات التى عمد اليها المقرى أحيانا ، وعلى الأخص ما يتعلق بالحملات الاسلامية على اشتوريس وبلاد البشكنس (نبرة) ، الا انها معلومات مفيدة حين مقارنتها وربط خيوطها وعناصرها بما ورد فى الروايات الاسلامية واللاتينية الأخرى .

اما المصادر التاريخية الاسلامية التى الفها المؤرخون المشارقة ، وقت أن كانت الأندلس تابعة للمشرق أو بعد أن استقلت عنه ، فلها هى الأخرى أهميتها فى موضوع البحث ، اذ اعتمدت على كتابات اندلسية لا زلنا نفتقد بعضها حتى الوقت الحاضر ، وتناولت التاريخ للمسلمين فى الأندلس ، فألقت الضوء على الجذور البعيدة لأسباب معاناتها من صراعات العرب والبربر ، ومدى تأثيرها على أوضاع المسلمين هناك . ومن امثلة هذه الكتب كتاب : « فتوح مصر والمغرب والأندلس »(١) ، لابن عبد الحكم المصرى(٢) (١٨٧ – ٢٥٧ هـ / ٨٠٣ – ٨٧١ م) كأقدم كتاب عربى يصلنا عن تاريخ المغرب والأندلس حتى منتصف القرن الثامن الميلادى تقريبا ، وابعدها عن الأساطير او المبالغات(٣) ، فضلا عن اعتماد كثير من المؤرخين اللاحقين عليه .

على أن الكتب المشرقية التى تبذ غيرها فى قيمتها الحقيقية لموضوع البحث كتابان لم يقتصرا على تاريخ الأندلس وحدها ، وانما اشتملا على تاريخ اسبانيا المسيحية وعلاقتها بالمسلمين . ورغم أن تصنيفهما متأخر فانهما اعتمدا على كتب المؤرخين الأندلسيين التى لا زال بعضها مفقودا ،

---

(١) نشر بالعربية عدة مرات مع ترجمات انجليزية أو فرنسية ، واعتمدنا على ترجمة تورى Torrey بعنوان : The History of the Conquest of Egypt, North Africa and Spain, Leyden 1920.

(٢) عنه ، أنظر . بروكلمان ، تاريخ الأدب ، ٣ ص ٧٥ – ٧٦ .

(٣) أنظر . أحمد مختار العبادى ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ ، Sànchez Albornoz, En Torno, 2pp 65-66.

فاحتفظا لنا بأخبار يصعب الحصول عليها ٠ وأول هذين الكتابين كتاب : « الكامل فى التاريخ »(١) ، لابن الأثير (٢) (٥٥٥ – ٦٣٠ هـ / ١١٦٦ – ١٢٣٣ م) ، الذى اتبع فيه النظام الحولى فى التاريخ للمسلمين بعامة حتى عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م ، وان كانت روايته عن تاريخ الأندلس تقف عند النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / ٩ م ، وربما بسبب توقف المصدر الذى كان ينقل عنه ابن الأثير ٠

وثانى هذين الكتابين كتاب : « نهاية الأرب فى فنون الأدب »(٣) ، للنويرى(٤) (٦٧٧ – ٧٣٢ هـ / ١٢٦٧ – ١٣٣٢ م) ، وهو كتاب موسوعى ضخم يتناول عدة فنون من بينها التاريخ ، الذى خصصه المؤلف لتاريخ الدول الاسلامية واحدة بعد الأخرى ، متبعا المنهج الحولى فى ذكر أحداث كل دولة ٠ وتحوى روايته عن الأندلس معلومات قيمة وهامة مثل التى أوردها ابن الأثير ، وان لم يتوقف مثله بتاريخها حتى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وانما واصل روايته عنها حتى قريبا من عصره ٠

والى جانب الكتب التاريخية ، يجب أن نفرد مكانا فى مصادرنا لكتب التراجم الأندلسية ، وهى وان كانت ترجمات لفقهاء الأندلس وقضاتها وعلمائها ورواتها وولاتها وأمرائها والمشهورين منهم ، ولا تندرج بالتالى ضمن كتب السيرة التى تعنى بالأخبار وتتبعها والاستطراد فيها ، فانها ذات فائدة بما توردة من معلومات تاريخية متنوعة ٠ ومن هذه الكتب كتاب :

---

(١) القاهرة ١٣٥٧ هـ ، فى عدة أجزاء ، وعلى الأخص الأجزاء من ٤ – ٦ ٠

(٢) عنه أنظر ٠ ابن خلكان ، نفسه ، ٣ ص ٣٤٨ – ٣٤٩ رقم ٦٠ ، Bleye, Manual de Historia de Espana, Madrid 1975, 1p 542.

(٣) نشر جسبار رميرو Gaspar Remiro القطعة المتعلقة بتاريخ الأندلس والمغرب متنا وترجمة اسبانية ، فى مدينة غرناطة Granada عام ١٩١٧ م ، وهى ذات القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة ، ثم حققتها أخيرا وأصدرتها الهيئة العامة للكتاب ٠

(٤) عنه ، أنظر ٠ السيد سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٩٩ ، Sànchez Albornoz, En Torno, 2p 265 ; Sànchez Alonso, Op. Cit., 1pp 281 - 282.

تاريخ علماء الأندلس(١) ، لابن الفرضى(٢) (٣٥١ – ٤٠٣ هـ / ٩٦٢ – ١٠١٢ م) ، وكتاب : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس(٣) ، للحميدى(٤) (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) ، وكتاب : بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس (٥) ، للضبى(٦) (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) ، وكتابى : الصلة(٧) والحلة السيراء(٨) ، لابن الأبار(٩) (٥٩٤ – ٦٥٩ هـ / ١١٩٨ – ١٢٦٠ م) الذى يقدر المؤرخون الأوربيون كتابه الأخير لأنه يضم قدرا هائلا من المعلومات عن شتى الموضوعات ، ويصور تاريخ الأندلس على نحو يدعو الى الاعجاب ، بحيث ينفرد بكثير مما يحدثنا عنه فلا نظفر به فى موضع آخر(١٠) ٠

ولم نهمل أيضا كتب الجغرافيا التى تناولت بالوصف شبه جزيرة ايبيريا ، اذ هى لا تقتصر على وصف البلاد جغرافيا ، وانما تشتمل على معلومات تاريخية واجتماعية واقتصادية هامة ، وهى أسس تنبنى عليها

---

(١) الدار المصرية للتأليف والترجمة ، المكتبة الأندلسية رقم ٢ ، قسمان فى مجلد واحد ، ١٩٦٦ م ٠

(٢) عنه ، أنظر ، بالنثيا ، ف ٨٤ ص ٢٧٠ وما بعدها ، ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١٣٠ ، Pons Boigues, Op. Cit., pp 105-108.

(٣) تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، تراث الأندلس ١ ، مصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م ٠

(٤) عنه أنظر ٠ ابن خلكان ، نفسه ، ٤ ص ٢٨٢ – ٢٨٣ رقم ٦١٦ ، ابن بشكوال ، الصلة ، ٢ ص ٥٦٠ – ٥٦١ ٠ Pons Boigues, Op. Cit., pp 164-167.

(٥) مجريط ١٨٨٤ م ٠

(٦) أنظر عنه ٠ ابن الأبار ، التكملة ، ١ ص ٩٣ – ٩٤ رقم ٢٤٢ ، بالنثيا ، نفسه ، ف ٨٥ ص ٢٧٦ وما بعدها ٠ Pons Boigues, Op. Cit., pp 257-259.

(٧) نشر وتصحيح السيد عزت العطار ، تراث الأندلس رقم ٥ ، جزءان ، مصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م ٠

(٨) تحقيق حسين مؤنس ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠

(٩) عنه أنظر ٠ بالنثيا ، نفسه ، ف ٨٦ ص ٢٧٧ – ٢٧٨ ، Sànchez Alonso, Op. Cit, 1p 193 ; Pons Boigues, Op. Cit., pp 291-296.

(١٠) أنظر ٠ بالنثيا ، نفسه ، ص ٢٧٩ ٠

كتابة التاريخ بصفة عامة . ومع أن اليونان والرومان كانوا أول من كتبوا عن ايبيريا الا أن معلوماتهم عنها قامت فى معظمها على السماع وحده ، وهو على عكس ما كان عليه الحال عند الجغرافيين المسلمين ، الذين اعتمدوا على المشاهدة لأنهم كانوا من أهل الأندلس أو ممن رحلوا اليها من المشرق ، مما جعل معلوماتهم أوثق وأوفى ، كما لم يقتصروا على وصف الهيئة العامة لايبيريا وانما اهتموا أيضا بوصف أقاليمها وبلدانها ومدنها والمسافات بينها وأطوالها ، وذكر بعض أوجه النشاط فيها ، ووصف سكانها وعاداتهم . ولكن لم يصرفنا ذلك عن الاستعانة بنمط من الكتابات الجغرافية اليونانية والرومانية ، مثل كتاب : « الجغرافية The Geography (١) ، لاسترابون Strabo (٦٤ أو ٦٣ ق . م — أوائل القرن الأول الميلادى) ، الذى تمثلت أهميته فى تحديد الموقع الجغرافى للشمال الايبيرى وحدوده ، وأهم معالمه الجغرافية ، وعناصر سكانه وأحوالهم الاجتماعية وأهم موارد ثرواتهم ، وهى أمور لم تتوفر فى كثير من الكتب الجغرافية الأخرى .

ومن بين المصادر الجغرافية الاسلامية نولى عناية خاصة للكتابات التى لا تقل فى قيمتها التاريخية عن المصادر التاريخية ذاتها ، مثل كتاب: « ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » ، للعذرى(٢) (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) ، الذى نشر القسم المتعلق منه بالأندلس بعنوان : « نصوص عن الأندلس »(٣) ، واهتم فيه المؤلف بذكر أقاليمها ومدنها ووصف الطرق اليها ، وما اتصل بها من أخبار وأحداث تاريخية متنوعة عظيمة القيمة لموضوع البحث ، مثل فتن العرب والبربر والمولدين ، وبخاصة فى منطقة الثغور المتاخمة لأراضى اسبانيا المسيحية فى الشمال ، وعلاقات حكام تلك الثغور بكل

---

(١) نشر بنصه اليونانى مع ترجمة انجليزية ، فى ثمانية أجزاء ، ضمن مجموعة Leob Classical Library ، فى مدينة لندن London عام ١٩١٦ م ، ويختص الجزء الثانى منها بشبه جزيرة ايبيريا .

(٢) يعرف بابن الدلائى ، أنظر عنه . ابن الأبار ، التكملة ، ١ ص ٢١٢ رقم ٥٦٨ ، الضبى ، بغية ، ص ١٨٢ — ١٨٤ رقم ٤٤٦ ، ابن بشكوال الصلة ١ ص ٦٦ — ٦٧ رقم ١٤١ .

(٣) تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مدريد ١٩٦٥ م .

من اشتوريس ونبرة (بمبلونة) ، مما جعل للكتاب قيمة تاريخية لا تقل عن الكتب التاريخية المتخصصة .

وكتاب : « المسالك والممالك » ، للبكرى(١) (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) أكبر جغرافيى الأندلس على الاطلاق ، الذى تناول فى القسم الأندلسى منه ، وهو المنشور بعنوان : « جغرافية الأندلس واوربا »(٢) ، حدود ايبيريا وأسمائها المختلفة ، وتقسيماتها الادارية التى ظلت قائمة حتى الفتح الاسلامى ، وأشهر مدنها وحصونها وثغورها وجبالها وأنهارها . وان كان ما يميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب الجغرافية أنه انفرد بوصف جغرافى لمملكة الجلالقة — أى اشتوريس — وحدودها وأقسامها وصفات أهلها وعاداتهم ومنتجاتهم .

ثم كتاب : « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » (٣) ، للادريسى(٤) (ت حوالى ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م) ، الذى يعتبر هو الآخر قمة فى علم الجغرافية عند المسلمين . وتناول فى كتابه وصف أقاليم ايبيريا ، وهو وان لم يحدد مثل البكرى أقاليم وأقسام اسبانيا المسيحية ، فانه وصفها وصفا جغرافيا طبيعيا دقيقا ، بما فى ذلك سواحلها وجبالها وانهارها ، ووصف مدنها وقراها والطرق اليها والمسافات بينها

---

(١) ولد وتوفى فى قرطبة ، عنه أنظر . بالنثيا ، نفسه ، ف ٩٥ ص ٣٠٩ — ٣١١ . Pons Boigues, Op Cit., pp 160-163 ; Sànchez Alonso Op. Cit., 1p 199.

(٢) تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ م ، وقد نشر ليفى بروفنسال Lévi-Provençal قطعة منه مع ترجمة فرنسية بعنوان : « Texte et Traduction des Passages du Début de La Description de L'Espagne D'Al-Bakri, Non Utilisés par Le Redacteur D'Ar-Rawd Almi'tar. » ذيلا على كتاب : صفة جزيرة الأندلس ، القاهرة ١٩٣٧م ص ٢٤٥ — ٢٥٢ .

(٣) طبع روما ١٥٩٢ م .

(٤) عنه أنظر . بالنثيا ، نفسه ، ف ٩٧ ص ٣١٢ وما بعدها . Pons Boigues, Op Cit, p 231 Sqq. ;Sànchez Alonso, Op. Cit, 1pp 199-200.

مبينا مراحلها ، فاوق بذلك الشمال الاسبانى المسيحى حقه من الوصف ، باكبر قدر من المعلومات فى أصغر حيز ممكن ، واستحق هو والبكرى ان يكونا رائدين جغرافيين اسلاميين فى وصف اسبانيا المسيحية .

وترتبط المعاجم بكتب الجغرافية لأنها تجمع بين المادة الجغرافية والتاريخية ، وتمثل أهمية فائقة لأى باحث فى تاريخ الأندلس وجغرافيتها ، ومن امثلتها : « معجم البلدان »(١) ، لياقوت(٢) (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، « وصفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار »(٣) ، للحميرى(٤) الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / ١٤ م .

كذلك كان للمصادر الأدبية نصيب فى المساهمة فى موضوع البحث لما لها من أهمية فى تصوير الحياة الأدبية فى الأندلس ، وما تحويه من معلومات متنوعة قد لا نجد لها مثيلا فى غيرها من الكتابات ، وأهم تلك المصادر الأدبية كتاب : « المغرب فى حلى المغرب »(٥) ، الذى أتمه ابن سعيد (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) عن وصف الأندلس وتاريخ أمرائها منذ أواخر القرن الثانى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، وأهميته تعود الى اعتماد مصنفيه على مصادر تاريخية وجغرافية لا زالت

---

(١) بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م وما بعدها ، فى عدة أجزاء .

(٢) عنه ، أنظر . ابن خلكان ، نفسه ، ٢ ص ٢١٤ ، السيد سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٣) تحقيق ليفى بروفنسال Lévi-Provençal القاهرة ١٩٣٧ م ، ثم أعاد نشره مع ترجمة فرنسية فى القاهرة عام ١٩٣٨ م .

(٤) عنه ، أنظر . بالنثيا ، نفسه ، ف ٩٦ ص ٣١١ ـ ٣١٢ ، صالح الحمارنة ، « من هو مؤلف الروض المعطار » ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ٧ ، بغداد ، ص ١٧٥ وما بعدها .

(٥) تحقيق شوقى ضيف ، جزءان ، دار المعارف ١٩٥٥ م . وهما الجزءان المتعلقان بالأندلس ، ويمثلان القسم الثانى من مجموع الكتاب . والكتاب ثمرة جهود اربعة أدباء من أسرة بنى سعيد على مدى مائة وخمس عشرة سنة ، وعن ذلك انظر . بالنثيا ، نفسه ، ف ٨٤ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، ف ٧٩ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، Pons Boigues, Op Cit., pp 221-223, 303-310 ; Sànchez Albornoz, En Torno, 2p 219-233.

مفقودة ، واحتوائه على معلومات تاريخية عديدة من فتن البربر والعرب والمولدين ، وعصيان حكام الثغر الأعلى لأمراء الأندلس ، وغزوات المسلمين الى اسبانيا المسيحية ، وعلاقات أمراء قرطبة او الثائرين عليهم بملوك اسبانيا المسيحية .

ثم كتاب « العقد الفريد »(١) ، لابن عبد ربه(٢) (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ ـ ٩٣٩ م) وهو أقدم كتاب أدبى يحوى فصلا عن تاريخ امراء بنى أمية فى الأندلس ، يبين مدى اهتمامهم بتحصين ثغورهم ، والحفاظ على حدود دولتهم ومجاهدتهم اسبانيا المسيحية ، فضلا عن قصائد شعرية تصف بعض غزواتهم اليها .

كذلك ، فقد اعتمدنا على كتب الأنساب ، مثل كتاب : « جمهرة أنساب العرب »(٣) لابن حزم(٤) (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) . وهو من أهم كتب هذا النوع وأوثقها فيما يخص الأندلس ، فأفادنا فى تحقيق أنساب الأسرات التى وليت الثغر الأعلى الأندلسى المواجه لاسبانيا المسيحية ، فضلا عن احتوائه على معلومات تاريخية هامة وعلى الأخص الدور الخطير لأسرة بنى قسى ـ التى حكمت الثغر الأعلى ـ فى الصراع بين الأندلس واسبانيا المسيحية .

---

(١) تحقيق ابراهيم الابيارى ، لجنة التأليف والنشر والترجمة . القاهرة ١٩٤٤ م .

(٢) كان مولى لبنى أمية ، وشاعر بلاطهم ، وعنه أنظر بتفصيل : بالنثيا ، ف ١١ ص ٦٢ ، ف ٥٤ ص ١٦٩ ـ ١٧٢ ، ابن خلكان ، نفسه ، ١ ص ١١٠ ـ ١١٢ رقم ٤٦ ، الضبى ، بغية ، ص ١٣٧ ـ ١٣٩ رقم ٣٢٧ ، Dozy, Introducion, pp. 27-28.

(٣) تحقيق عبد السلام هارون ، ذخائر العرب رقم ٢ ، دار المعارف ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

(٤) من أسرة اسبانية اعتنقت الاسلام ، ولكنه كان يخجل من أصله الاسبانى ، فزيف تاريخ عائلته وادعى انه فارسى الأصل من اصطخر ، أنظر عنه بتفصيل : Dozy, Introducion, pp 65-66 ; Pons Boigues, Op. Cit., p130 Sqq. ; Sànchez Albornoz, En Torno, 2pp 199-200.

وفيما عدا تلك المصادر العربية ، لدينا مصادر هامة باللغتين اللاتينية والاسبانية ، تنصب بقوة على موضوع البحث ، وهى كتابات لم تستغل الاستغلال الكافى حتى وقتنا الحاضر فى الشرق العربى ، ربما لتبعثرها بين المكتبات الأوربية وخلو مكتبات الشرق منها ، أو لطبيعة معظمها فى أنها مكتوبة باللاتينية ، دون أن تترجم بعضها الى أى لغة أوربية حديثة الا مؤخرا(١) .

وتعرف هذه الكتابات فى اللاتينية باسم Chronica — وبصيغة المفرد Chronicon — وهى لفظة من أصل يونانى(٢) ، اما فى الاسبانية فتعرف باسم Cronica ، وتعنى طريقة تسجيل الأحداث التاريخية وفق تسلسلها الزمنى ، دون أن يشترط التاريخ لها اتباع المنهج الحولى ، الذى يؤرخ للأحداث عاما بعد آخر مثلما هو الحال فى حوليات مؤرخى المسلمين القدماء ، وانما تقسيم الأحداث الى فترات زمنية بحسب تتابع الحكام والملوك والتأريخ لها دفعة واحدة ، دون الاهتمام كثيرا بربط تلك الأحداث بسنى وقوعها ، الأمر الذى يصعب معه تسمية تلك الكتابات بالحوليات ، وانما بالمدونات أو التقييدات ، وهما لفظان شاع استخدامهما بالفعل بين المؤرخين الحديثين المهتمين بالدراسات الأندلسية .

وبسبب أن المدونات اللاتينية والاسبانية المتصلة بموضوع البحث عديدة ومتنوعة ، فنفضل أن نقسمها تقسيما جغرافيا بحسب أماكن كتابتها الى نوعين : النوع الأول هو ما كتبه المسيحيون الخاضعون

---

(١) قام بعض المؤرخين الأسبان ، منذ القرن الماضى ، بترجمة بعض هذه المدونات من اللاتينية الى الاسبانية ، ولعل أهم هؤلاء المؤرخين هو ويسى M. Huici ، حيث ترجم عددا منها ، ونشرها مع النصوص اللاتينية الأصلية ، فى كتابه : Las Cronicas Latinas de La Reconquista , 2t, Valencia 1913. ، وعن بقية المؤرخين الذين ترجموا بعض هذه المدونات ، انظر قائمة المصادر .

(٢) أصلها XPOVLKA — مفردها XPOVLKOV ، وهى اللفظة التى نقلها اللاتين الى لغتهم ، واشتقت منها الكلمة الانجليزية Chronicle والفرنسية Chronique .

فى الأندلس — Los Mozàrabes أى المستعربون — للنفوذ الاسلامى ذاتها ، والثانى ما كتب فى اسبانيا المسيحية المستقلة عن النفوذ الاسلامى الأندلسى .

واقدم مدونات النوع الأول ، مدونة على جانب كبير من الأهمية ، لأنها كتبت فى الأندلس وقت ان نشط أول ملوك اشتوريس فى محاربة المسلمين ، مستغلا فى ذلك ما كانت تعانيه الأندلس من تفكك وصراعات داخلية . وفضلا عن ذلك فالمدونة هى المصدر اللاتينى الوحيد ، على نطاق ايبيريا كلها ، الذى كتب فى القرن الثامن الميلادى وبالتحديد فى عام ٧٥٤م / ١٣٦ هـ ، بايدى أحد رجال الدين المستعربين الذى يرجح أنه ايزيدور Isidore أسقف مدينة باجة Beja احدى مدن البرتغال الحالية ، ولذا اشتهرت المدونة باسمه ، أى « مدونة الأسقف ايزيدور الباجى » Isidori Pacense Episcopi Chronicon (١) .

وهذه المدونة من نوع التواريخ العامة ، فهى تؤرخ للبيزنطيين والرومان والقوط فى ايبيريا ، وللمسلمين فى المشرق والمغرب والأندلس ، فيما بين عامى ٦١١ — ٧٥٤ م(٢) . وما يهم موضوع بحثنا منها هى الفقرات التى

---

(١) نشرت عدة مرات ، وأهمها التى قام بها فلوريث H. Florez فى مجموعته : Espana Sagrada, Madrid 1769, 8pp 269-325. ثم نشرها دى اسكوبار M. de Escobar بنصها اللاتينى مع ترجمة اسبانية بعنوان : « Cronica de Isidoro Pacense » RMFLCS, Sevilla 1870, 2pp 21-28, 74-79, 118-126, 216-226, 264-272, 317-327, 361-371, 412-417. هذا وبسبب اختلاف المؤرخين فى نسبة تلك المدونة ، فقد أسماها بعضهم باسم « مجهولة قرطبة Anonimo de Cordoba أو مجهولة طليطلة Anonimo de Toledo على اعتبار أن مؤلفها مجهول الاسم عاش اما فى قرطبة أو فى طليطلة . وأسماها بعض آخر باسم « الصلة الاسبانية لتاريخ سان ايزيدور » « Continuatio Hispania de San Isidoro » على اعتبار ان مؤلفها كتبها استكمالا لتاريخ ايزيدور الاشبيلى (٥٦٠ — ٦٣٦ م) . كما أسماها فريق ثالث باسم « مدونة عام ٧٥٤ المستعربية » Cronica Mozàrabe de 754 ، قارن عن هذا الاختلاف : Florez, Op. Cit., 8 pp 269-270 ; Dozy, Recherches, 1pp 1-3 ; Sànchez Albornoz, « Cronica del Moro Rasis », Op. Cit., pp 235-236.

(٢) عنها بتفصيل ، أنظر : Sànchez Alonso, Op. Cit., 1pp 105-108.

خصصها المؤلف لتاريخ المسلمين فى الأندلس (١) ، وذلك منذ فتحهم فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م حتى عام ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م على التوالى ، وفضلا عما أورده المؤلف عن فتح المسلمين لها ، فقد ركز على قصة الحروب الأهلية بين مسلمى الأندلس فى تفصيل لا يوجد فى غيرها من المدونات اللاتينية ، على الرغم من أن المؤلف يذكر أن مدونته ليست الا اختصارا لعمل آخر له (٢) ، مفقود حتى وقتنا الحاضر .

وقد أولى المؤلف عنايته فى مدونته الى تاريخ الأندلس بحيث قدم عنها معلومات طيبة ، ولكنه لم يلق بالا لعلاقتها بالمناوئين لها فى اسبانيا المسيحية التى لا نعتقد أنه كان يجهل أخبارها ، وكانت أقرب اليه من الفرنجة فى غالة الذين تتبع أخبارهم وأخبار غزوات المسلمين اليها . ولذلك نرجح أنه تناول الحديث عن اسبانيا المسيحية فى احدى كتاباته المفقودة ، لا سيما أنه يشير – فى المدونة التى نعرض لها – الى أنه : « لم يتناول فيها أحداثا وحروبا أخرى ، اما لأنها معروفة فى كل أنحاء اسبانيا ، أو لأنه كتب عنها فى عمل آخر له »(٣)

هذا وقد انطبع فى نفس المؤلف شعور بالمرارة نحو المسلمين فى الأندلس فنظر اليهم نظرة شبه معادية ، لأنه عاصر فتحهم وطنه وشاهد فقدانه ، وهو شعور نلمحه فيما ذكره عن هزيمة أحد ولاة الأندلس فى

---

(١) نشر لافونتى Lafuente تلك الفقرات كذيل على كتاب : أخبار مجموعة ، مدريد ١٨٦٧ م ، ملحق ٢ ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(٢) نستنتج ذلك من ثلاث اشارات للمؤلف حين حديثه عن الحرب بين بلج بن بشر وبين أبناء عبد الملك بن قطن ، وعن الحرب بين أبى الخطار وثوابة بن سلامة ، ثم عن أعمال يوسف الفهرى آخر ولاة الأندلس ، ولعل هذا العمل المشار اليه هو : Libre Verborum Deirum Saeculi او Epitome Temporum ، وهما الكتابان اللذان يقص فيهما أخبار الحروب فى عصر ولاة الأندلس ، أنظر Sànchez Albornoz, En Torno, 2p 14 وعن كتابات ايزيدور ومحتوياتها ، أنظر Cabal, Covadonga, pp 36-46. مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ١٥١ – ١٥٢ هامش ٢ .

(٣) انظر . نص المدونة ، فقرة ٧٠ .

منطقة جبال البرتات على ايدى المسيحيين (١) ، فى حين اختلفت نظرته الى من عداهم كالفرنجة فى غالة .

ومع ذلك ، فقد امتاز المؤلف عن غيره من مؤرخى اسبانيا اللاتين باعتدال رايه ، وبعده عن التعصب الدينى (٢) ، بحيث لا زالت مدونته من حيث اهميتها التاريخية توضع موضع التقدير(٣) ، حتى ان المستشرق الهولندى دوزى Dozy يرى انها « تكاد تكون أكثر الحوليات شمولا اذا قورنت بنظيراتها الاسلامية »(٤)، وان كنا سنرى ان لهذه الأخيرة طبيعتها التى تختلف فيها عن المدونات اللاتينية . ومن ناحية اخرى،فاسلوب المدونة معقد ملىء بالاشارات الغامضة التى تحول احيانا دون الفهم السليم لبعض ما يرد فيها ، أو معرفة قصد المؤلف من بعضها الآخر(٥) .

أما المدونة التالية لتلك المدونة فقد كتبها مستعرب مجهول الاسم أيضا ، وذلك فى عام ٨٨٣ م(٦) / ٢٦٩ هـ ، واشتقت اسمها الذى عرفت به وهو : La Cronica Profetica (٧) من النبوءة التى تنبأها مؤلفها ، ومؤداها ان سيطرة المسلمين على الأندلس لن تطول اكثر من مائة وسبعين عاما (٨) ، اى انها كانت وشيكة الانتهاء – وفق تلك النبوءة – فى نفس عام كتابة المدونة أو العام الذى يليه . وقد كان تحقيق تلك النبوءة أملا يراود آخر ملوك أشتوريس وقتذاك ، وهو ألفونسو الملقب بالعظيم

---

(١) أنظر . نص المدونة ، فقرة ٦٠ .

(٢) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ١٥١ – ١٥٢ حاشية ٢ .

Ballester, Op. Cit., pp 26-27, Saavedra, Estudio, p 5.

(٣) Dozy, Recherches, 1p 3.

(٤) Dozy, Op. Cit., 1p4 Sqq ; Diccionario de Historia, 1p 814.

(٥) (٦) يحدد بعض المؤرخين بداية كتابتها فى يوم ١١ من شهر أبريل عام ٨٨٣م / ٢٩ من رمضان عام ٢٦٩ هـ . انظر . Sànchez Albornoz, Una Cronica Asturiana, 7pp 106-107 ; Valdeavellano, Historia de Espana, Madrid 1952, 1p 44.

(٧) اول من نشرها واطلق عليها هذا الاسم هو غومث مورينو Gomez Moreno ضمن بعض المدونات بعنوان Las Primeras Cronicas de La Reconquista, BRAH 1932, 100 pp 622-628.

(٨) أعلاه ص ٦٢٢ – ٦٢٣ .

(الثالث) Alfonso El Magno (٨٦٦ — ٩١٠ م / ٢٥٢ — ٢٩٧ م) ، اذ تشير المدونة اليه على انه سيصبح سيد اسبانيا كلها ، قائلة : (١) « Hic Princips Noster Gloriosus Domnus Adefonsus Proximiori Tempore In Omni Spanie predicetur Regnaturus »

وعلى ذلك فالمدونة تمدنا بنموذج طريف للحالة الروحية التى انتشرت فى اسبانيا المسيحية ، وفى الأندلس أيضا بين المسيحيين الخاضعين للحكم الاسلامى ، وربما كان السبب هو ما ساد الأندلس وقتذاك من حركات انفصالية متعددة ، بحيث لم تكن سلطة الأمير الأندلسى تتعدى مدينة قرطبة العاصمة مع بعض نواحيها .

وبجانب ما سبق ، فللمدونة أهمية تاريخية لموضوع البحث ، بما أوردته من أخبار بعض الوقائع التاريخية الهامة ، وقوائم لأسماء كل من ولاة الأندلس وامرائها وملوك اشتوريس مرتبة على حسب تتابعهم الزمنى ، ومدة حكم كل منهم بالسنين والشهور والأيام ، وهو تحديد يتسم بالدقة والصحة (٢) ، وخاصة لملوك اشتوريس ، بحيث يمكن ان يكون أساسا لضبط مدة حكم كل منهم . وفضلا عن ذلك ، فقد أصبحت تلك المدونة من بين المصادر الرئيسية التى استفادت منها المدونات اللاتينية اللاحقة لها والتى كتبت فى أشتوريس (٣) .

أما النوع الثانى من المدونات ، فهى التى كتبت فى اسبانيا المسيحية ذاتها اما باللاتينية أو بالاسبانية ، بأيدى الرهبان ورجال الدين على الخصوص ، اما من تلقاء أنفسهم أو بتكليف من ملوكهم فى أحيان أخرى ، وبسبب أن معظمها لا زالت مجهولة اسم المؤلف فقد عرفت بأسماء الأماكن التى عثر عليها فيها ، أو نسبت الى من يعتقد أنه قام بتاليفها .

---

(١) أعلاه ، ص ٦٢٣ .

(٢) Gomez Moreno, Op. Cit., p 578.

(٣) Gomez Moreno, Op. Cit., p 588 ; Sànchez Albornoz, Una Cronica Asturiana, p 107.

واقدم مدونات هذا النوع سابق على اقدم الكتابات الأندلسية — التى تناولت تاريخ اشتوريس ضمن موضوعاتها — بما يقرب من قرن من الزمان . ثم ان بعضها يؤرخ فقط لملكة اشتوريس فى الفترة التى يتناولها البحث ، وبعضها الآخر يتعداها الى فترات لاحقة تصل فى كثير منها الى القرن ١٤ م / ٨ هـ بحيث انها تعتبر تواريخ اقليمية أو محلية تخص اشتوريس . فى حين لم يقتصر بعضها الآخر على التاريخ لأشتوريس وحدها وانما لايبيريا كلها ، وللرومان والقوط والبيزنطيين والمسلمين فى الأندلس وفى خارجها ، وذلك منذ بداية الخليقة أو فترات ماضية بعيدة، مما يجعلها تواريخ عامة . يضاف الى ذلك أن اللاحق من هذه المدونات قد نقل عن السابق عليها — مثلما كان حال كثير من الكتابات التاريخية الاسلامية — نقلا يصل الى حد التقيد باللفظ والاسلوب والتبويب ، حتى ليبدو مجرد تجميع أو اختصار لها ، مما أوقع المؤرخين الحديثين فى الغرب فى مشكلة تحديد أيهما أسبق من الأخرى فى التدوين ، وبخاصة المدونات المجهولة المؤلف ، التى كتبت فى فترات زمنية واحدة أو متقاربة .

وكان يؤمل من هذه المدونات ، وهى التى كتبت فى الشمال الاسبانى ، أى قريبا من مكان الأحداث ، وعاصر مؤلفو بعضها الفترة التى يؤرخون لها ، أن تقدم صورة وافية عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اشتوريس ، مثلما فعلت معظم المصادر التاريخية الأندلسية التى ارخت للمسلمين فى الأندلس ، ولكنها أولت عنايتها لأمور أخرى . ففى المجال الداخلى اهتمت بالجوانب الدينية روحية وعمرانية ، وبالنشاط العمرانى المدنى فى داخل اشتوريس أو فى منطقة الحدود بينها وبين الأندلس ، فضلا عن أخبار الثورات والمؤامرات الداخلية . أما فى المجال الخارجى فقد اهتمت بسياسة ملوك أشتوريس وعلاقتهم بولاة وأمراء الأندلس ، بطريقة تمكننا فى كثير من الأحيان من تتبع تطوراتها ، ومدى تغير سياستهم الحربية ضد الأندلس ، وأساليبهم فى تأليب وتأييد المناوئين للمسلمين فى ايبيريا وفى خارجها ، وأسلوبهم الدفاعى وانجازاتهم فى تحصين مناطق الحدود المجاورة للأندلس .

ومع أن معظم تلك المدونات قد انفرد فى الغالب بهذه النواحى من دون المصادر الأندلسية ، وأفادتنا كثيرا حين التاريخ لعلاقات أشتوريس

بالأندلس ، فانها مع ذلك لا تخرج عن كونها تقييد للأحداث بطريقة جافة يظهر فيها التحامل على المسلمين – وهو أمر طبيعي – فضلا عما يطعّم بروايات بعضها من عناصر أسطورية خارقة ، ومبالغات فى تقدير مدى تدخل العناية الالهية لصالح ملوك أشتوريس واخذها بأيديهم فى صراعهم ضد المسلمين ، حتى جعلت الصراع ينتهى على الدوام لصالح أشتوريس ، مع التهويل فى تقدير خسائر المسلمين فى العتاد والأرواح ، مما يتطلب حذرا فائقا ونظرا دقيقا فى انتقاء واستخلاص الحقائق التاريخية من تلك المدونات .

كذلك فالأحداث التاريخية فى تلك المدونات غير مرتبطة بسنى وقوعها ، مما لا يعين على تحديد سنوات وقوعها ، الا بمقارنتها بروايات المصادر الاسلامية وغيرها . ورغم ذلك ، فانها أفادتنا فى تحديد أسماء الملوك الذين وقعت فى فترة حكمهم أحداث ما زالت موضع جدل بين المؤرخين الحديثين ، الذين يعتمدون على المصادر الاسلامية وحدها دون اللاتينية أو العكس .

ثم أن مؤلفى تلك المدونات قد حرصوا على اعتبار مملكة أشتوريس وريثة واستمرارا طبيعيا لمملكة القوط ، فربطوا بين آخر ملك قوطى وأول ملك أشتورى وجعلوا الأخير يلى زمنيا آخر ملك قوطى مباشرة ، دون اعتبار لنتائج الفتح الاسلامى المباشرة على زوال مملكة القوط ، أو للفترة الزمنية التى تزيد عن ربع قرن وتفصل بين سقوط مملكة القوط فى عام ٧١١ م / ٩٢ هـ والقيام الفعلى لمملكة أشتوريس فى عام ٧٣٩ م / ١٢١ هـ . وعلى أية حال ، فتلك وجهة نظر ليست بغريبة على أولئك المؤلفين لأنهم كانوا بلا استثناء قوط الأصل ، يعز عليهم الاعتراف بسقوط أو زوال مملكتهم ، ومن ثم وجدوا العزاء فى القول باستمرارها .

وبطبيعة الحال ، فان معرفة هؤلاء المؤلفين اللاتين بتاريخ المسلمين فى الأندلس لا ترقى الى مستوى معرفتهم بتاريخ أشتوريس ، ولذلك تنقصهم الدقة أحيانا ، حتى ليظهر الاضطراب فى روايات بعضهم فى تتابع ولاة الأندلس وامرائها ، وسنى حكمهم ، وتحريف أسماء بعضهم وأسماء قادة جيوشهم .

واقدم المدونات اللاتينية التى كتبت فى اسبانيا المسيحية ، وتتصل بموضوع البحث اتصالا مباشرا ، مدونة كتبت فى مدينة اوفييدو Oviedo عاصمة اشتوريس(١) ، بحيث عرفت باسم هذه المدينة اى « مختصر اوفييدو » Epitome Ovetense (٢) ، ولكن بسبب ان احدى نسخ المخطوطة قد وجد بدير سان ميلان San Millàn (٣) فى مدينة البلدة او البيضاء Albialda (٤) فقد نسبت المدونة اليهما ايضا ، فعرفت بمدونة البلدة (البيضاء) La Cronica Albeldense (٥)، أو بمدونة اميليان Emilianense (٦) ، كما اطلق عليها اسم : مدونة الراهب بيخيلا Vigila (٧) ، رئيس الدير المذكور فى الثلث الأخير من القرن العاشر الميلادى / ٤ هـ ، الذى ذيل المدونة فى شهر مايو من عام ٩٧٦ م / رمضان ٣٦٥ هـ ببعض القوائم لأسماء ولاة الأندلس وامرائها ، ولحكام نبرة ، وقائمة بمعلومات عن أصول القوط الجرمان .

---

(١) Sànchez Albornoz, Origénes, 3p 785 ; M.Pidal, La Historiografia Medieval Sobre Alfonso III » EMA Oviedo 1971, p 11 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 13-14 ; Cotarelo, Historia Critica y Documentada de La Vida y Acciones de Alfonso III, Madrid 1933, p 15.

(٢) Valdeavellano, Op. Cit 1p 44 ; Pidal, Historia de Espana, Madrid 1956, 6 p 4.

(٣) دير أقامه الملك النبرى سانشو أباركا Sancho Abarca فى عام ٩٢٤ م / ٣١١ – ٣١٢ هـ ، قريبا من مدينة لكرونيو Logrono فى مقاطعة بنفس الاسم . أنظر Somoza, Op. Cit., 2p 518 ; Ballester, Op. Cit., pp 29-30.

(٤) مدينة أنشأها عامل الثغر الأعلى موسى بن موسى ، على سفح جبل لاتورثى Laturce جنوب مدينتى لكرونيو وفجيرة Viguera أنظر . ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكى ، ص ١٦ . ولم يكد موسى يتم بناءها حتى حاصرها ملك أشتوريس فى عام ٨٥٩ – ٨٦٠ م / ٢٤٥ هـ ، ودمرها بعد الاستيلاء عليها ، أنظر Ballester, Op Cit, pp 29-30 ; Florez, Op. Cit., 13 p 418.

(٥) نشرت عدة مرات ، وأهمها التى قام بها فلوريث H. Florez فى الجزء الثالث عشر من مجموعته ، Espana Sagrada, Madrid 1756,

(٦) Sànchez Albornoz, En Torno, 2 pp 71-72 ; Somoza, Op Cit, 2p 513.

(٧) Florez, Op. Cit., 13 pp 418, 422 ; Danham, Op. Cit., 4 p 199.

وفى الواقع ، فان تعدد أسماء المدونة على هذا النحو يرجع الى الاختلاف فى تحديد اسم مؤلفها الحقيقى(١) ، الذى لا زال مجهولا حتى الوقت الحاضر(٢) ، مع انه لم يخرج عن كونه أحد رجال الدين المقيمين فى بلاط أشتوريس ، والمقربين الى الملك الفونسو الملقب بالعظيم (٨٦٦ ـ ٩١٠ م / ٢٥٢ ـ ٢٩٧ هـ) ، الذى كتبت المدونة خلال فترة حكمه فى عام ٨٨١ م / ٢٦٧ ـ ٢٦٨ هـ على وجه التحديد ،ثم استكملت فى شهر نوفمبر من عام ٨٨٣ م / جمادى أول ٢٧٠ هـ(٣) ٠

وهذه المدونة من نوع التواريخ العامة ، اذ تتناول فى ايجاز جغرافية العالم بما فيه ايبيريا ، وتاريخ الرومان اللاتين ، وملوك القوط الجرمان(٤) ، ولكن ما يهمنا منها الباب الرئيسى ، الذى كان سبب تدوين المدونة كلها ، ويؤرخ لأشتوريس منذ الفتح الاسلامى ويتوقف بأحداث شهر نوفمبر من عام ٨٨٣ م / جمادى أول ٢٧٠ هـ ، وهو العام الثامن عشر من حكم الفونسو العظيم (الثالث) آخر ملوك أشتوريس ٠

---

(١) يذهب غومث مورينو Gomez Moreno ، فى مقاله Las Primeras 100 pp 565-566,570 ، الى أنه يصعب الاستدلال على اسم المؤلف وافترض أنه مستعرب أقام فى دير مدينة البلدة ، مستدلا على ما ورد فى المدونة من تفصيلات دقيقة لأحداث وقعت هناك فى عام ٨٥٩ م / ٢٤٥ هـ ٠ أما البرنوث Sànchez Albornoz فيرفض هذا الافتراض على أساس أن هذا الدير لم يوجد قبل عام ٩٢٤ م / ٣١٢ هـ ، وعارض الآراء التى تذهب الى أن مؤلف المدونة هو الأسقف سباستيان Sebastian أسقف مدينة أورنسى Orense فى اقليم جليقية ، أو أن الملك الفونسو العظيم قد دون الجزء الأكبر من المدونة ، أنظر .Origènes, 2pp 776-780 كذلك فلم يلق القبول الاعتقاد بأن مؤلف المدونة هو الأسقف دولسيديو Dulcidio الطليطلى الأصل ، الوارد ذكره فى المدونة على أنه سفير ملك أشتوريس الى أمير قرطبة ، لأنه لم يكن قد عاد من سفارته حتى وقت الانتهاء من كتابة المدونة فى عام٨٨٣م٠انظر : Florez, Op. Cit., 13 pp 419-421,429-430 ; Ballester, Op Cit., p 29 ; Cotarelo, Op. Cit., pp. 15-16.

(٢) Sanchez Alonso, Op. Cit., 1p 108.

(٣) Florez, Op. Cit., 13 pp 421-431 ; Sànchez Albornoz ,En Torno, 2pp 71-72 ; Diccionario de Historia, 1p 810.

(٤) أنظر بتفصيل : Sànchez Alonso, Op. Cit., 1 pp 108-109 ; Gomez Moreno, Las Primeras Cronicas, 100 pp 568-570.

ويتكون هذا الباب الرئيسى من قسمين ، كتب القسم الأول فى عام ٨٨١ م مع باقى اجزاء المدونة ، ويتناول تاريخ أشتوريس مرتبا على حسب تتابع ملوكها حتى العام المذكور ، وهو يعالج فترة زمنية أطول من التى يعالجها القسم الثانى الذى استكمل فى عام ٨٨٣ م / ٢٧٠ هـ ، ويؤرخ فى اسهاب لعلاقات أشتوريس والأندلس خلال عامى ٨٨٢ ـ ٨٨٣م / ٢٦٩ ـ ٢٧٠ هـ فقط ٠

وليس هناك من شك فى أن هذا الباب الأساسى هو أقدم وثيقة تاريخية لاتينية تضم أخبارا متنوعة عن أحوال أشتوريس ، وما وقع فيها من مؤامرات او ثورات ، وما سادها من نشاط عمرانى ارتبط معظمه بالأمور الدينية ، فضلا عن علاقات أشتوريس الخارجية بالمسلمين فى الأندلس ، او بالمناوئين لهم فى داخل الأندلس وبخاصة أسرة بنى قسى عمال الثغر الأندلسى الأعلى ، كما يفصل أخبار الخلافات بين أفراد هذه الأسرة من ناحية وانعكاساتها على علاقاتهم بأمراء الأندلس وملوك أشتوريس من ناحية أخرى ٠

ومما يزيد من قيمة وأهمية هذه المدونة ، اتفاق ما يرد فيها من معلومات تخص البحث بما يرد فى المصادر العربية ، واتصافها بالواقعية والدقة (١) ، بسبب أن مؤلف المدونة قد استقى مادته عن الفترة التى لم يعاصرها من مدونات لاتينية وجدت فى ايامه ، ولكن بعضها مفقود فى وقتنا الحاضر ، وكان مؤلفوها ممن عاصروا الأحداث فى أشتوريس(٢) ٠ أما أحداث الفترة اللاحقة لذلك فقد عاش خلالها المؤلف ، ودونها من مشاهداته ومعاينته لها ٠ ولأنه لم يكن مؤرخا رسميا ، مثل معظم من

---

(١) Barrau-Dihigo, Recherches, pp15-18 ; Ballester, Op. Cit., p30 ; Cotarelo Op. Cit., p. 14.

(٢) من ذلك مدونة مفقودة كانت قد كتبت فى أشتوريس حوالى عام ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ ، وتوقفت بتاريخ أشتوريس حتى عام ٧٩١ م / ١٧٤ ـ ١٧٥ هـ ، أنظر : Villada, Cronica de Alfonso III, Madrid 1918, pp 44-46 ; Sànchez Albornoz, Una Cronica Asturiana, pp 105-107.

جاءوا بعده ، فقد انتفت عنده الرغبة فى التزلف أو المصانعة سعيا الى كسب مادى أو شخصى ، وهو ما يبرز من أحكامه على ملوك أشتوريس أنفسهم .

ولكن يؤخذ على المؤلف ايجازه فى تفصيلات ما يورده من أحداث داخلية أو خارجية ، رغم أنه كان يعمد الى الاضافات ذات الدلائل التاريخية ، التى انفرد بها عن غيره من مؤلفى المدونات ، مثل : أسباب اقدام الملك فريولا Fruela على قتل أخيه ، وتاريخ اتخاذ مدينة برافيا Pravia عاصمة لأشتوريس ، وأسباب العلاقة الودية بين الملك سيلو Silo وأمير الأندلس ، وظروف اغتصاب العرش من الملك الفونسو الملقب بالعفيف Alfonso El Casto الى غير ذلك من الاضافات(١) .

هذا وقد كانت مدونتا البلدة وبروفنتيكا السابقتان المصدرين الأساسيين لمدونتين لاحقتين لهما ، كتبتا على التوالى فى أشتوريس أيضا ، فى نفس فترة حكم الفونسو العظيم المعروف بالثالث ، الذى كتب بنفسه احداهما ولذا تعرف باسمه ، أى : مدونة الفونسو الثالث « La Cronica de Alfonso III »(٢) ، أما المدونة الثانية فهى : مدونة سباستيان « Chronicon Sebastiani »(٣) ، نسبة الى أسقف بهذا الاسم عاش وقتذاك فى أشتوريس ، وان كان المؤرخون الحديثون يختلفون فيما اذا كان هو سباستيان أسقف مدينة سلمنقة Salamanca ام سميه أسقف مدينة اورنس Orense (٤) ، وكلتاهما تقعان فى مملكة أشتوريس .

---

(١) أنظر بتفصيل : Sànchez Albornoz, Investigaciones Sobre la Historiografia Hispana Medieval, Buenos-Aires 1967, pp. 50-53.

(٢) حققها ونشرها بنفس العنوان بلادا Villada فى مدينة مدريد Madrid فى عام ١٩١٨ م .

(٣) حققت ونشرت عدة مرات ، وأهمها التى قام بها فلوريث Florez ، ونشرها فى الجزء الثالث عشر من مجموعته السابقة الذكر .

(٤) أنظر : Florez, Op. Cit., 13 pp 468-469 ; Villada, la Cronica de Alfonso III, Madrid 1918, pp 11-12 ; Gomez Moreno, Las Primeras Cronicas, 100 pp 582-583.

وهاتان المدونتان تختلفان عما سبقهما من مدونات لاتينية ، فى أنهما أول انتاج تاريخى يمثل وجهة النظر الرسمية فى أشتوريس . فالأولى كانت من تدوين ملك أشتوريس نفسه ، والثانية من تدوين أحد أساقفته (١) ، كما أنهما أول التواريخ اللاتينية المحلية التى دونت بعد الفتح الاسلامى لايبيريا واقتصرتا على تدوين تاريخ أشتوريس وحدها بين عامى ٦٧٢ ـ ٨٨٦ م / ٥٢ ـ ٢٥٢ هـ .ولذلك فهما على جانب كبير من الأهمية للتعرف على احوال أشتوريس الداخلية ، اذ حرصت المدونتان على ذكر انجازات كل ملك من ملوكها وما تصدوا له من عقبات .

---

(١) لم يكن يوجد من مخطوطات هاتين المدونتين سوى نصان متطابقان محفوظان فى مخطوطى Ovetense و Soriense ، فنشرا باسم مدونة سباستيان ، لأنه يتصدرهما خطاب تكليف الملك الفونسو الثالث الى سباستيان ، وان كان الهدف من هذا الخطاب غامض ، هل هو لتكليف سباستيان باعادة صياغة ما كتبه هذا الملك ليتفق مع قواعد اللغة اللاتينية أم لتكليفه بتأليف تاريخ عن أشتوريس ، واختلف المؤرخون فى تحديد ما اذا كان نص هذين المخطوطين هو ما كتبه الملك قبل أم بعد مراجعة سباستيان له ، أم أنه نص من تأليف سباستيان وليس الملك .

وفى بدايات القرن الحالى تم اكتشاف نص جديد آخر منسوخ من مخطوط مفقود فى الوقت الحاضر ، هو نص روتنسى ، الذى حققه ونشره Barrau-Dihigo وذلك بعنوان : « Una Redaction Inédite du Pseudo-Sebastien de Salamanque » R. Hisp., Paris 1910, 23pp 235-264. فعكف المؤرخون على دراسته لتحديد العلاقة بينه وبين نص المخطوطين السابقين ، وذهب قلة منهم الى القول بأن النص الجديد من تأليف سباستيان. فى حين رأت الغالبية ورأيهم هو الأرجح ، أن النص الجديد هو من تأليف الملك لأنه يحتوى على ألفاظ لا تصدر الا عن ملك ، ولأنه يخلو من خطاب التكليف ، وتقترب لغته من العامية أكثر من لغة نص المخطوطين التى هى أدبية رفيعة ، قارن بتفصيل : Florez, Op. Cit., 13 pp. 465-469 ; Villada, Op Cit., pp7-12, 43-45, 89-93 ; Barrau-Dihigo, « Remarques Sur La Chronique Dite d'Alphonse III » R. Hisp. 1919, 46 pp. 323-331, 342-351 ; Miguel Stero, « El Latin de La Cronica de Alfonso » CHE 1946, 4pp 125. Sqq.

مثل محاولات اغتصاب العرش ، وثورات سكان الأطراف الشرقية والغربية من اشتوريس . كذلك فلا يقل عن ذلك فى الأهمية ما تورده الدونتان من أخبار عن علاقات أشتوريس الخارجية ، فتفصلان فى أخبار علاقتها بالأندلس وبالخارجين عليها ، وحتى بأعداء الأندلس فى غالة وذلك بصورة تكشف عن تفاصيل مثيرة ، وتزيد من القيمة التاريخية لهاتين الدونتين لموضوع البحث .

وجدير بالذكر أن هاتين الدونتين تتطابقان فى تبويبهما وترتيبهما والفترة الزمنية التى تعالجها كل منهما ، وان كان يوجد بعض الاختلاف بينهما فى المضمون من حذف لجزئيات او اضافة لتفصيلات ، دونما تعارض بينهما فى الحقائق التاريخية . فمن الجزئيات الواردة فى مدونة الفونسو وتخلو منها مدونة سباستيان ، أصل زوجة الملك فريولا Fruela ، وتحديد نوعية أنصار نبوتيانو Nepociano الثائر على الملك راميرو Ramiro (١) . أما التفاصيل التى تنفرد بها مدونة سباستيان عن مدونة الفونسو ، فمنها : موقف الملك فريولا من رجال الدين فى دولته ، وظروف اقتحام جيش الأندلس أشتوريس فى عهد الملك الفونسو العفيف ، ونوعية السكان الذين قام الملك أردونيو Ordono بتهجيرهم الى أراضى جديدة فى دولته بهدف تعميرها (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فيؤخذ على الدونتين الغموض فى روايتهما لبعض أحداث الفترة المنتهية بعام ٧٩١ م / ١٧٥ ه ، بسبب ايجازهما الشديد وعدم معاصرة مؤلفيهما لأحداثها ، واعتمادهما على مدونات سابقة عليهما تتصف هى الأخرى بالايجاز . على أن هذا لم يمنع انفرادهما باضافات جديدة ، ومنها معاونة فريولا لأخيه الملك الفونسو الكاثوليكى Alfonso El Catolico فى محاربة المسلمين ، وتحديد أسماء المدن التى استردها منهم ، وعلاقة الملكين فريولا وسيلو بالبشكنس

(١) بتفصيل ، أنظر : Sànchez Albornoz, Investigaciones, pp 768-769 ; Barrau-Dihigo, Remarques, 46pp 355-356.

(٢) بتفصيل ، أنظر : Sànchez Albornoz, Op. Cit, pp 769-770 ; Barrau-Dihigo, Op. Cit., pp 351-352.

سكان نبرة وبالجليقيين . أما أحداث الفترة التالية لعام ٧٩١ م / ١٧٥ ه وحتى انتهاء رواية الدونتين بأحداث عام ٨٦٦ م / ٢٥٢ ه فتمتاز بغزارتها ودسامتها بسبب معاصرة مؤلفيهما لها .

ولعل ما يزيد من قيمة المدونتين ان ما يرد فيهما يستوجب الثقة لخلوهما من الأخطاء التاريخية ، واتفاقهما مع ما يرد فى النصوص والوثائق اللاتينية والعربية أيضا(١) ، فيما عدا بعض الهنات القليلة التى سنشير اليها فى حينها . يضاف الى ذلك أن المدونتين صارتا المصدرين الأساسيين لمؤلفى القرن الثانى عشر الميلادى فصاعدا ، وذلك فيما يتعلق بتاريخ اشتوريس خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين / الثانى والثالث الهجريين .

ولا تفوتنا الاشارة الى نص لاتينى هام أثار انتباه المؤرخين الحديثين منذ أن عثر عليه فى أواخر العقد الثالث من القرن الحالى ، ويختص بانساب واصول الأسرات الحاكمة فى مملكة نبرة وروابطها الأسرية ، منذ قيام تلك الملكة فى القرن التاسع الميلادى . وينسب هذا النص الى أماكن وجوده فعرف باسم « أنساب رودا » Genealogias de Roda التى كان النص محفوظا فى أرشيف كاتدرائيتها فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى ، أو باسم : « أنساب ميا » Genealogias de Meya احدى مدن ولاية لاردة Lérida التى انتقل اليها المخطوط ليحفظ فيها فيما بين عامى ١٧٧٣ - ١٧٨٥ م ، وبعدها اختفى حتى عثر عليه من جديد فى عام ١٩٢٨ م(٢) .

وتدل بعض محتويات المخطوط ونوعية خطه على أنه كتب على الأرجح فى مدينة ناجرة Najera مقر البلاط النبرى خلال الثلث الأخير من القرن العاشر الميلادى(٣) . كما أن كاتبه كان علمانيا ليست له اهتمامات

(١) أنظر . Sànchez Albornoz, Op. Cit., pp 82-96

(٢) نشر النص José M. Lacarra ، بعنوان : « Textos Navarros del Codice de Roda », Est. EMCA 1945, 1pp 193-283. وعن حركة تنقل المخطوط ، أنظر . نفس المرجع ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) أعلاه ، ص ١٩٦ - ٢٠١ .

دينية منعكسة على النص ، عكس ما كان عليه حال معظم كتابات ذلك العصر ، ثم انه لم يهدف الى كتابة تاريخية صرفة بقدر تقصى أنساب الأسرات الحاكمة فى نبرة ، ربما لتدعيم احقيتها وشرعيتها على منافسيها . ومع ذلك فقد استطرد الكاتب فى تاريخ هذه الأسرات ، وعلاقاتها المتنوعة بغيرها من الأسرات الحاكمة فى اسبانيا المسيحية كأشتوريس ، وفى الأندلس كأسرة بنى قسى فى الثغر الأعلى الأندلسى أى اقليم سرقسطة وهو أراجون الحالية ، وحتى بأمراء الأندلس أنفسهم(١) . واعتمد المؤلف فى ذلك على وثائق وملاحظات رسمية توفرت لديه فى البلاط النبرى ، مما جعل النص اقدم وثيقة تاريخية تعالج هذا الجانب(٢) ، خاصة وكانت نبرة محط انظار كل من أشتوريس والأندلس وقتذاك .

كذلك فيمتاز النص بوضوحه وبساطته ونزاهة كاتبه ، الذى آثر ان يترك عمله منقوصا عن أن يملأه باسماء وهمية خاطئة ، حتى انه ترك على بياض كل الأسماء التى لم يكن قد تحقق من صحتها ، وربما كان ينوى استكمالها ، ولكنه لم يقم بذلك على اى حال(٣) .

ولما كان المؤلف يؤرخ لأنساب الأسرات الحاكمة فى نبرة ، وروابطها الأسرية بغيرها من الأسرات الحاكمة فى ايبيريا ، فيلاحظ انه قد فاته - ربما عن قصد - ذكر بعض روابطها مع أشتوريس ، وخاصة ما يتعلق منها بزواج احدى بنات الملك أردونيو باحد ملوك نبرة ، وما يتعلق بزواج الملك الفونسو الثالث باحدى أميرات البيت النبرى . على أن هذا القصور قد تم تداركه من قبل أحد النساخ ، الذى حينما استنسخ النص فى القرن الثالث عشر الميلادى ، بمدينة ناجرة ذاتها ، فانه أضاف الأسماء التى تركت على بياض فى النص الأصلى ، وصحح بعضها الآخر ، وأضاف ما لم يرد فى النص الأصلى من معلومات رآها ضرورية لاستكمال شجرة الأنساب(٤) ، وقد استعان فى ذلك بمدونات لاتينية كانت متوفرة لديه

---

(١) عن محتويات النص بتفصيل ، انظر . أعلاه ، ص ٢٠٦ وما بعدها .

(٢) أنظر . Sànchez Alonso, Fuentes de La Historia Espanola, Madrid 1952, 1p 162.

(٣) أنظر . I.acarra, Op. Cit., 1pp 213-214.

(٤) أعلاه ، ص ٢٢٠ وما بعدها .

وقتذاك ، بعضها مفقود فى وقتنا الحاضر ، والبعض الآخر وصل الى ايدينا ، مثل : « مدونة سامبيرو » Chronicon Sampiri (١) وهى المدونة التى كتبها أسقف بنفس الاسم (ت ١٠٤٢ م / ٤٣٤ هـ) من مواطنى مدينة سمورة Zamora ، فيما بين اواخر القرن العاشر واوائل الحادى عشر الميلاديين ، وقت ان كان يشغل منصب الكاتب الملكى فى بلاط ليون Léon ، فى عهد ملكيها برموده الثانى Vermudo II والفونسو الخامس Alfonso V (٢) (٩٨٢ - ١٠٢١ م / ٣٧٢ - ٤١٢ هـ) .

ورواية هذه المدونة تعتبر استكمالا على رواية مدونتى الفونسو وسباستيان السابق الاشارة اليهما ، حيث بدات من حيث توقفتا باعتلاء الفونسو الثالث عرش مملكة أشتوريس فى عام ٨٦٦ م / ٢٥٢ هـ ، ثم واصلت التاريخ لأشتوريس فى عهد خلفائه واحدا بعد الآخر ، وتوقفت عند وفاة ملك ليون راميرو الثالث Ramiro III فى عام ٩٨٢ م / ٣٧٢ هـ، من غير ان يؤرخ كاتبها لفترة حكم الملكين اللذين عمل فى خدمتهما .

وتتناول هذه المدونة جوانب متعددة من تاريخ أشتوريس الداخلى والخارجى وقتذاك فى شىء من التفصيل ،مثل النشاط العمرانى الدينى والمدنى والعسكرى ، واضطرابات سكان أطراف أشتوريس من الشرق والغرب ، وعلاقات أشتوريس بالأندلس ومدى اتساع أراضيها على حساب المسلمين .

ولا بد أن مؤلف المدونة قد اعتمد على ما سبقه من مدونات كمدونة البلدة ، لما يلاحظ من وجود عبارات ترد فى المدونتين بصيغة واحدة(٣) ،

---

(١) نشرت عدة مرات ، وادقها التى قام بها فلوريث H. Florez ، فى الجزء الرابع عشر من المجموعة السابقة الذكر . وقد نشرها Sampedro بنصها اللاتينى مع ترجمة اسبانية فى مجلة RMFLCS, Sevilla 1872-1873, t 4-5.

(٢) قارن : Florez, Op. Cit., 14 pp 420-432 ; Ballester, Op. Cit., pp 33-34 ; Sànchez Alonso, Fuentes, 1pp 114-115.

(٣) عنها بتفصيل ، انظر . Barrau-Dihigo, Recherches, pp. 20-23.

وان انفرد سامبيرو بذكر معلومات جديدة كقصة زواج الفونسو الثالث، وثورة أبنائه واخوته عليه ، وهى الثورة التى أدت ضمن عوامل أخرى الى تقسيم اشتوريس بينهم ، وبالتالى اختفائها كقوة سياسية لتحل محلها قوى مسيحية أخرى بمسميات جديدة .

كذلك فقد استفاد سامبيرو – وهو الكاتب الرسمى – من الوثائق الرسمية التى كانت فى متناول يديه ، ومن ثم جاء بمعلومات ما تمكن غيره من الوصول اليها ، كعلاقة الفونسو الثالث بالبابا فى روما . وأورد نصوص بعض ما تبادلاه من رسائل ، تبرز مدى ونوعية التأييد البابوى لأشتوريس ضد المسلمين فى الأندلس . يضاف الى ذلك أنه أورد وقائع الاحتفال بافتتاح كنيسة القديس يعقوب بمدينة سنتياجو Saintiago باقليم جليقية ، وكانت أكبر كنائس مملكة أشتوريس وقتذاك ، وتفاصيل المجمع الدينى الذى عقد فى عاصمة أشتوريس ، وابرز أهدافه التى أوضحت الدور الخطير الذى قام به رجال الدين فى تعمير المناطق الخالية فى أشتوريس ، وفى بث الروح الدينية بين الرعايا والهاب حماستهم ضد المسلمين .

لكل ذلك ، فالمدونة مصدر تاريخى هام لموضوع البحث ، خاصة وأن روايتها تمتاز بالاعتدال والدقة ، وصارت من أهم المصادر التى اعتمدت عليها المدونات اللاحقة لها .

ويلى تلك المدونة : « مدونة الراهب سيلوس » Chronicon del Monge Silense (١) التى كتبها راهب لا زال مجهول الاسم ، عاش خلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى (٦ هـ) ، فى دير باقليم قشتالة Castilla ، ورد ذكره فى المدونة فنسبت اليه ، أو أنه كتبها فى مدينة ليون التى عثر على مخطوط المدونة فى كنيستها سان ايزيدور San Isidoro (٢) ، وسواء صدق هذا الرأى أو ذاك فلن يغير هذا من

(١) نشرت عدة مرات ، أدقها التى قام بها فلوريث Florez فى الجزء السابع عشر من مجموعته السابقة الذكر .

(٢) قارن : Florez, Op. Cit., 17 pp. 258-260 ; Ballester, Op. Cit., p 36 ; Sànchez Albornoz, En Torno, 2p 224 ; Sànchez Alonso, Fuentes, 1p 116.

كونها قد كتبت فى مكان ما باسبانيا المسيحية ، فى تاريخ غير معلوم خلال الربع الأول من القرن الثانى عشر الميلادى (١) ، بهدف أن يؤرخ كاتبها – كما يشير فى مقدمة المدونة – لحياة الملك الفونسو السادس (١٠٦٥ – ١١٠٩ م / ٤٥٧ – ٥٠٣ هـ) . فبدأ المدونة بتاريخ القوط فى ايبيريا ثم بتاريخ اشتوريس حتى عام ١٠٦٥ م / ٤٥٧ هـ ، التى توقفت المدونة فجأة عند أحداثه(٢) ، دون أن تحقق الهدف الذى من اجله كتبت المدونة(٣) ، وربما بسبب موت مؤلفها المفاجىء .

وما يهم موضوع البحث من أجزاء المدونة نقسمه الى قسمين : القسم الأول الذى يتناول أحداث الفترة المنتهية بعام ٨٦٦ م / ٢٥٢ هـ ، ويستفيد المؤلف فيه مما ورد فى مدونتى الفونسو الثالث وسباستيان(٤)، فينقل عنهما نقلا يكاد يكون حرفيا فى بعض الأحيان ، وان كان يتصرف أحيانا أخرى فيضغط بعض الأحداث ، ويتجاهل فترات حكم بعض الملوك مثل أوريليو Aurelio وسيلو Silo وموريجاتو Mauregato فيسقطها كلية من حسابه ، فى حين يفصل فى رواية أحداث أخرى كما هو الشأن فى وفاة الفونسو العفيف .

أما القسم الثانى . الذى يؤرخ فيه لفترة حكم الفونسو الثالث ، آخر ملوك اشتوريس ، فيتصف بالايجاز ويتناقض بعض ما ورد فيه مع ما أوردته المدونات الأخرى السابقة عليها ، كاعتبار الفونسو الثالث ابنا وحيدا لأبيه ، واستخلافه العرش دونما مصاعب ، وزواجه من احدى بنات الملوك القوط ، الأمر الذى يدعونا الى القول بأن المؤلف قد اعتمد فى تاريخه عن الفونسو الثالث على مدونة مفقودة حتى وقتنا

(١) قيل عام ١١١٥ م أو عام ١١١٨ م أو عام ١١٢٥ م ، قارن : Florez, Op. Cit., 17p 257 ; Bleye, Op. Cit., 1p 322 ; Valdeavellano, Op. Cit., 1p 45.

(٢) عن محتوياتها بتفصيل ، أنظر . Sànchez Alonso, Op. Cit., 1pp 116-118 ; Ballester, Op. Cit., p. 36.

(٣) Sànchez Albornoz, En Torno, 2p 224.

(٤) Barrau-Dihigo, Recherches, pp 37-40 ; Diccionario de Historia, 1p 816.

الحاضر(١) .

ومع ان المدونة ليست – فى رأى البعض (٢) – تاليفا تاريخيا بالمعنى المفهوم ، وانما فقرات منقولة عن غيرها من المدونات ، فهذا لا يقلل من قيمتها التاريخية ، خاصة وأن مؤلفها كان أمينا فيما نقله ، فحفظ معلومات من مدونات مفقودة ، وهى معلومات تعتبر جديدة ومفيدة لموضوع البحث ، مثل قصة صليب الملائكة ، والمقدسات والأيقونات التى نقلت الى أشتوريس من مدينة طليطلة فى اعقاب سقوطها فى ايدى المسلمين .

ولدينا ايضا مدونة أخرى من القرن الثانى عشر الميلادى وهى : « مدونة ليون » La Chronique Léonaise (٣)التى وجدت فى دير بنفس المدينة ، وان أطلق عليها ايضا اسم : « مدونة ناجرة » La Cronica Najerense ، للاعتقاد بأن مخطوط المدونة قد جاء اصلا من دير سانتا ماريا Santa Maria فى مدينة ناجرة Najera (٤) . وهى مدونة مجهولة المؤلف كتبت حوالى عام ١٢٦٠ م / ٥٥٥ هـ ، وتناولت تاريخ القوط فى ايبيريا منذ عام ٦٣٩ م / ١٨ هـ حتى الفتح الاسلامى فى عام ٧١١م / ٩٢ هـ ، ثم تاريخ أشتوريس مرتبا على حسب تتابع ملوكها حتى عام ١١٠٩ م / ٥٠٣ هـ(٥) .

وما يؤرخ لأشتوريس فى المدونة خلال فترة البحث منذ عام ٧١١ م / ٩٢ هـ فصاعدا عبارة عن فقرات تكاد تكون منقولة حرفيا من المدونات السابقة عليها ، مما يجعل المدونة نصا غنيا

---

(١) Barrau-Dihigo, Op. Cit., 1p 44-45 ; Ballester, Op Cit., p36

(٢) Ballester, Op. Cit., pp 37-39.

(٣) نشرها كيروت Cirot لأول مرة فى Bull. Hisp. 1909-1911, tll, 13.

(٤) قارن : Vazquez, « Sobre la Cronica Najerense » Hispania 1941., 1pp 108-109 ; Pidal, Historia de Espana, 6p9.

(٥) عن محتوياتها بتفصيل ، انظر . Sànchez Alonso, Fuentes, 1pp 123-124

بالتنوعات (١) ، بحيث اطلق عليها بعض المؤرخين الحديثين اسما يدل على ذلك ، وهو La Cronica Miscelànea (٢) . أما الجديد فيها بالمقارنة الى غيرها من مدونات ذلك القرن فهو ما تورده فى فصل مستقل عن تاريخ مملكة نبرة ، التى كانت احدى مناطق الصراع بين اشتوريس والأندلس فى الفترة موضوع البحث .

كذلك فمن مدونات القرن الثانى عشر الميلادى ، مدونة ثالثة هى : « مدونة لوزيتانيا » Chronicon Lusitanum (٣) ، نسبة الى لوزيتانيا (لشدانية) فى البرتغال الحالية ، ويطلق عليها ايضا « المدونة القوطية » Chronica Gothorum (٤) ، وهى لمؤلف مجهول ، وتعتبر أول مدونة لاتينية يظهر فيها الاتجاه البرتغالى(٥) ، اذ على الرغم من أن مؤلفها يبدؤها بتاريخ القوط فى ايبيريا ويتلوه بتاريخ أشتوريس فانه يمر على ذلك سريعا ، باستثناء ما يذكره من بعض التفصيلات عن آخر ملوك أشتوريس ، كأحداث اغتصاب العرش منه واستعادته له ، ثم نشاطه المدنى العمرانى وعلاقته بالمسلمين . وفيما عدا ذلك ، فان المؤلف يقصر روايته على تاريخ مملكة البرتغال حتى عام ١١٨٤ م مما يؤكد أصله البرتغالى .

أما القرن الثالث عشر الميلادى فيعتبر بحق العصر الذهبى للنشاط الرسمى فى حركة التأليف التاريخى فى اسبانيا المسيحية ، وقد بدأت هذه الحركة فى عهد الملك فرناندو الثالث Fernando III (١٢١٧ – ١٢٥٢ م) ، بتشجيع والدته دونيا برنجويلا Dona Berenguela ثم بلغت ذروتها فى عهد خليفته الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم Alfonso X El Sabio (١٢٥٢ – ١٢٨٤ م) .

---

(١) Barrau-Dihigo, Recherches, p 46.

(٢) Vazquez, Op. Cit., 1pp 107-108 ; Valdeavellano, Op. Cit., 1p 46.

(٣) نشرها بنفس الاسم فلوريث Florez فى الجزء الرابع عشر من مجموعته السابقة الذكر .

(٤) Bleye, Op. Cit., 1p 550.

(٥) Sànchez Alonso, Fuentes, 1p 147.

ذلك أن دونيا برنجويلا أبدت رغبتها فى أن يتم تجميع الكتابات التاريخية الاسبانية فى تاريخ واحد . وعهدت بتلك المهمة الى الأسقف دون لوقا Don Lucas ، الليونى المولد (ت ١٢٤٩ م) ، فقام بتجميع الكتابات التاريخية السابقة عليه ، كتواريخ أوروسيو Orosio (١) (ولد حوالى عام ٣٩٠ م) ، وهيداسيو Hidacio (٢) (٣٨٨ - ٤٧٠ م) وغيرهما . فلما أنهى لوقا فى عام ١٢٣٦ م هذا التجميع أطلق عليه اسم « تاريخ العالم » Chronicon Mundi (٣) ، وان اشتهر باسمه وعرف : « بمدونة لوقا التودى » La Cronica de Lucas de Tuy بسبب أنه قد شغل المنصب الأسقفى لمدينة توى Tuy فى اقليم جليقية فى عام ١٢٣٩ م حتى وفاته فى عام ١٢٤٩ م(٤) .

وتنقسم مدونته الى أربعة اقسام رئيسية (٥) ، خصص

---

(١) عن كتابه بتفصيل ، أنظر Sànchez Albornoz, Investigaciones, pp. 65-68.

(٢) عن كتابه بتفصيل ، أنظر أيضا . Loc. Cit., pp. 72-74.

(٣) نشرها سكوت Schott. باللاتينية فى الجزء الرابع من كتابه : Hispaniae Illustratae وهو الكتاب الذى أصدره فى مدينة فرانكفورت Francfort عام ١٦٠٨ م . ثم ترجمها بويول Puyol الى الاسبانية ونشرت بعنوان : Lucas Obispo de Tuy, Cronica de Espana, Madrid 1926. وقد تناول هوجبيرج Hogberg فى مقالته بعنوان « La Chronique de Lucas de Tuy » R.Hisp 1933, 8pp. 404-420 هذه الطبعة بالنقد ، فاشار الى أن بويول قد اعتمد فيها على نسخة مخطوطة يرجع تاريخها الى أواخر القرن الخامس عشر وبدايات السادس عشر الميلاديين دون أن يطلع على النسخ الأخرى التى تبلغ تسعا ، ونوه الى وجود نسخة من المخطوطة فى المكتبة الملكية فى مدينة استكهولم Stockholm يرجع تاريخها الى أواخر القرن ١٣ وبدايات ١٤ م ، (أنظر نص المقالة ص ٤٠٤ - ٤٠٧) ، كما ذكر فى صفحات ٤٠٨ - ٤٠٩ أن نص استكهولم يحتوى على بعض الاختلافات عن النص الذى نشره سكوت وترجمه بويول ، ويسوق بعض أمثلة هذه الاختلافات صفحات ٤١٠ - ٤١٥ . وفى صفحة ٤١٦ يشير الى دقة نص استكهولم الذى يرى أنه من أصل اراجونى تطالونى ويسوق الأدلة التى تبرر ذلك فى صفحات ٤١٧ - ٤٢٠ .

(٤) عن حياته ، أنظر Ballester, Op. Cit., pp72-73 ; ; Diccionario de Historia, 1p 816.

(٥) بتفصيل ، أنظر . Sànchez Alonso, Op. Cit., 1pp 130-133.

القسم الرابع منها لتاريخ قصة استرداد ايبيريا من المسلمين حتى عصره، وتوقف باحداث استعادة الملك فرناندو الثالث مدينة قرطبة فى عام ١٢٣٦ م . وفيه استعان المؤلف استعانة تكاد تكون كاملة بالمدونات السابقة على عصره ، فاتبع أسلوب مدونة ليون ، واورد عبارات مدونة الراهب سيلوس دون شطط ، وملأ بعض فجواتها من مدونتى الفونسو الثالث وسباستيان ، مما جعل بعض المؤرخين الحديثين يحكمون على هذا العمل بانه تجميع للنصوص السابقة دون أى جديد عليها ، فيما عدا بعض التخمينات وأسماء الأعلام والأنساب التى يدور حولها الشك ، فضلا عن فيض من الأساطير ، كقصة العذارى مع الملك موريجاتو Mauregato (١) ومع ذلك فلم تخل المدونة من تفاصيل وتحليلات وردت فى المصادر الأخرى المفقودة فى وقتنا الحاضر - لها أهميتها فى بحثنا وسنشير اليها فى حينها - مما جعل فريقا آخر من المؤرخين يشيدون بقيمة المدونة(٢) .

ويعاصر تلك المدونة مدونة أخرى ألفت فى اسبانيا المسيحية أيضا بتكليف من الملك فرناندو الثالث ، وهى « مدونة أعمال ملوك اسبانيا » Rerum In Hispania Gestarum Chronicon (٣) . التى نشر ما يتصل منها بتاريخ القوط مترجما الى الاسبانية ، بعنوان : Estoria de Los Godos (٤) ، أما ما يتصل بتاريخ العرب فى الأندلس فقد نشر بنصه اللاتينى بعنوان : Historia Arabum (٥)

---

(١) أنظر على الخصوص . Barrau-Dihigo, Recherches, p. 49 sqq

(٢) Pidal, Historia de Espana, 6p 9 ; Danham, Op. Cit., 4 p202.

(٣) نشرها سكوت Schott فى الجزء الثانى من كتابه السابق الذكر ، ثم ترجمها Fuensanta del Valle الى الاسبانية ، ونشرت فى : Col. DIHE, Madrid 1893, 105pp1-509, 106pp. 3-141

(٤) نشرت فى : Col. DIHE السابقة الذكر ، فى عام ١٨٨٥م ، بالجزء ٨٨ ص ١ - ١٧٣ .

(٥) قام سانشيث J.L. Sànchez بتحقيقها ونشرها باللاتينية فى حولية Anal. Uni. Hisp., 1974, 21pp 1-79

ومؤلف هذه المدونة هو المطران رودريك خيمنيث Rodrigo Jiménez المولود فى حـــوالى عام ١١٧٥ م فى رادا Rada بنبرة ، ثم درس الفلسفة والقــانون فى بولونيا Bolonia وباريس Paris بفرنسا ، وبدأ حياته الكنســية فى موطنه باسبانيا المسيحية فى عام ١٢٠٦ م حينمــا شغل منصب اسقف مدينة أوسمة Osma لمدة عامين ، اعتلى بعدهما منصب مطران طليطلة حتى وفاته فى عــام ١٢٤٧ م (١) ، بحيث انه اشتهر باسم رودريك الطليطى .

وبجانب صـفته الدينية ، فقد أسهم رودريك بنصيب وافر فى الحياة السـياسـية ، اذ قام بعبء المفاوضـات والمصـــالحة بين الملك النبرى سانشو الخامس وملكى ليون وقشتالة المسيحيين ، وأوفد فى مهام متعددة الى البابا فى روما (٢) ، واظهر حماسـة بالغـــة فى الحروب الدائرة بين اسبانيا المسيحية والأندلس ، بحيث أنه أعلن الحرب الصـليبية فى اسـبانيا ، وقاد اتباعه بنفســه فى حمـلات متكررة على الأراضى الأندلسـية ، فحـــاز بذلك احترام ملوك اسـبانيا المسيحية فى عصره لدرجة جعلت الملك فرناندو الثالث لا يبرم أمرا الا بمشورته(٣) .

هذا وقد استفاد رودريك فى مدونته ـ مثل لوقا التودى ـ من المدونات اللاتينية السـابقة عليه ، الا انه لم يجمعها مثلمـا فعل لوقا ، كمـا أنه بسبب معرفته باللغة العربية (٤) فقد كان أول من استفاد من وفرة المصـادر العربية الاندلسـية فى وقته(٥) .

وقد بلغ من أهمية تلك المدونة أن اعتمدت عليها المدونات اللاحقــة لهـا اعتمادا وصـل الى حـــد نقل فصـول كاملة منهـا (٦) ، وعلى الأخص المدونة

---

(١) عن حياته بتفصيل ، أنظر ، Ferré, « Una Source Nouvelle Pour L' Histoire de L'Espagne » Arabica 1967, 14 pp 320-321 Sànchez Albornoz, En Torno, 2p 240.

(٢) Ballester, Op. Cit., pp. 77-78.

(٣) Danham, Op. Cit., 4 p201.

(٤) Bleye, Op. Cit., 1p 549.

(٥) Saavedra, Estudio, p7.

(٦) Ballester, Op. Cit., p. 80.

المشـــهورة المنســـوبة الى الملك الفونســـو العـــاشر الملقب بالعالم Alfonso X El Sabio (١) (١٢٥٢ ـ ١٢٨٤ م) ، الـذى أمـر بتدوينهـا مواصلا بذلك التقليد العـــائلى الذى بداته جدته برنجـويلا ووالده فرناندو الثالث .

وقد بدات كتابة هذه المدونة فى عام ١٢٧٠ م ، واستغرقت عشر سنوات كاملة ، وتنـاولت التـــاريخ لايبيريا منذ القديم حتى انتهـاء الحكم القـوطى بالفتح الاسلامى ، وبعد ما توفى الفـونسو العـاشر أمر ابنه سانشو الرابع باستكمالها والتاريخ لأحداث الفترة التى تلت الفتح الاسلامى حتى نهـاية عصر جده فرناندو الثالث فى عام ١٢٥٢ م(٢) ، ولذلك فقد نشر بيـــدال M.Pidal تلك المدونة بعنوان (٣) : « Primera Cronica General De Espana que Mando Componer Alfonso El Sabio y su Continuatio Bajo Sancho IV en 1289. »

وقد كانت تلك المدونة أول انتـاج تاريخى فى ايبـيريا فى العصـور الوسطى يكتبه فريق من المتخصصين فى التـاريخ ، فى عهد الملك الفونســو العاشر ، ومن هذا الفريق يمكن أن نميز شخصيات مثـل مارتين Martin القرطبى ، وجوان خيل Juan gil من سـمورة ، ثم جـوفرى Jofré من Loaysa (؟) وغيرهم ، وربما كان هـذا الفريق او غيره هـو الـذى

---

(١) ملك قشتالة وليون ، من أكبر دعاة الثقافة الاسلامية فى اسبانيا المسيحية ، أتم تاليف عدد من الكتب الكبيرة برعايته واشرافه المبـاشر ، وأغلبها من المصـادر العربية ، ترجمها له مسـاعدوه من اليهود ، الذين اتخذوا من مدينة طليطلة مقرا ، وامتـد عمل هـــذا الفريق اليهـودى الى الجوانب الأدبية والرياضـيـة والطبية والفلكيـــة ، فضـلا عن الجـانب التـاريخى .

أنظر بتفصيل . ليفى بروفنسـال ، الحضارة العربية فى اسبانيا ، ترجمة الطـاهر مكى ، دار المعــارف بمصر ١٩٧٩ م ، ص ١٣٨ ، ترند تراث الاسلام ، ترجمة مؤنس ، القاهرة ١٩٣٦ م ، ١ ص ٦٠ ـ ٦٢ .

(٢) Sànchez Alonso, Op. Cit., 1p 213. وعن محتوياتها أنظر ليفى بروفنسال ، الحضارة ، ص ٢١٣ ـ ٢١٦ .

(٣) فى جزأين ، بمـدينة Madrid عام ١٩٥٥ م .

استكملها فى عهد ابنه سانشو الرابع(١) .

كذلك فيلاحظ أن المدونة اول تاريخ يكتب بالقشتالية (الرومانسية) ، مثل معظم الانتاج العلمى والأدبى الذى ظهر فى بلاط الملك الفونسو العاشر . ورغم أن تلك المدونة عبارة عن نقول من غيرها من المدونات ، وخاصة مدونتى رودريك الطليطلى ولوقا التودى ، فانها صارت اشهر تاريخ قومى بين مؤرخى ايبيريا ، وتمة ما وصلت اليه حركة التأليف التاريخى الرسمى ، بحيث ظلت تلك الحركة – رسمية وغير رسمية – لمدة ثلاثة قرون تالية تكرارا او تنقيحا او استكمالا على تلك المدونة ، الى أن ظهرت كتابات مؤرخى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين التى صارت بدورها أساسا لمؤرخى اسبانيا فى العصر الحديث .

ويتميز القرن الثالث عشر الميلادى أيضا بظهور عدد آخر وفير من المدونات اللاتينية والاسبانية ، التى يمكن اعتبارها مدونات اقليمية لأن كلا منها تتناول تاريخ اقليم معين من أقاليم اسبانيا المسيحية ، وهى وان كانت فى معظمها غير مطولة ، كمدونات ذات القرن التى أشرنا اليها ، فانها تحتوى على معلومات تاريخية متفرقة ذات قيمة لتاريخ أشتوريس ، قلما توجد فى غيرها من المدونات المطولة ، مما أفادنا فى تقرير بعض الحقائق ، أو استيضاح بعض ما غمض فى غيرها من مدونات معاصرة أو سابقة عليها .

ومن هذه المدونات نكتفى بذكر : « مدونة كمبلوتى » Chronicon Complutense (٢) اللاتينية ، التى وجدت ضمن مخطوط فى مدينة القلعة دى هنارس Alcalà de Henares (٣) ، وكاتبها مجهول الاسم ولكنه

---

(١) انظر . Bleye, Op. Cit., 1pp 583-584 ; Diccionario de Historia, 1p 118 ; Danham, Op. Cit., 4 p202.

(٢) نشرها فلوريث Florez فى الجزء الثالث والعشرين من مجموعته السابقة الذكر ، وكذلك نشرها ويسى Huici فى الجزء الأول من كتابه .

(٣) انظر . Sànchez Alonso, Op. Cit., 1p 145 ; Sànchez Albornoz, Una Cronica Asturiana, p. 116 No. 1.

برتغالى الأصل (١) ، اذ بعد ان بدا المدونة بتحديد مدة حكم القوط ، ووقت انقضاء دولتهم على أيدى المسلمين ثم تاريخ اشتوريس ، فان روايته انصبت كلية على تاريخ البرتغال حتى نهاية عام ١٠٦٥ م / ٤٥٨ هـ . ومدونة كمبوستلا « Chronicon Compostellani » (٢) وهى المدونة المنسوبة الى مدينة سنتياجو دى كمبوستلا Saintiago فى اقليم جليقية ، وبدات بمثل ما بدأت به المدونة السابقة ، وان توقفت بعام ١١٢٦ م / ٥٢٠ هـ . اما « مدونة شرطانية » Chronicon Cerratensis (٣) اللاتينية ، فقد كتبها راهب يدعى رودريك Roderigo فى مدينة شرطانية Cerrato (٤) ، وارخت للقوط منذ عام ٦١٨ م ثم تاريخ اشتوريس بعد ذلك حتى عام ١٢٥٢ م / ٦٥٠ هـ ، ولفادتنا على الأخص فى التعرف على تاريخ اقليم قشتالة Castilla ، الذى كان تابعا لمملكة اشتوريس خلال فترة البحث ، وهو الاقليم الذى عرف منذ القديم ببردوليا Bardulia ، ثم عرفه المسلمون فيما بعد بالقلاع لكثرة قلاعه . كذلك فان « مدونة برغش » Chronicon Burgense (٥) ، اللاتينية المكتشفة فى كاتدرائية مدينة بنفس الاسم (٦) ، ويتصل تاريخها بين العام الميلادى الأول وعام ١٢١٢ م / ٦٠٨ – ٦٠٩ هـ ، فهى الأخرى هامة ومفيدة لتاريخ قشتالة فضلا عن تاريخ نبرة ، ومدى امتداد سلطان ملوك اشتوريس عليهما خلال فترة البحث . فى حين نجد : « مدونة سردينيا الأولى والثانية » Cronicon de Cardena I-II (٧) المكتوبة بالقشتالية ، وهو ما يدل على مكان كتابتها فى قشتالة ، تتناول تاريخ القوط ايضا وتاريخ ملوك اسبانيا المسيحية حتى عام ١٣١٢ م / ٧١١ – ٧١٢ هـ (٨) ، ولها

---

(١) Ballester, Op.Cit., p.51.

(٢) نشرها فلوريث Florez فى الجزء الثالث والعشرين من مجموعته السابقة الذكر ، وكذلك ويسى Huici فى الجزء الأول من كتابه .

(٣) نشرها فلوريث Florez وويسى Huici فى نفس المكانين .

(٤) Ballester, Op. Cit., p 52 ; Florez, Op. Cit., 23 p 204; Sànchez Alonso, Op. Cit., 1p 256.

(٥) نشرها Huici فى نفس المكان .

(٦) انظر . Ballester, Op. Cit., p51.

(٧) نشرها ويسى Huici فى نفس المكان .

(٨) Ballester, Op Cit., p 53 ; Valdeavellano, Op. Cit., 1p 49.

اهميتها الفائقة لما زودتنا به من معلومات تتصل بنشاط ملوك اشتوريس العمرانى المدنى والدينى فى نواحى قشتالة ، وعلاقاتهم بالمسلمين فى الأندلس ، وعلى الأخص فيما بين عامى ٧٩١ – ٩١٠ م / ١٧٥ – ٢٩٧ هـ .

كذلك فمن خصائص القرن الثالث عشر الميلادى ظهور نوع آخر من الكتابات التاريخية، اللاتينية والقشتالية ، التى تعرف بالحوليات Annalis – مفردها Annales – وهى اشتقاق من الكلمة اللاتينية Annus بمعنى عام او حول – فهذا النوع من الحوليات يعنى بتسجيل الأحداث عاما بعد آخر ، مثلما هو الحال عند المؤرخين المسلمين القدماء ، الذين حرصوا على نظام تتابع السنين فى حولياتهم دون اسقاط الا فى القليل النادر ، وعلى تدوين كل ما كان يصل اليهم من اخبار متنوعة . اما المؤرخون الاسبان فقد اقتصروا فى حولياتهم على تسجيل ما كانوا يعتبرونه هاما بالنسبة لهم من أحداث ، فاسقطوا بذلك سنوات كثيرة دون الاشارة اليها .

ونلاحظ ايضا ان هذا النظام الحولى قد ظهر فى اسبانيا المسيحية فى وقت متأخر عن الوقت الذى ظهر فيه عند المؤرخين المسلمين الأوائل ، الذين كانوا أصحاب السبق الى معرفته قبل نظرائهم من اليونان والرومان ، او انهم استلهموه بطريق غير مباشر من كتب اليونان ذاتهم (١) .

ويبدو أن المؤرخين الاسبان كانوا يرمون من وراء كتابة هذه الحوليات الى اختصار ما ورد فى مدوناتهم ، اذ أن معظم ما لدينا من حوليات اسبانية يحمل نفس أسماء ما ذكرناه من مدونات .

ومع ما يشوب هذه الحوليات اللاتينية والاسبانية من ذلك القصور المنهجى ، فقد عاونتنا على ربط وتوضيح بعض الحقائق التى وردت غامضة فى غيرها من المدونات ، وذلك بما أوردته من معلومات عن اشتوريس ، وعن قشتالة ونبرة اللتين امتد اليهما سلطان اشتوريس . ومن

---

(١) السيد سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٨٩ – ٩٠ .

هذه الحوليات نذكر : « حوليات كمبلوتى » Annales Complutenses (١) التى عثر عليها فى مدينة القلعة دى هنارس Alcalà de Henares (٢) كما يطلق عليها : « حوليات قشتالة الثانية » Annales Castellanos Segundos (٣) ، لاعتقاد البعض انها كتبت فى قشتالة ، بسبب تركيزها على تاريخها وحدها حتى عام ١١٢٦ م / ٥٢٠ هـ ، ولكنها كتبت فى اشتوريس (٤) ، ومعلوماتها عن الفترة المتعلقة بالبحث تعتبر هامة ، لأنها تضع ايدينا على مدى نشاط ملوك اشتوريس العمرانى والدنى فى اراضى قشتالة – التى كانت تابعة لهم آنذاك – وعلى غزوات المسلمين اليها . اما : « حوليات كمبوستلا » Annales Compostellani (٥) التى عثر عليها فى مدينة سنتياجو Saintiago de Compostella بجليقية ، فانها لم تكتب فيها كما يوحى اسمها ، ولم تشر اليها فى روايتها قط (٦) ، ولكنها كتبت فى قشتالة او نبرة من اراضى اسبانيا المسيحية ، اذ ركزت على تاريخ هاتين المنطقتين ، وعلى الأخص بداية ظهور مملكة نبرة ، ونشاط ملوك اشتوريس العمرانى والدينى فى قشتالة ونبرة ، وغزوات المسلمين اليهما . ثم : « حوليات طليطلة الأولى والثانية والثالثة » Anales Toledanos I, II, III (٧) ، التى عثر عليها فى كاتدرائية طليطلة ، وان كانت ترجع الى أصل قشتالى ، اذ تركز روايتها على غزوات المسلمين الى قشتالة ، وتعمير ملوك أشتوريس بعض مدنها .

تاتى بعد ذلك مدونات القرن الرابع عشر حتى الثامن عشر الميلادى . وكلها نقول من مدونة الفونسو العاشر السابقة ، أو استكمال لروايتها عن

---

(١) نشرها فلوريث Florez فى الجزء الثالث والعشرين ايضا من مجموعته ، كما نشرها ويسى Huici فى الجزء الأول من كتابه .

(٢) Ballester, Op. Cit., p 51.

(٣) Bleye, Op. Cit., 1p 550.

(٤) كتبت فى دير سان جوان دى كورياس San Juan de Corias انظر . Sànchez Alonso, Op. Cit., 1p 150 ; Ballester, Op. Cit., p 51.

(٥) نشرها ويسى Huici فى نفس الجزء من كتابه السابق .

(٦) Sànchez Alonso, Op. Cit., 1p 150 ; Ballester, Op. Cit., p 51.

(٧) نشرها ايضا ويسى Huici فى الجزء الأول من كتابه . وعن النصوص الثلاثة انظر . Florez, Op. Cit., 23 pp 358-369 ; Sànchez Alonso, Op. Cit., 1pp 151-152, 259 ; Ballester, Op. Cit., p. 53.

تاريخ اسبانيا ، وعلى الأخص تاريخ اسبانيا المسيحية . ومن هذه الكتابات نكتفى بالاشارة الى : « مدونة تاريخ اسبانيا لعام ١٣٤٤ م » ، La Cronica General de Espana de 1344 ، التى نشرت مرة بالاسبانية(١) ومرة أخرى بالبرتغالية (٢) ، عن نصين يوجد بينهما بعض الاختلاف وقد احتفظ فيها مؤلفها – المجهول حتى وقتنا الحاضر (٣) – برواية مدونة الفونسو العاشر ، واستكمل عليها التاريخ لاسبانيا المسيحية حتى عام ١٣٤٤ م (٤) . ثم كتاب Compendio Historial (٥) ، الذى كتبه المؤرخ جاريبى E.de Garibay (١٥٣٣ – ١٥٩٩ م) (٦) ، وما كتبه موراليس A.De. Morales (١٥١٣ – ١٥٩١ م) بعنوان : La Cronica General de Espana (٧) . وكتاب : Historiae de Rebus Hispaniae (٨) ، للمؤرخ ماريانا J.de Mariana (١٥٣٦ – ١٦٢٤ م) .

---

(١) حققها كل من دييجو كتلان Diego Catalàn ودى أندريس De Andrés ونشرت بنفس العنوان فى الجزء الثانى من المجموعة المسماة Fuentes Cronisticas de la Historia de Espana, Madrid 1970

(٢) حققتها لندلى سنترا Lindley Cintra ونشرت بعنوان : Cronica Geral de Espanha de 1344 ، وذلك ضمن منشورات Academia Portuguesa de Historia التى تصدر فى مدينة لشبونة Lisboa وذلك فى الجزاين الثانى عام ١٩٥٤ م ، والثالث عام ١٩٦١ م .

(٣) وعن آراء المؤرخين فى مؤلف المدونة ، راجع Pidal, Cronicas Generales de Espana, pp. 19-22. وكذلك مقدمة الطبعة الاسبانية ، ص XXI الى XXVII .

(٤) عن محتوياتها أنظر . Pidal, Op. Cit., p 24 Sqq

(٥) فى أربعة أجزاء ، طبع فى مدينة برشلونة Barcelona عام ١٦٢٨ م ، وعن محتوى الكتاب أنظر بتفصيل . Sànchez Alonso, Op.Cit., 2pp 23-25 .

(٦) عنه وعن حياته ، ومحتوى كتابه ، أنظر Sànchez Alonso, Op. Cit., 2pp 25-30 .

(٧) نشر فى أربعة أجزاء فى مدينة القلعة دى هنارس Alcalà de Henares بين عامى ١٥٧٤ – ١٥٨٢ م .

(٨) الف باللاتينية ، ونشره سكوت Schott فى الجزء الثانى من كتابه Hispaniae Illustratae صفحات ٢٥٨ – ٨٠١ ، ثم ترجم مارجل Margell النص الى الاسبانية ونشر فى الجزاين ٣٠ ، ٣١ من المجموعة المسماة : Nueva Biblioteca de Autores Espanoles التى تصدر فى مدريد . هذا وقد ترجمه المؤرخ الانجليزى J.Stevens الى الانجليزية ونشره ملخصا بعنوان : The History of Spain, London 1699.

ثم ما كتبه المؤرخ بيرجانثا F. de Berganza (١٦٦٣ – ١٧٣٨ م) بعنوان : Antiguidades de Espana (١) . وفلوريث H. Florez (١٧٠٢ – ١٧٧٣ م) ، بعنوان : Espana Sagrada (٢) . وويرتا اى فيجا Huerta y Vega (١٦٩٧ – ١٧٥٢ م) بعنوان : Anales del Reyno de Galicia (٣) . وكاربالو Carvallo بعنوان : Antiguidades y Cosas Memorables del Principado de Asturias (٤) . واسكاندون Escandon بعنوان : Historia Monumental del Héroico Rey Pelayo y Su Sesores En EL Trono Cristiano De Asturias (٥) ، الى غير ذلك من المصادر الاسبانية واللاتينية .

وبجانب هذه المصادر القديمة توجد مراجع حديثة بعضها من تاليف مؤرخى الاسبان الحديثين والأوربيين بصفة عامة ، وبعضها الآخر

---

(١) نشر الكتاب فى جزأين فى عامى ١٧١٩ – ١٧٢١ م بمدينة مدريد Madrid وعن الكتاب ومؤلفه ، أنظر Sànchez ALonso, Op Cit., 3 pp. 16-19.

(٢) بدأ فلوريث هذه المجموعة الضخمة كما أشرنا من قبل ، ونضيف أنه أصدر منها فى مدينة مدريد الأجزاء ١ – ٢٧ منذ عام ١٧٤٧ م فصاعدا ، فلما توفى قررت الحكومة الاسبانية مواصلة نشر تلك المجموعة لأهميتها ، وعهدت بذلك الى ريسكو M. Risco ، الذى استكمل اصدارها حتى الجزء ٤٢ ، ثم من بعده مرينو Merino الذى أصدر الجزأين ٤٣ – ٤٤ ، ثم كانال de La Canal فاصدر الجزأين ٤٥ – ٤٦ ، ثم تولت أكاديمية التاريخ الملكية La Real Academia de la Historia فى مدريد اصدار الأجزاء ٤٧ – ٥٦ ، وتوقفت بها حتى عام ١٩٥٧ م . ثم أصدر بالنثيا A.G. Palencia فهرسا لهذه المجموعة بعنوان Indice de la Espana Sagrada .Madrir, 1918. كما أصدر مينديث F. Mendez فهرسا آخر بعنوان : Indice-Catalogo de Espana Sagrada, Madrid 1952. راجع عن مؤلفى هذه المجموعة . Sànchez Alonso, Op. Cit.. 3 pp. 88, 115-124.

(٣) نشر فى جزأين فى مدينة سنتياجو Saintiago عامى ١٧٣٣ – ١٧٣٦ م ، وعن الكتاب أنظر : Sànchez Alonso, Op. Cit., 3 p. 92.

(٤) نشر فى ساليناس – أشتوريس Salinas-Asturias عام ١٩٧٧ م ، من مخطوطة فى المكتبة الأهلية بمدريد .

(٥) نشر فى مدريد Madrid عام ١٨٦٢ م .

من تآليف مؤرخى الشرق الحديثين ، الذين اهتموا بالدراسات الأندلسية ، واعتمدت بعضها على التحليل والتفسير ، فعاونتنا على التعرف على وجهات النظر المختلفة حول بعض نشاط البحث ، وخاصة فى الجانب السياسى ، لأنها لم تتعرض للجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى مملكة أشتوريس خلال فترة البحث ، بسبب خلو المصادر اللاتينية والاسبانية من معلومات كافية عنها .

ولا شك فى أن المراجع الاسبانية تأتى فى الدرجة الأولى من الأهمية بين هذه المراجع الحديثة ، لأنها تعبر عن وجهة نظر الاسبان فى تاريخ بلادهم ، كما انها تفوق غيرها من المراجع فى الاهتمام بدراسة تاريخ اسبانيا المسيحية التى ناوأت المسلمين فى ايبيريا . ولا يقلل من قيمة الاستفادة من هذه المراجع ما اتصفت به بعضها من تعصب مؤلفيها بدافع القومية والانتماء للأصل الاسبانى ، أو ما اتضح فى بعضها الآخر من مغالاة هى فى الواقع استمرار ومجاراة لمغالاة المدونات اللاتينية والاسبانية ، هذا فضلا عن اختلاف مؤلفيها البين فى تقييمهم لبعض نقاط حيوية فى بحثنا مثل قضية خضوع أشتوريس للمسلمين ، وطبيعة علاقتهم بسكانها ، ونظرة بعضهم الى حركة التمرد التى ظهرت فيها بعد الفتح الاسلامى بسنوات قلائل على أنها ثورة شعبية اسبانية خالصة ، فى حين لم يخرجها البعض الآخر عن ثورة قوطية الأصل ، وان اتفقوا جميعا على أنها تمثل ذروة الشعور القومى لدى اسبان العصور الوسطى ، نتج عنه قيام مملكة أشتوريس اما فى السنوات القليلة التالية للفتح الاسلامى لايبيريا ، أى فى عام (٧١٨ م / ٩٩ ـ ١٠٠ هـ) ، أو فى عام (٧٣٩ م / ١٢١ هـ) . كما أن بعضهم يلوى كثيرا من الحقائق التاريخية التى تتعلق على الأخص بطبيعة العلاقة بين مملكة أشتوريس والأندلس ، وذلك لصالح أشتوريس بطبيعة الحال، نجعلوا لها اليد الطولى فى صراعها ضد مسلمى الأندلس .

وعلى كل حال ، فلن نفصل فى هذا العرض بين المراجع الاسبانية والأوربية ، تجنبا لما قد يحدث من تكرار حين مناقشة محتويات كل منها ، ونفضل أن نجمع بينها ونقسمها الى مجموعات حسب

موضوعات تصنيفها ، ثم نذكرها مرتبة على قدر اهميتها لموضوع البحث

ونبدأ بالأبحاث والمقالات التى تتناول جزئيات محددة ، وتمتاز بالتعمق والتحليل ، فكانت افادتها مباشرة فى موضوع البحث ، وتأتى فى مقدمة هذه الأبحاث ما ألفه المؤرخ الاسبانى سانشيث البورنوث Sànchez Albornoz من مقالات عديدة خلال القرن الحالى ، نشرها فى حينها فى الدوريات المختلفة ، ثم جمعها فى كتاب بعنوان : Origénes de la Nàcion Espanola (١) ، أى : « أصول الأمة الاسبانية » .

وقد اهتم البورنوث فى أبحاث هذا الكتاب بالعديد من الموضوعات ، ومنها على الأخص قصة الفتح الاسلامى لايبيريا بما فيها اقليم أشتوريس، التى يخلص فيها الى انه وان كان المسلمون قد فتحوا أشتوريس الا أن ذلك فى رأيه لم يتم الا فى وقت لم يحدد تاريخه سوى انه فى فترة تلت موجة الفتح الاسلامى الأولى لشبه الجزيرة (٢) . كما ناقش فى مقالات أخرى نسب بلاى ـ بلاجيوس Pelagius ـ الذى وان وافق على أنه قوطى الأصل الا انه لم ينسبه للأسرة المالكة(٣) . وكذلك أحداث التمرد على المسلمين التى ينسب الدور فيها للأشتوريين دون العناصر القوطية الأخرى التى سكنت أشتوريس ، معتبرا التمرد ثورة أشتورية اسبانية(٤) ، ووقت بداية المعركة التى تلاقت فيها القوات الاسلامية بالأشتورية ، وعرفت بموقعة كوبادونجا Covadonga (٥) ، وأحداثها

---

(١) فى ثلاثة أجزاء ، بمدينة أوفييدو Oviedo ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ م .

(٢) المقال بعنوان : Itinerario de la Conquista de Espana بالجزء الأول من الكتاب المذكور ، صفحات ٤١٣ ـ ٤٨٤ ، وكان قد نشر المقال بنفس العنوان فى مجلة : CHE ، بمدينة Buenos-Aires ، الجزء العاشر ، ١٩٤٨ م ، صفحات ٢١ ـ ٧٤ .

(٣) المقال بعنوان : Pelayo Antes de Covadonga بالجزء الثانى من الكتاب ، صفحات ٧٧ ـ ٩٥ .

(٤) المقال بعنوان : La Rebelion Astur ، بالجزء الثانى ، صفحات ٧ ـ ٤٠ .

(٥) المقال بعنوان : Data De La Batalla De Covadonga بالجزء الثانى ، صفحات ٩٧ ـ ١٣٥ .

التى ساير فيها مغالاة المدونات اللاتينية القديمة وعلى الأخص مدونة الفونسو الثالث(١) . كما وصف فى مقالة أخرى جغرافية المنطقة التى دارت على ارضها المعركة(٢) ، وهو وصف تناوله ايضا مؤرخ اسبانى آخر هو Perez de Cao ، فى مقاله بعنوان : Batalla del Monte Auseva ، فى مجلة : La Revista de Espana (٣) .

كذلك فقد انصب اهتمام البورنوث على دراسة المواقع الحربية بين الأندلس واشتوريس ، لا سيما تلك الحملات التى انهزمت فيها القوات الاسلامية ، وتحديد خط سير تلك الحملات العسكرية ، وهو ما يتضح من عناوين مقالاته التالية : « هزيمة بوربيا La Derrota del Burbia » (٤) ، « وموقعة وادى أرون La Batalla de wadi Arun » (٥) ، « وهزيمة وادى سليط La Jornada del Guadacelete » (٦) ، « وموقعة كلابيخو الحقيقية La Autentica Batalla de Clavijo » (٧) ، التى كانت مجال دراسة المؤرخ كانتيرا أوريف Cantera Orive فى كتابه المعنون : La Batalla de Clavijo (٨) ، اى معركة كلابيخو . ثم « حملة مركويرا La Campana de La Morcuera » (٩) ، ثم « موقعة لوتس La Batalla de Lutos (١٠) ، وهى موقعة تناولها بالدراسة

---

(١) المقالة بعنوان : EL Relato de Alfonso III Sobre Covadonga بالجزء الثانى ، صفحات ٤١ — ٧٦ .

(٢) المقال بعنوان : A travé de Los Picos de Europe بالجزء الثانى ، وكان قد نشر بنفس العنوان ، فى مجلة : Revista de Occidente , الجزء التاسع ١٩٣١ م ، صفحات ٢٥٠ — ٢٧٥ .

(٣) العدد الحادى والعشرون ، ١٨٧١ م ، صفحات ١٦٨ — ١٧٥ .

(٤) Origenés, 2pp. 469-481.

(٥) Op. Cit., 2pp. 603-621.

(٦) Op. Cit., 3pp. 195-218.

(٧) Op. Cit., 3pp. 281-311.

(٨) طبع مدينة فيتوريا Vitoria فى عام ١٩٤٤ م .

(٩) Op. Cit., 3pp 338-363.

(١٠) Op. Cit., 2pp. 491-508.

ايضا المؤرخ الاسبانى روى Ruiz ، ضمن مقال له عن حملات الأمير الأندلسى هشام بن عبد الرحمن الى مملكة أشتوريس ، بعنوان : « Las Campanas Enviadas por Hixem I Contra Asturias » (١)

كذلك فلدينا عدد آخر من الأبحاث لنفس المؤرخ سانشيث البورنوث نشر بعضها فى الكتاب السابق ، مثل Advertencia Sobre el Kitab Aman de Abd al-Rahman I a Castilla (٢) ، الذى ناقش فيه عهد الأمان الذى منحه عبد الرحمن بن معاوية لأهل قشتالة ، وما اذا كان الأمان يخص اقليم قشتالة الذى كان آنذاك تابعا لأشتوريس ، أم انه يخص مدينة بنفس الاسم فى الأندلس ذاتها ، وجدير بالذكر ان المؤرخ يحاول أن يؤكد اختصاص الأمان بمدينة قشتالة ، وعدم ارتباطه باقليم قشتالة .

ثم لدينا بحث آخر له بعنوان : La Succesion Al Trono En Los Reinos de Léon y Castilla (٣) ، وهو البحث الذى ناقش فيه نظام الحكم وكيفية اعتلاء العرش فى مملكتى ليون وقشتالة ، وتتبع اصل ونسب حكام كل منهما ، ولما كانت هاتان المملكتان من ورثة مملكة أشتوريس ، فقد امتد بحثه ليشمل مناقشة هذا الجانب أيضا فى مملكة أشتوريس ، وهو موضوع كان مجال بحث لمؤرخ اسبانى آخر هو جوبانتس Govantes وان اقتصر فيه على نظام تتابع العرش فى أشتوريس وحدها ، وذلك بعنوان (٤) : Disertacion Que Contra EL Nuevo Sistema Establecido por EL Abate Masdeu En La Cronologia de Los Ocho primeros

---

(١) نشر هذا البحث ضمن كتاب Estudios sobre la Monarquia Asturiana, 2ed.. Oviedo 1971, pp. 469-515. ، وهو كتاب يضم عدة أبحاث لمؤرخين متعددين ، صدر بمناسبة احياء ذكرى الفونسو العفيف أحد ملوك أشتوريس ، وكانت قد صدرت الطبعة الأولى منه فى عام ١٩٤٢ م .

(٢) Op. Cit., 2pp. 323-328.

(٣) نشر بمجلة : BAAL. 1914, 14 pp. 35-124.

(٤) نشر فى مجلة : MRAH, Madrid 1847, 8 pp 3-18.

Reyes de Asturias. ، وكان قد تنـــاول هـذه الناحيـــة أيضـــا مؤرخ اسبانى ثالث هو كابيدا Caveda ، بعنوان Examen Critico de La Restauracion de La Monarquia Visigoda. (١) ، ولعـــل من أبـــرز خصائص هـذا البحث ـ كمـا هو واضح من عنوانه ـ أن المؤلف يخلص منه الى أن مملكة أشتوريس كانت امتدادا لملكة القـوط التى قضى المسلمون عليها فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، وهو يجارى فى ذلك مؤلفى المدونات اللاتينية ويخالف وجهة نظر معظم مؤرخى الاسبان الحديثين الذين يعتبرونها مملكة اسبانية خالصة لم يكن للقوط فيها اسهام .

اما المقالة الثالثة للمـؤرخ سانشيث البـورنوث ، نهى بعنـوان : Los Vascos y Los Arabes Durante Los Dos Primeros Siglos De La Reconquista. (٢) ، وهى مقالة تنـاول فيهـا المـؤرخ بدايات عـلاقات البشكنس سكان بمبلـونة بالمسلمين ، وتطـوراتها فى القرنين الأولين من استقرار المسلمين فى ايبيريا ، وهو موضـوع درسه أيضـا بعض المؤرخين ، مثل المؤرخ الاسبـانى أوربل P. de Urbel ، فى مقـالـه : Lo Viejo y Lo Nuevo Sobre el Origen Del Reino De Pamplona. (٣) والمؤرخان الفرنسيان ليفى بروفنسال Lévi-Provençal فى مقالة Du Nouveau Sur Le Royaume De Pampelune Au IX Siécle. (٤)، وبراو ـ ديبجو Barrau-Dihigo فى مقالين ، الأول بعنـوان Les Origines Du Royaume De Navarre. (٥) والثانى بعنوان Les Premiers Rois De Navarre, Notes Critiques. (٦) .

واذا كانت هذه الأبحاث الخمســة الســابقة تتعلق بعـلاقات المسلمين والبشـكنس فى نبرة (بمبلونة) ، فان علاقات كل من البشكنس وأشتوريس، وأثر علاقاتهما على المسلمين فى الأندلس تكتمـل بالمقـال الذى كتبه المـؤرخ

(١) نشر فى المجلة السابقة بالجزء التاســع عام ١٨٧٩ م ، ص ١ ـ ١٠٧ .

(٢) نشر فى مجلة : BOL. IAEV. 1952, 3pp. 65-75.

(٣) نشر فى مجلة : AL-Andalus. Madrid - Granada 1954, 19pp. 1-42.

(٤) نشر فى مجلة : Bulletin Hispanique, Bourdeaux 1953, 55pp 5-22.

(٥) نشر فى مجلة : Revue Hispanique, Paris 1900, 7pp. 141-222.

(٦) نشر فى المجلة السابقة ، فى الجزء ١٥ ص ٦١٤ ـ ٦٤٤ .

الاسـبانى لاكارا Lacarra وذلك بعنوان : Las Relaciones Entre EL Reino De Asturias y El De Pamplona (١) . كذلك تكتمـل صـورة عـلاقات أشتوريس بغيرها من القوى المسيحية بما كتبه المـؤرخ الفرنسى ديفورنيـه Defourneaux عن علاقات أشـتوريس بالفرنجة فى غالة وأثرها على مسلمى الأندلس ، بعنـوان : Carlomagno y EL Reino Asturiano (٢) .

كذلك فلدينا بعض الأبحاث المـوجزة ، التى تعبـر عن وجهات نظر مؤلفيها فى تحديد بداية حركة المقـاومة المسـيحية ، وما اذا كان الفرنجة هم أول من بدأها أم الاسبان . فجعل بعضهم بدايتهـا فرنجيـة حين اصطدم المسلمون بهم فى شـمال شرقيى ايبيريا ، ثم ربطوها بالمقاومة الاسبانية التى بدأت فيمـا بعـد فى اسبانيا المسـيحية ، مع أن مقـاومة الفرنجة للمسلمين فى شمال شرقى ايبـيريا وجنوبى غالة ، فى ذلك الوقت المبكر ، لم يكن قد تم تنسيقها مع اسـبانيا المسـيحية ، ولم تكن بهـدف الدفاع عن الأراضى الاسبانية أو اسـتردادها من المسلمين ، وانمـا بهدف الدفاع عن أراضيهم الفرنجية فى غالة .والبحث الذىيمثل وجهةالنظر السابقة هو للمؤرخ الاسبانى دى لا تورى De la Torre بعنوان : Las Etapas De La Reconquista Hasta Alfonso II (٣) . أما المـؤرخ الفرنسى فليشـيه Fliche فى مقاله بعنـوان : Alphonse II et les Origines de La Conquête Chretienne (٤) ، فيعـارض وجهـة النظر السـابقة ويجعل حركة المقـاومة المسيحية اسبانية خالصـة ، تظهر فى اقليم أشتوريس بالشـمال الايبيرى ، وان يؤخر بدايتها الى عهـد ملكها الفـونسو الثانى أى الى منتصـف القرن التاسع الميلادى .

هذا عن الأبحاث والمقالات ، أما عن الكتب الاسبانية والأوربية فلدينا منهـا أنواع متعـددة ، تتنـاول بعضها التـاريخ لفترة حكم بعض ملـوك

(١) نشر ضمن أبحاث كتاب : Estudios Sobre La Monarquia Asturiana, pp. 223-243.

(٢) نشر ضمن أبحاث الكتاب السابق ، ص ٩١ ـ ١١٤ .

(٣) نشر ضمن أبحاث الكتاب السابق أيضا ، ص ١٣٣ ـ ١٧٤ .

(٤) نشر ضمن أبحاث الكتاب السابق أيضـا ، ص ١١٧ ـ ١٣١ .

اشتوريس مثل كتاب : «الفونسو الثانى» Alfonso II (١) ، للمؤرخ الاسبانى كابال Cabal ، وكتاب : Historia Critica y Documentada de La Vida y Acciones de Alfonso III للمؤرخ الاسبانى كوتاريلو Cotarelo (٢) وتناول بعضها الآخر التاريخ لدور بعض مدن اشتوريس الهامة فى تاريخ اشتوريس وما يوجد فيها من آثار تتعلق بفترة البحث والفترات التى تليها ، مثل كتاب Gijon En La Historia General De (٣) Asturias للمؤلف الاسبانى سوموثا J. Somoza .

كذلك فمن الكتب ما تناول بالدراسة عناصر سكان اشتوريس الأول وخصائصهم ، والقوى الأجنبية التى سيطرت عليهم قبل الفتح الاسلامى ، وتقسيماتها الادارية منذ عصر الرومان ، وهو التقسيم الذى ظل قائما حتى بدايات العصر الحديث ، مثل كتاب : Memorias De Los Astures Antiguas (٤) ، للمؤرخ الاسبانى فلوريث H.Florez . ثم كتابان يختصان بتاريخ اشتوريس السياسى . أولهما هو : Antiguedades (٥) De Los Astures Transmontanos desde Los Tiempos Mas Remotos Hasta el Siglo X . للمؤرخ الاسبانى ريسكو Risco ، الذى تتمثل اهميته فى احتوائه على مجموعة من النقوش والوثائق النادرة عن أشتوريس فى فترة البحث ، أما قيمته التاريخية فلا تخرج عن كونها تجميع لروايات المدونات اللاتينية ، وهو نقص اكمله المؤرخ الفرنسى براو - دييجو Barrau-Dihigo فى بحث له بعنوان : Recherches Sur L'Histoire (٦)، Politique De Royaume Asturien ، الذى جمع فيه روايات المصادر الاسلامية جنبا الى جنب مع روايات المصادر اللاتينية دون أن يحللها ، تاركا للقارىء مهمة استنتاج ما يراه بنفسه . على أن أبرز ما عند

---

(١) Oviedo, 1943.

(٢) Madrid, 1933.

(٣) Gejione فى جزاين 1958 ، يختص الثانى منهما بالعصور الوسطى .

(٤) هو الجزء السادس عشر من مجموعة : Espana Sagrada, Madrid 1789.

(٥) هو الجزء السابع والثلاثون من المجموعة السابقة ، مدريد ١٧٨٩ م .

(٦) نشر ضمن منشورات مجلة Revue Hispanique, Paris 1921, 52pp 1-360.

هذين المؤرخين انكارهما خضوع اقليم اشتوريس للمسلمين ، ومحاولتهما التدليل على ظهور مملكة اشتوريس المستقلة عن الحكم الاسلامى ، منذ عام ٧١٨ م / ٩٩ - ١٠٠ هـ .

يضاف الى ذلك كثير من المراجع الاسبانية والأوربية بعامة ، التى أرخت لتاريخ شبه جزيرة ايبيريا ، اما منذ القديم حتى العصر الحديث ، او اقتصر بعضها على فترة العصور الوسطى ، أو على تاريخ المسلمين فى الأندلس وحدها ، وهى مراجع اهتمت بابراز الخطوط العامة والأحداث البارزة دون التركيز على فترة بعينها . ومن هذه الكتب ، الموسوعة المعروفة بعنوان : Cronica General de Espana (١) ، والمجموعة المنشورة بعنوان : Espana Sus Momuments y Artes, Su Naturaleza é Historia (٢) ، التى انفرد المؤرخ كوادرادو Quadrado بتاليفها ؛ ومجموعة : Historia de Espana (٣) التى أصدرها بيدال M. Pidal . وكتاب : Manual de Historia de Espana (٤) للمؤرخ بليى A.Bleye ؛ وكتاب A. History of Spain (٥) لألتاميرا Altamira ، وكتاب : History of The Dominion of The Arabs In Spain (٦) لكوندى Conde وكتاب : Estudios Criticos De Historia Arabe Espanola (٧) الذى كتبه

---

(١) فى أربعة عشر جزءا ، تتناول تاريخ مقاطعات ايبيريا منذ العصور القديمة حتى بدايات العصور الحديثة ، وقد ألف الجزء الخاص باشتوريس اسكاليرا Escalera وأشرف على اصداره دون كيتانو رسل Don Cayetano Rosell. ؛ فى Madrid فى عام ١٨٦٥ م .

(٢) فى عدة أجزاء ، أما الجزء الخاص باشتوريس وليون فقد نشر فى مدينة برشلونة Barcelona عام ١٨٨٥ م .

(٣) يهمنا منها الجزء السادس ، بعنوان : Espana Cristiana Comienzo de La Reconqista, Madrid 1956.

(٤) فى ثلاثة أجزاء ، فى مدينة مدريد ، ويهمنا منها الجزء الأول الصادر عام ١٩٧٥ م .

(٥) صدر فى مدينة نيويورك New York عام ١٩٤٩م ،وهو ترجمة للنص الاسبانى .

(٦) فى ثلاثة أجزاء ، صدر الجزء الأول منه عام ١٨٥٤ فى لندن . وهو ترجمة للنص الاسبانى .

(٧) فى ثلاثة أجزاء ونشر ضمن مجموعة : Coleccion de Estudios Arabes, Saragosa 1903-1917.

المؤرخ كوديرا F. Codera ، وكتابى المستشرق الهولندى دوزى R. Dozy ، الأول بعنوان : Histoire des Musulmans d'Espagne (١) ، أما الثانى فهو بعنوان : Recherches Sur L'Histoire Et Litterature d'Espagne Pendant Le Moyen Age (٢) ، وكتابات المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال Lévi-Provençal ، وعلى الأخص كتاب Histoire De L'Espagne Musulmane (٣) ، الى غير ذلك من المراجع الأوربية المتنوعة .

ولا يجب أن تفوتنا هنا الاشارة الى كتابات مؤرخى الشرق الحديثين ، الذين تخصصوا فى دراسة التاريخ الأندلسى والاسبانى بعامة . وفى الواقع فان دور مؤرخى مصر الحديثين فى هذا المجال يعتبر دورا قياديا ، ويظهر هذا الدور الريادى لمؤرخى مصر الحديثين من مؤلفاتهم العديدة فى التاريخ الأندلسى التى نكتفى منها بذكر ، كتاب : **المجمل فى تاريخ الأندلس**(٤) للمرحوم عبد الحميد العبادى . وكتابات حسين مؤنس المتعددة ومنها على الخصوص كتاب : فجر الأندلس ، دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الأموية ٧١١ ـ ٧٥٦ م (٥) ، وأبحاثه عن : صورة الأندلس(٦) ، وثورات البربر فى افريقية والأندلس(٧) ، وغارات النورمانيين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ و ٢٤٥ هـ / ٨٤٤ ، ٨٥٩ م(٨) .

---

(١) فى ثلاثة أجزاء ، صدر فى Leyde عام ١٨٣٢ م ، وترجمه استوكس Stokes بعنوان : A History of The Moslems In Spain, London 1913. ثم ترجم الدكتور حسن حبشى ، الجزء الأول منه بعنوان : تاريخ مسلمى اسبانيا ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .

(٢) فى جزأين ، ط ٣ ، باريس Paris ، ١٨٨١ م .

(٣) فى ثلاثة أجزاء ، فى مدينة باريس عام ١٩٥٠ وما بعدها . وقد ترجم غرسيه غومث Garcia Gomez الجزء الأول منها الى الاسبانية ، بعنوان : Histoire De Espana Musulmana ، وصدر فى الجزء الرابع من المجموعة التى يصدرها بيدال M.Pidal ، فى مدريد عام ١٩٥٠ م .

(٤) ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٤ م .

(٥) ط ١ ، القاهرة ١٩٥٩ م .

(٦) مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٠ م ، ص ٣٣ ـ ٦٠ .

(٧) مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١٠/١ لسنة ١٩٤٨ م، ص ١٤٣ ـ ٢٠٦ .

(٨) المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١/٢ لسنة ١٩٤٩ م ، ص ١٩ ـ ٧٣ .

ثم كتابات السيد عبد العزيز سالم ، ومن اهمها لموضوع البحث كتاب : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية (١) ، ثم كتاب : فى تاريخ المغرب والأندلس(٢) ، لاحمد مختار العبادى ، وكتابات محمد عبد الله عنان ، وأهمها كتابه الموسوعى : دولة الاسلام فى الأندلس (٣) ، الذى لا زال أول موسوعة شاملة لتاريخ الأندلس على مستوى الشرق العربى فى العصر الحديث ، وكتاب : تاريخ العرب فى اسبانيا(٤) لمحمد دياب ، وكتاب : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى (٥) لعلى حموده ، ثم كتاب : مع المسلمين فى الأندلس (٦) لعلى حبيبة ، وكتابى : التاريخ السياسى للدولة العربية(٧) ، والعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى (٨) ، لعبد المنعم ماجد .

وفى مقابل هذا الانتاج الوفير لمؤرخى مصر الحديثين عن تاريخ الأندلس ، يوجد قليل من الكتب لمؤرخى العرب الحديثين ، يتقدمها كتاب شكيب أرسلان ، بعنوان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية (٩) ، وكتاب عبد الرحمن الحجى ، بعنوان : التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة(١٠) .

ولعله يتضح من عناوين المؤلفات العربية السابقة أنها اختصت فى معظمها بتاريخ المسلمين فى الأندلس ، منذ الفتح الاسلامى لايبيريا ولفترات متفاوتة تصل فى بعضها الى اخلاء المسلمين لها فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى . على أن بعضها قد اهتم أيضا بالتاريخ للقوى المسيحية

---

(١) دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

(٢) الاسكندرية بدون تاريخ .

(٣) فى عدة أجزاء ، الجزء الأول على الخصوص ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٠ م .

(٤) الجز الأول على الخصوص ، القاهرة ١٩١٣ م .

(٥) الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

(٦) القاهرة ١٩٧٢ م .

(٧) الجزء الثانى على الخصوص ، ط ٤ ، القاهرة بدون تاريخ .

(٨) بيروت ١٩٦٧ م .

(٩) فى ثلاثة أجزاء القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وما يليها .

(١٠) الطبعة الأولى ، دمشق ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

الاسـبانية ، ومنهـا أشـتوريس ، الا ان رواياتها فى هذا الصدد تتسم بالعمومية والايجـاز وأحياناً بالغمـوض ، وتفتقر الى التحليل والتمحيص بسبب اعتمـاد مؤلفيها على المصـادر الاسـلامية وحدها من دون اللاتينية ، باستثناء المؤرخين المصريين الذين تقف كتاباتهم كدليل قاطع أيضا على السـبق المصرى فى الانفراد حتى وقتنا الحاضر بالاطلاع عليها والاستفادة منها جنبا الى جنب مثيلاتها الاسلامية .

تلك نظرة سريعة استعرضنا فيها أهم المصـادر والمراجع المختلفة التى أعانتنا فى دراسـة موضوع البحث ، الذى اتجهت فكرته الى استغلال كل ما توفر عنه من مـادة علمية فى جميع المصـادر قدر المسـتطاع وتحليلها ومقابلتها وربط خيوطها وعناصرها ، واقامة الدليل عليها ، بهـدف وضع تصور لأصول وبدايات حركة المقاومة الاسـبانية ضد المسـلمين فى اقليم أشتوريس ، وتطوراتها ، ومراحلها المختلفة ، وذلك فيمـا بين عامى ٩٢ ـ ٢٩٧ هـ / ٧١١ ـ ٩١٠ م ، وهى الفترة التى كانت فيها أشتوريس أول قوة اسبانية مسيحية تبدأ مناهضة المسلمين من معقلها فى شمال ايبيريا .

البـاب الأول

اقليم أشـتوريس حتى الفتح الاسلامى

الفصل الأول

أشتوريس قبل الفتح الاسلامى

اتخذت شبه الجزيرة الايبيرية أسماء متعددة على مر العصور ، اشتق بعضها من أسماء أنهارها وبعضها الآخر من أسماء قبائل وشعوب سكنتها ، أو ارتبطت باسم أحد الكواكب ، أو حتى باتجاه الغرب الجغرافى . فسميت فى القديم ابارية Iberia من نهر ابيروس Eberus (١) وهو ابرة Ebro الحالى ، أو نسبة الى قبائل بنفس الاسم كانت قد سكنت حول هذا النهر بالجزء الشرقى ، وشمل اسمهم كل شبه الجزيرة مع انتشارهم فى أنحائها (٢) . ثم عرفت بباطقة Baetica م نهر بيطى Baetis أى نهر قرطبة(٣) ، الذى عرفه المسلمون فيما بعد بالوادى الكبير (٤) Guadalquivir ، وكان اليونان قد نزلوا على ضفتيه (٥) ،

---

(١) أنظر : Pliny, Natural History, 2p 19 ; Chron. Albeldense, ed. Florez, Esp. Sagr., 13 p433 ; Atlas geographus, 2p 1176

البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٥٧ ، الحميرى ، صفه ، ص ٢ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢١٢ ويسميها « أفارية » ، الطاهر مكى ، الأندلس تاريخ اسمه وتطوره ، ص ٢٥ . ونهر ابرو ينبع من جبال السيرطانيين بكنتبرية بشمال شبه الجزيرة ويصب فى البحر المتوسط بناحية طرطوشة ، وعنه ، أنظر . Strabo , geography, 2 p. 91 ; Lévi-Provençal, La Description, pp. 103-104.

(٢) أنظر . مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، صفحات ١٣٨ - ١٣٩ ، الطاهر مكى ، نفس الصفحة والمكان ، Altamira, A History of Spain, p. 22.

(٣) أنظر البكرى ، نفسه ، ص ٥٨ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، ونهر بيطى من الأنهار المشهورة بشبه الجزيرة ، وينبع من جبال البيرة ويصب فى المحيط الأطلسى ، وطوله ثلاثمائة وعشرة أميال ، أنظر Lévi-Provençal, La Description, p. 101 ; Strabo, Op. Cit., pp 13,23-24.

(٤) أو النهر الكبير ، أنظر . الادريسى ، نزهة ، طبعة ١٩٧٥ ، ص ٥٦١ .

(٥) أنظر . البكرى ، نفسه ، ص ٥٨ .

وعمموا اسـمه على كل شبه الجزيرة . وان قصره الرومان على جنوبيهـا فقط(١) . كذلك فقد أسماها اليونان باسم اشبانية Ispania (Spania) ، وهـو الاسم الذى استخدمه الرومان من بعدهم اما على اسم رجل ملكها فى القديم كان يدعى اشـبان (شبان) Sphan او Span ، واما نسـبة الى شعب بهذا الاسم(٢) ، أو اشتقاقا من اللفظ الفينيقى سبان Span ، الذى يعنى ساحل أو بلاد الأرانب البرية ، وكانت شبه الجزيرة غنية بها ، حتى أن احـدى عمـلاتها من عصر الامبراطـور الرومانى أدريان Adriano (١١٧ _ ١٣٨ م) تمثـل شـبه الجزيرة فى شكل أم جالسة وبين قدميهـا أرنب(٣) .

كذلك فقد عرفت ايبيريا باشبارية (هسبيريا) Hesperia (Esperia) من اشبرس Hesperus (Espero) ، وهـو الكـوكب المعـروف بالكـوكب الأحمـر (٤) ، أو ما يعنى أرض الغرب أو المغـرب(٥) ، اذ كانت شـبه

---

(١) أنظر . مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ١٣٩ .

(٢) قارن بتفصيل : البكرى ، نفسه ، ص ٥٨ ، الحميرى ، نفسـه ، ص ١ _ ٢ ، المقرى عن ابن النظـام ، نفح ، ١ ص ١٣٣ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٢٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٦ . وعن مناقشة مدلول اسم اشبان واشبانيا وتطورهما ، أنظر . محمـد دياب ، تاريخ العرب فى أسـبانيا ، ١ ص ٧ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ١٣٩ _ ١٤٠ ، ويخلص فيه الى تحريف بعض المؤرخين القدامى لهـذا الاسـم فجعلوه أصبهان . وأنظر أيضـا ، الطـاهر مكى ، نفسـه ، صـفحات ٢٦ _ ٢٧ . هذا وقد استخدم الرومان اللفظ اليـونانى Ispania بعـد ما ازادوا عليه حرف H فاصبحت شبه الجزيرة تعرف عنـدهم باسـم Hispania ، أو باسمها القديم Iberia ، أنظر . Strabo Op. Cit., p. 119 كذلك فقد اسـتخدم الرومـان اللفظ اليـونانى الآخر وهـو Spania كمـا هو ، وهو اللفظ الذى تطـور فى اللغه الاسبانية الحديثة الى Espana

(٣) أنظر . محمد دياب ، نفسه ، ١ ص ٧ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ١٣٩ _ ١٤٠ ، الطاهر مكى ، نفسه ، ص ٢٥ .

(٤) Chron. Albeldense, Op. Cit., pp. 433-434 ; Huici,Op Cit, 1p 116 ; Atlas, Op. Cit., p. 1176. البكرى ، نفسـه ، ص ٥٨ .

(٥) أنظر . محمد دياب ، نفسه ، ١ ص ٧ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ١٤٠ ، الطاهر مكى ، نفسه ، ص ٢٦ .

الجزيرة تقـع فى اقصى غرب العـالم المعـروف أنذاك ، وتشرف على بحر اوقيانس _ المحيط الأطلسى _ الذى كان من المعتقد انه لا عمـارة وراءه(١) .

على انه بعد ما فتح المسلمون شبه الجزيرة أواخر القرن الأول الهجرى (أوائل ٨ م) ، اصبحت تعرف عندهم باسم الأندلس ، الذى عربوه من لفظ الأندليس(٢) ، الذى عرف لهم من قبل وهم بالمغرب عن طريق البربر (٣) ، ويعنى قبـائل الوندال Vandalos الجرمانيـة التى وفدت أوائل القرن الخامس الميـلادى الى شبه الجزيرة الايبيرية ، واستقرت فى سهلها الجنوبى باطقة Baetica ، ما يقرب من عشرين عاما (٤١١ _ ٤٢٩ م) ، ثم عبرت الى شمال افريقيا حيث قضى عليهم هناك (٤) .

---

(١) انظر . ابن الشباط ، وصـف الأندلس ، ص ١٠٣ ، الحميرى ، صفة ، ص ١ ، ٢ المراكشى ، المعجب ، ص ٧ ، الادريسى ، نزهـة ، ص ٥٢٥ .

(٢) انظر . البكرى ، نفسه ، ص ٥٩ ، الحمـيرى ، صـفة ، ص ٢ ، القلقشـندى ، صـبح ، ٥ ص ٢١١ _ ٢١٢ . Lévi-Provençal, Histoire, 1pp 71-73 ; Ency. of Islam (art Al-Andalus) 1p 486.

(٣) عن وقت وكيفيـة تعريب لفـظ الاندلس بتفصـيل ، أنظر . الطاهر مكى ، نفسـه ، صفحات ٢٨ _ ٣٠ ، ويخلص الى أن أول استخدام رسـمى له يعـود الى عام ٩٨ هـ ، أى بعـد ستة أعوام من الفتح الاسلامى لشبه الجزيرة ، وان كان قد عرف لبربر شـمال أفريقيا قبل ذلك بنحو ثلاثة قرون ، وأن اللفظ دخل اللغة العربية عن طريق اللغة البربرية وليس عن طريق اللاتينية أو الجرمانية .

هذا وقد ضربت بعض المصـادر التاريخية والجغرافية الاسلامية فى بيداء الاسـطورة ، حينمـا فسرت أصل لفظ الأندلس ، ونسبته الى بنى طوبال أو الى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح ، واعتبرته أول من احتـل شبه الجزيرة بعـد الطوفان فى أيام نوح عليـه السـلام ، أنظر ، بتفصيل ، الحميرى ، نفسه ، ص ١ ، ٤ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٠٠ ، ١٠٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢٨ ، المقرى ، نفسـه ، ١ ص ١٢٤ ، ١٣٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١ _ ٢ .

(٤) اكتسحت قبائل الوندال الجرمانيـة بقيـادة Gundric مـع قبائل جرمانية اخرى مثل السويف والألان شبه جزيرة ايبيريا فى حوالى عام ٤٠٩ م ، واحدثوا فيها تخريبا وتدميرا كبيرا ، لم تشـهده البلاد من قبـل ، ثم اقتسموها فيما بينهم فى عام ٤١١ م ، واستقرت قبيلة Silingians =

ولأن سهل باطقة Baetica قد نسب للوندال وصار يعرف بالأندلس Vandalizia و Andalizia و Andaluci (١) ، وكان أول ما فتحه المسلمون من اقاليم شبه الجزيرة ، وتقع فيه مدينة قرطبة Cordoba التى اتخذوها عاصمة لهم هناك ، فقد أطلقوا اسمه على سائر شبه الجزيرة ، التى صار معظمها فى أيديهم ·

وبسبب أن لفظ الأندلس كان يعنى اسبانيا الاسلامية فكان طبيعيا أن ينكمش مدلوله الجغرافى تبعا للتقلص التدريجى للحكم الاسلامى فى شبه الجزيرة ، نتيجة ضغط المقاومة الاسبانية ، حتى صار الاسم قاصرا على آخر تمثيل اسلامى فى مملكة غرناطة بجنوب شرق شبه الجزيرة ، التى بعد ما قضى عليها أواخر القرن التاسع الهجرى (١٥ م) ، عاد اسم الأندلس مرة أخرى ـ حتى الوقت الحاضر ـ ليدل فقط على مديريات سهل ايبيريا الجنوبى الواقع جنوب نهر الوادى الكبير(٢) ·

= وهى أكبر قبائل الوندال فى سهل باطقة وامتدت سيطرتها الى الشمال والغرب والشرق من شبه الجزيرة الى أن اضطرتها قبائل القوط بعد صدامات عنيفة الى اخلاء كل شبه الجزيرة والعبور الى شمال افريقيا فى حوالى عام ٤٢٩ م حيث أقاموا لهم مملكة هناك ، وهى المملكة التى قضى عليها الامبراطور البيزنطى جستنيان فيما بين عامى ٥٤٦ ـ ٥٤٨ م · وعن أصل الوندال وكيفية احتلالهم ايبيريا ، وعلاقتهم بكل من القوط والبيزنطيين انظر · Historia de Los Vandalos de Isidore, ed. Florez, Esp. Sagr., 6 pp 498-500 ; Donini, Isidore of seville's History, pp 35-36 Romero, La Historia de los vandalos, pp. 292-293. وأنظر أيضا · اسحق عبيد ، من الاريك الى جستنيان ، ص ٥٤ وما بعدها ، ص ٨٢ وما بعدها ، ص ١٣٦ وما بعدها ·

(١) أنظر · Morales, La Cronica General, 1 Fol. XXXII.

(٢) قارن : على محمد حمودة ، تاريخ الأندلس ، ص ٣٤ ، عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول ، ص ٥٠ حاشية ٢ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٩ ـ ٢٠ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٣٧ ، الطاهر مكى ، نفسه ، ص ٢٦ ، ٢٧ ـ ٣٠ ، مؤنس ، رحلة الأندلس ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، السيد سالم ، دائرة معارف الشعب ٦١ ص ٣ ·

وتعتبر شبه الجزيرة الايبيرية كتلة هائلة ناتئة الى الجنوب الغربى من قارة اوربا(١) ، ولا يفصلها عن غالة Gaule ـ بلاد الفرنجة ـ سوى جبال البرت أو البرتات (٢) Pyrenaei ،وهى جبال عظيمة تمتد من أرض

---

(١) تصور معظم الجغرافيين اليونان والرومان شبه الجزيرة على انها فى غرب اوربا وليس فى الجنوب الغربى فبدت حدودها عندهم فى اتجاه غير صحيح ، اذ جعلوا حدها الشمالى الشرقى حدا شرقيا ، والساحلين الشرقى والجنوبى ساحلا واحدا هو الجنوبى ، وظل عندهم ساحلاها الغربى والشمالى فى وضعهما السليم ، وعلى سبيل المثال ، انظر Strabo, Op. Cit, pp. 3-7 ، وبتفصيل ، انظر · مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ١٤ وما بعدها · وقد ساير الجغرافيون المسلمون هذا التصور الخاطئ ، قارن : المراكشى ، المعجب ، ص ٥ ـ ٦ ، ابن الشباط ، نفسه، ص ١٠٢ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، البكرى ، نفسه ، ص ٦٥ ـ ٦٨ ·

(٢) انظر · المقرى ، نفسه ، ١ ص١٢٦ ، ١٢٨ ، المراكشى ، نفسه، ص ٦ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٠٣ ، البكرى ، نفسه ، ص ٨٥ Lévi-Provençal, La Description, p100 وقد يطلق على هذه الجبال جبل ،ولفظ البرتات مشتق من اللفظ اللاتينى Portus ، بمعنى ممر أو مدخل أو باب ، نسبة الى ممرات هذا الجبل ، واستخدم الجغرافيون المسلمون اللفظ كما سمعوه فقالوا برت وبرتات ، وعربوها أحيانا الى أبواب ، ويقع فى الجبل بالقرب من شاطئ البحر المتوسط معبد يسمى هيكل الزهرة وهو Port Vendres الحالى ، ولذلك سمى بعض المؤرخين الجبل باسم المعبد فقالوا جبل هيكل الزهرة ، فى حين قال البعض الجبل الذى فيه هيكل الزهرة ، قارن ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، المراكشى ،نفسه ، ص ٦ ، البكرى ، نفسه ، ص ٦٧،القلقشندى ، نفسه ،٥ص ٢١٣ ، الادريسى ، نزهة ، طبعة ١٥٩٢ ، ص ٢٥٣ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية، ص٢٦٦ · هذا وقد انفرد الادريسى(ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤طبعة١٥٩٢)بذكر أبواب هذا الجبل ، وجعلها أربعة هى من الشرق ناحية البحر المتوسط الى الغرب ناحية المحيط الأطلسى عند خليج بسكاية : برت جاقة نسبة الى مدينة بنفس الاسم ناحية برشلونة ، وبرت أشبرة ، وبرت شازرو مما يلى مدينة بنبلونة وطوله فى عرض الجبل ثلاثون ميلا ، وبرت بيونة · وانظر أيضا ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، صفحات ٩٦ ـ ٩٨ اذ يضيف بابا خامسا · وعن الجبل بتفصيل ، انظر · ارسلان ، الحلل ، ٢ ص ١٠٨ وما بعدها ·

برشلونة فى الشرق حتى مدينة بيونة فى الغرب(١) ، ولذلك تربط الب
المتوسط بالمحيط الأطلسى(٢) ، وتشكل الحد الشمالى الشرقى لشـ
الجزيرة ، الذى هو أقصر حدودها طولا(٣) ، وفيما عدا تلك الناحية
المياه تحيط بشبه الجزيرة من كل جانب ، مما حدا بالجغرافيين المسلمـ
الى اعتبارها جزيرة(٤) . اذ يمتد البحر المتوسط على طول ساحلـ
الشرقى والجنوبى(٥) ، بادئا من الأقدام الشرقية لجبال البرتات ، وينتهـ
عند مضيق جبل طارق (الزقاق) الذى يفصل شبه الجزيرة عن شمال
افريقيا بمالا يزيد عن اثنى عشر ميلا(٦) ، وعنده يلتقى البحر المتوسـ
بالمحيط الأطلسى ، الذى يكمل تطويق شبه الجزيرة من ناحيتى الغر

---

(١) انظر . الادريسى ، نفسه ، ص ٢٥٣ (طبعة ١٥٩٢) ، ابن سعيد ، الجغرافية ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ ، ١ ص ١٨٠ .

(٢) ابن الشباط عن أبى القاسم ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المقرى عن ابن سعيد والرازى وابن النظام ، نفسه ، ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، المراكشى ، نفسه ، ص ٦ ، القلقشندى ، نفسه ، ٥ ص ٢١٣ . هذا وكان البحر المتوسط يعرف بالبحر الرومى او الشامى أو بحر تيران أو مانطس . أما المحيط الأطلسى فعرف بالأتيانس والبحر الأخضر أو البحر المحيط أو المظلم او بحر الظلمة والظلمات ، قارن : الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، المراكشى ، نفسه ، ص ٥ ، ٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١ ، الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٤١ ، البكرى ، نفسه ، ص ٦٨ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٣ .

(٣) أنظر . ابن الشباط عن أبى القاسم ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المراكشى ، نفسه ، ص ٦ . Strabo, Op. Cit., p5

(٤) قارن : الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، المقرى عن ابن النظام وابن سعيد ، نفسه ، ١ ص ١٢٦ ، ١٣٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١ ، الادريسى ، نفسه ، ص ٥٢٥ ، القلقشندى ، نفسه ، ٥ ص ٢١٢ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ٣ ص ٣٢٤ .

(٥) قارن : ابن الشباط عن أبى القاسم ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المقرى عن الرازى ، نفسه ، ١ ص ١٢٨ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ١ ، المراكشى ، نفسه ، ص ٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، الادريسى ، ص ٥٣٥ ، البكرى ، نفسه ، ص ٦٨ . Atlas, Op. Cit., p. 1176.

(٦) أنظر . ابن الشباط عن أبى القاسم ، نفسه ، ص ١٠٢ ، المراكشى ، نفسه ، ص ٦ ،

والشمال (١) ، وتتكسر امواجه هو الآخر عند الجانب الغربى لجبال البرتات ، حيث يعرف فى هذه الناحية الشمالية بالبحر الكانتبرى El Mar Cantàbrico ، او بخليج بسكاى - بسكاية - Golfo de Vizcaya وهو ما يسميه بعض الجغرافيين المسلمين ببحر الانقليشين(٢) . وبذلك تنعزل شبه الجزيرة الايبيرية عن جيرانها ، بسبب احاطة المياه وجبال البرتات بها ، حتى شبهها احد المحدثين الأوربيين بسفينة ضخمة تطفو على سطح الماء(٣) .

ومع ان شبه الجزيرة الايبيرية تتكون فى معظمها من هضبة كبيرة تعرف بالمزيتا La Meseta ، يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ ـ ٩٠٠ مترا فوق مستوى سطح البحر ، مما يجعل شبه الجزيرة تبدو كانها وحدة جغرافية واحدة ، الا ان كثرة الجبال التى تمتد معظمها فى اتجاه افقى من الشرق الى الغرب هابطة جبلا بعد الآخر(٤) ، فضلا عن تعدد الأودية العميقة فيما بينها ، قد فتت هذه الوحدة ، واعاق الاتصال بين الأجزاء المختلفة لشبه الجزيرة ، فنشأت وحدات محلية تنفصل كل منها عن الأخرى بحواجز طبيعية ، مثلما ينعزل الجنوب عن الوسط بجبال مورينو La Sierra Morena (٥) . وينشطر الوسط ذاته بجبال الشارة او الشارات(٦) ، التى تاخذ من ظهر مدينة سالم حتى قرب مدينة قلمرية

---

(١) انظر . المراكشى ، نفسه ، ص ٦ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، ابن الشباط عن أبى القاسم ، نفسه ، ص ١٠٢ ، البكرى ، نفسه ، ص ٦٨ ، الادريسى ، نفسه ، ص ٥٣٥ ، وربما يكون لفظ الانقليشين تحريفا للفظ الانجليز لقرب بحر كنتبرية من جزيرة بريطانية موطن الانجليز .

(٢) أنظر . الحميرى ، نفسه ، ص ٢ ، الادريسى ، نفسه ، ص ٥٣٥ .

(٣) أنظر . دوروثى ، اسبانيا شعبها وأرضها ، ترجمة طارق فودة ص ٢١ .

(٤) أنظر . المقرى عن ابن النظام ، نفسه ، ١ ص ١٢٩ .

(٥) أنظر . Peers, Op. Cit., p 29.

(٦) أنظر . الادريسى ، نفسه ، ٥٣٦ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢١٣ . وكانت هذه الجبال تعرف أيضا باسم كاربتانيا Carpetania (Carpeto-Vetonica) ربما نسبة الى قبائل Vettonia وقبائل Carpetania التى سكنت حولها ، أنظر Strabo, Op. Cit., p 13 ,

=

فى أقصى الغرب على ساحل المحيط الأطلسى (١) ، وهى الجبال التى يقع خلفها نحو الشمال نهر دويرة(٢) Duero الذى ينبع من نواحى مدينة نومانتيا Numantia (٣) فى الشمال الشرقى من شبه الجزيرة ويجرى غربا ليصب فى المحيط الأطلسى فيما بين مدينتى قلمرية Coimbra والبرتقال Portucale (٤) .

ويشكل نهر دويرة Duero الحد الجنوبى لمنطقة الشمال والشمال الغربى لشبه الجزيرة وهى المنطقة التى كانت تعرف باسم لوزيتانيا Lusitania التى اشتهر معظم سكانها بالجليقيين أو الجلالقة وكانوا يشكلون معظم شعب ايبيريا(٥) . أما حداها الغربى والشمالى فهو المحيط الأطلسى المعروف فى الناحية الشمالية بالبحر الكانتبرى El Mar Cantàbrico ، الذى يوصف ساحله بأنه ذراع يخرج من البحر المظلم – المحيط الأطلسى – ويمر من الغرب الى الشرق وينعطف قليلا الى جهة الجنوب حتى يصل مدينة بيونة (٦) Bayonne . فتمتد هذه المنطقة من المحيط الأطلسى فى الغرب حتى بلاد البشكنس (٧) Vascones فى الشرق ، مما يجعلها قلعة طبيعية محصنة محاطة بالمياه من جوانبها الثلاث فيما عدا ناحيتها الشرقية . وفضلا عن ذلك فانها تمثل وحدة جغرافية واثنولوجية واحدة ، اذ سكنتها منذ أقدم العصور عناصر معينة

= وقد عرفها المسلمون بجبال وادى الرملة ربما لكثرة رمالها ، وحرفها الاسبان الى وادى رامه Guadarrama . أنظر . أرسلان ، الحلل ، ١ص٢٩ Altamira, A History of Spanish Civilization,pp. 4-5 ; Chapman, Op. Cit., p3.

(١) أنظر . الادريسى ، نفسه ، ص ٥٥٢ . وعن مدينتى سالم وقلمرية ، أنظر . Lévi-Provençal, La Description, pp. 79-80,89.

(٢) عنه ، أنظر . الادريسى ، نفسه ، ص ٢٥١ (طبعة ١٥٩٢) ، أرسلان ، الحلل ، ١ ص ٣١٨ حاشيه Morales, Op. Cit., 4 pp 105-106.

(٣) أنظر . Strabo, Op. Cit., p. 69.

(٤) أنظر . Lévi- Provençal, La Description, p. 103.

(٥) Strabo, Op. Cit., p. 65,67.

(٦) أنظر . الادريسى ، نفسه ، ص ٢٥٢ (طبعة ١٥٩٢) .

(٧) عنها ، أنظر . ارسلان ، الحلل ، ١ ص ٣٢١ وما بعدها .

من السكان فارتبطت بروابط طبيعية وسياسية وثيقة ، وكان لها طابعها الخاص الذى تميزت به عن غيرها من مناطق شبه الجزيرة الايبيرية .

ومع أن بعض الجغرافيين العرب يصفون تلك المنطقة بأنها سهلية جميعها تكثر فيها الرمال(١) ، فان الجزء الشرقى منها جبلى وعر(٢) ، كما تخترق تلك المنطقة من وسطها سلسلة جبلية تعرف بجبال كنتبرية (٣) La Cordillera Cantàbrica مبتدئة من حصن الفاور Faro بالزاوية الشمالية الغربية لشبه الجزيرة ، وتتمادى متصلة غير منفصلة حتى تصل مدينة بيونه ، وتتصل بجبل الزهرة – البرتات – وتمتد بموازاة مجرى البحر الكانتبرى ، فمرة تبعد عنه حتى يكون بينهما يوم ، ومرة تقرب منه حتى يكون بينهما خمسة عشر ميلا(٤) وتشطر بذلك المنطقة شطرين ، أحدهما جنوبى أقل وعورة وأكثر اتساعا واعتدالا فى المناخ من نظيره الشمالى الساحلى ، الذى تزيده سلسلة جبال قمم أوربا Los Picos de Europa (٥) ضيقا وتعقيدا من ناحية الشرق ، بطول يقترب من أربعين كيلو مترا فى عشرين مثلها عرضا ، وتتميز بقممها العالية التى تصل فى معظمها الى ثلاثة آلاف متر فوق مستوى سطح البحر ، وأهمها القمم المعروفة بالصخور المقدسة Las Penas Santas ، التى نالت شهرة تاريخية وقومية فائقة فى اسبانيا المسيحية ، لاحتوائها على مغارة عرفت فى اللاتينية بالمغارة المقدسة Cova Dominica – وفى اللغة الاسبانية كوبادونجا

---

(١) أنظر . البكرى ، نفسه ، ص ٨٠ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٠ . Strabo, Op. Cit., p. 67.

(٢) البكرى ، نفسه ، ص ٨٥ ، على محمد حمودة ، نفسه ، ص ٢٤ ، محمد أحمد حسونة ، الجغرافية التاريخية ، ص ٧٧ – ٧٨ ؛ Lévi-Provençal, La Description, p. 100 ; Bouchier, Spain, pl ; Chapman, Op Cit., p. 2.

(٣) قارن :

(٤) أنظر . الادريسى ، نفسه ، ص ٢٥٣ (طبعة ١٥٩٢) .

(٥) عن وصفها بتفصيل ، أنظر . Sànchez Albornoz, « A Través de Los Picos De Europa », Revista de Occidente 1931, 9p 254 Sqq. ; Burguete, Rectificaciones Historicos de Guadalete a Covadonga, Madrid 1915, p. 148 Sqq. ; Somoza, Gijon en la Historia general de Asturias, Gegione 1908, 2p 439 Sqq.

Covadonga (١) وهى المغارة التى التجا اليها مسيحيو أشتوريس ـ وعلى رأسهم الزعيم القوطى بلاجيوس Pelagius ـ المعارضون للحكم الاسلامى ، ومنها بداوا مقاومة المسلمين مع نهاية العقد الثانى وبداية الثالث من القرن الثامن الميلادى ، بحيث اشتهرت تلك الصخور المقدسة فى كتب المؤرخين المسلمين باسم الصخرة أو صخرة بلاى Pena de Pelayo .

كذلك فتتعدد الأنهار فى هذه المنطقة ، فيصب بعضها فى البحر الكانتبرى شمالا (٢) ، وبعضها ـ وهو يبلغ نحوا من عشرة أنهار ـ يصب فى نهر دويرة Duero بالجنوب (٣) ، اما أودية الجانب الغربى ، التى تجرى من الشرق الى الغرب فتصب فى المحيط الأطلسى (٤) ، وجميعها صالح للملاحة فى معظم أجزائه (٥) .

على اننا لا نعلم شيئا عن السكان الأول لهذه المنطقة الشمالية والشمالية الغربية من شبه الجزيرة ، ولا زال الخلاف بشأنهم قائما بين علماء الأجناس Anthropologists ، وان كانوا يتفقون فيما بينهم على ان اقدمهم عناصر تعرف فى اللاتينية باسم الايبيريين Iberi ، التى جاءتها من

---

(١) عن تطور اسمها من اللاتينية الى الاسبانية ، أنظر ، Cabal, Covadonga, Madrid 1918, pp 15-25.

(٢) أنظر . Florez, Esp. Sagr., 16 p 4 ; Bouchier, Op. Cit., p1

(٣) أنظر . Lévi-Provençal, La Description, p. 103

(٤) أنظر . المقرى عن ابن النظام ، نفسه ، ١ ص ١٣٠ .

(٥) أنظر . Strabo, Op. Cit., p 67 واهم هذه الأنهار : نهر ليث Lethe (Limacas) ، يليه نهر Baenis أو Minius ، أنظر . Strabo, Op. Cit., p 69 ، وهو نهر كبير واسع يزيد طوله عن ثلاثمائة ميل وثلاثة (Lévi-Provençal, La Description, p. 104) ويقع شمال دويرة بستين ميلا ، ثم نهر طرون الذى يسمى كذلك لمدينة بنفس الاسم تقع عليه ، ويبعد عن المينو بستين ميلا أيضا ، يليه نهر الأذر Lerez على بعد ستة أميال ، ثم نهر فرار Ferreira (الآن Umia) على بعد ستة أميال أخرى ، وهو نهر كبير ، يليه سنت ياقوب أو أناشت نسبة الى قلعة عليه بنفس الاسم (الآن Torres del Oeste) وهو نهر كبير كثير الماء ، أنظر . الادريسى ، نزهة ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ (طبعة ١٩٥٢) ، وانظر أيضا . مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

الشمال الافريقى منذ عصور سحيقة (١) . ثم وفدت عليها من غالة عناصر الكلت Celts الأوربية ، فيما بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد (٢) ، ونازعت الايبيريين على سيادة المنطقة والسيطرة عليها ، حتى اجبروهم ـ أو ان اتفاقا تم بين الفريقين ـ على اخلاء الايبيريين لها (٣) ، فصارت كلتية خالصة ، انتشرت فيها قبائلهم ، دون ان تعرف الوحدة فيما بينها (٤) ، مما سهل على كل منها ان تتخذ فيما بعد اسما محليا يدل عليها وعلى ما حلت به من أجزاء هذه المنطقة ، فعرف الجزء الشرقى منها بكنتبرية Cantabria ، والغربى بجليقية Galicia (Gallaecia) ، اما الجزء الأوسط فقد عرف باشتوريس Asturias وسكانه بالأشتوريين Astures ، نسبة الى وادى أشتورا Astura (٥) الذى كان يسميه الجغرافيون المسلمون بوادى أشترو (٦) ، ثم تطور اسمه بمضى الوقت حتى صار اسلا Esla (Ezla) الحالى (٧) الذى ينبع من جبال كنتبرية La Cordillera cantabrica ، ويجرى جنوبا حتى يلتقى بنهر دويرة Duero فيما بين مدينتى سمورة Zamora شرقا وميراندا Miranda غربا (٨) .

وبذلك انقسمت منطقة الشمال والشمال الغربى الايبيرى لأول مرة فى تاريخها الى ثلاثة اقسام ، وان كنا سنلاحظ أن المسلمين فيما بعد اطلقوا على

---

(١) قارن O'callaghan, Medieval Spain, p. 27 ; Merriman, Op. Cit., p. 6 ; Smith, Spain, p3; Altamira, A History of Spain, p23; Chapman, Op. Cit., pp 7-8 ; Madariaga, Spain, p 19 ; Diccionario, Op Cit, pp5-6,

(٢) أنظر . Entwistle, the Spaish Language, p. 37, Hume, Op. Cit., p 5 ; Madariaga Op Cit., p 19 ; Bouchier, Op Cit., p 7 ;Chapman, Op Cit., p 8 ; O'callaghan, Op Cit, p.27.

(٣) أنظر . Danham, Op. Cit., 1 p 2.

(٤) أنظر . Strabo, Op. Cit., p. 87.

(٥) أنظر . Atlas, Op. Cit., p 1183.

(٦) أنظر . البكرى ، نفسه ، ص ٧٢ .

(٧) وان تطور اسمه من Astura الى Extula الى Estola واخيرا Ezla (Esla) ، أنظر . Florez, Esp, Sagr., 16 pp 2-3 ; Risco, ESp. Sagr, 37 p9.

(٨) Florez, Op. Cit., 16 p 4.

هذه المناطق الثلاثة اسم جليقية وعلى سكانها الجلالقة . ومع أن الحدود فيما بينها لم تكن ثابتة ، اذ كان تقسيما قبليا يتراوح بين مد وجزر تبعا لقوة وضعف القبائل ، فقد شكلت المعالم الجغرافية البارزة ـ كالأنهار والجبال ـ الحدود فيما بينها على الدوام ، وانعزلت أشتوريس Asturias عن جليقية في الغرب بجبال بونفرادا Ponferrada وسنابريا Sanabria ، وعن كنتبرية في الشرق بمجرى نهرى اشتورا (اسلا) Ezla وديبا Deva (١) .

ومن ناحية أخرى ، فقد توغلت أراضى اقليم أشتوريس مسافة طويلة ناحية الجنوب في داخل شبه الجزيرة حتى لامست نهر دويرة Duero (٢) ، فيما بين مدينتي سمورة Zamora شرقا وميراندا Miranda غربا ، وهو حد انصر من حدها الشمالى الذى تطل به على بحر كنتبرية ، مما جعل أشتوريس تتخذ في العصور الوسطى شكل مثلث رأسه في الجنوب بين هاتين المدينتين ، وقاعدته ساحل بحر كنتبرية في الشمال(٣) .

على انه لم يقدر لأشتوريس أن تحتفظ بهذا الامتداد الداخلى في شبه الجزيرة طوال تاريخها ، وانما اقتطع منها جزؤها الجنوبى الواقع بين جبال كنتبرية La Cordillera Cantàbrica شمالا ونهر دويرة جنوبا ، وذلك خلال السنوات الأولى من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ، لتقوم فيه وقتذاك مملكة ليون Léon ، التى صارت نواة محافظة بنفس الاسم في التقسيم الادارى الحديث لاسبانيا(٤) . ومنذ ذلك الحين اقتصرت مساحة أشتوريس على ما يقع شمال جبال كنتبرية حتى ساحل بحر كنتبرية ، وهى تقريبا نفس المساحة التى تشغلها في وقتنا الحاضر محافظة أشتوريس ، أو ما يعرف أيضا باسم أشتوريس

---

(١) أنظر . Ibid, p. 5

(٢) هو أعظم أنهار شبه الجزيرة ، وينبع من فوق جبال ناجرة Najera في الشمال ويمتد غربا ويصب في المحيط الاطلنطى قرب مدينة البرتغال (Oporto الحالية) ، أنظر . ابن غالب ، « تعليق منتقى من فرحة الأنفس » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٣٠٨ . Strabo, Op Cit, 2 p 69 ; Lévi-Provençal, La Description, p. 103.

(٣) أنظر . Florez, Op Cit, 16 p 5.

(٤) Risco, Op. Cit, 37 p 39 ; Atlas, Op. Cit, 2p 1179.

دى أوفييدو Asturias de Oviedo ، وذلك اشتقاقا من اسم عاصمتها . ومن ثم كانت أشتوريس خلال السنوات التى يعالجها البحث أوسع مساحة مما هى عليه في العصر الحديث .

وقد أثرت بيئة أشتوريس الجبلية الباردة في أبدان وطباع سكانها(١) ، فيوصفون بقوة البنية ، والقدرة على احتمال المشاق ، وشدة المراس ، وخشونة الطباع . كما يتصفون بالنجدة والاقدام ، حتى انهم كانوا يضحون بأنفسهم لافتداء أو حماية من يلجأ أو يتقرب اليهم ويتعلقون به(٢) . واتسمت حياتهم بالبساطة والتقشف والاقتصاد ، فلم يكونوا يتناولون الا وجبة واحدة في اليوم(٣) ، تتكون من خبز جاف يصنعونه من حبوب بعض النباتات بعد تجفيفها وطحنها(٤) ، واكثر قوتهم الدخن والذرة(٥) ، فضلا عن لحوم الماعز(٦) ، المتوفرة في بلادهم (٧) ، وكانوا يفضلون في طعامهم الزبد على الزيت . أما شرابهم فهو البيرة(٨) وانواع أخرى من المشروبات التى كانوا يستخلصونها من الثمار ، كشراب التفاح والبشكة(٩) ، في حين كان النبيذ للمناسبات

---

(١) أنظر . Strabo, Op Cit, p 77. هذا وقد اعتمدنا أساسا في معلوماتنا عن طباع ونمط حياة الأشتوريين على ما أورده استرابون ، وان يلاحظ انه أحيانا لم يقرنها بهم مباشرة ، وانما لجيرانهم الجلالقة أو الكانتبريين ، أو عممها على العناصر الكلتية بصفة عامة ، من أشتوريين وجلالقة وكانتبريين . على أنه لم يكتف بالقول أن عادات وأنماط حياة الكلت واحدة متشابهة (أنظر . 2p 111) ، وانما أكد أيضا وبصراحة أن نمط حياة الأشتوريين وجيرانهم الجليقيين والكانتبريين والبشكنس واحدة لا اختلاف فيما بينها (أنظر . Ibid, p 77) .

(٢) أنظر . Strabo, Op. Cit., p 115

(٣) أنظر . Ibid, p 73

(٤) Ibid, p 75 ; Bouchier, Op. Cit., p 71 ; Danham, Op Cit. 1p5.

(٥) ابو الفدا ، تقويم ، ص ١٧٠ ، البكرى ، نفسه ، ص ٨٠ .

(٦) أنظر . Strabo, Op Cit, p 73

(٧) أنظر . Ibid, p 71

(٨) أنظر . Ibid, p 75

(٩) أنظر . البكرى ، نفسه ، ص ٨١ ، ويشير أن البشكة هو شراب يتخذ من الدقيق .

الدينية وبصحبة الأقرباء (١) . ومع وفرة ما يحويه باطن ارضهم من معادن(٢) كالذهب (٣) والفضة وغيرهما(٤) ، من نحاس وبرونز ورصاص وقصدير(٥) فانهم كانوا يجهلونها(٦) ، أو انهم لم يعرفوا منها الا البرونز ، اذ كانوا يصنعون منه رؤوس سيوفهم ورماحهم(٧) ، وكذلك الفضة التى كان سكان المنطقة الداخلية أحيانا يستخدمون قطعا منها فى شكلها الخام عوضا عن العملة ، التى لم يكونوا يعرفونها ، وظل تعاملهم فيما بينهم بالمقايضة فى أغلب الأحيان (٨) .

وبسبب غزارة الأمطار فقد جادت عليهم البيئة بغابات ومراع غنية انتشرت فيها تربية الماشية(٩) ، الا أنه بالرغم من تعدد الأنهار التى تخترق اشتوريس ، مثل انهار : اسلا Esla ، وسلا Sella ، وكارس Cares ، وديفا Deva ، ونالون Nàlon (١٠) وغيرها ، مما يتيح امكانية القيام بالزراعة ، فقد أعرض الأشتوريون عنها ، اذ اعتبروها حرفة لا تليق بهم ، وتركوا نساءهم يقمن بأعبائها وحدهن(١١) الى جانب اعمالهن المنزلية(١٢) ، فاقحلت الأرض وقل انتاجها ، ولم تعد البلاد - بتعبير استرابون - الا وكرا للصوصية وقطاع الطرق(١٣) . وانشغلت

---

(١) أنظر . Strabo, p 75

(٢) Castro, the structure of Spanish History, p 77.

(٣) Strabo, Op Cit, p 71 ; Florus, Epitome of Rome, p 349 ; Florez, Op. Cit, 16 p 7.

(٤) أنظر . Strabo, Op Cit, p 71

(٥) Bouchier, Op. Cit., pp88-90 ، ويشير ان النحاس يوجد فى جبل Aramo بالقرب من مدينة Oviedo ، والرصاص بالقرب من ميناء Linares على الساحل الكانتبرى .

(٦) أنظر . Florez, Op Cit., 16 p7

(٧) أنظر . Strabo, Op. Cit, p 73

(٨) Bouchier, Op. Cit, p 75 ; Ibid, p 75

(٩) Strabo, Op Cit, p. 71 ; Castro, Op. Cit, p 77

(١٠) عن هذه الأنهار ، أنظر . Somoza, Op Cit, pp 439-440

(١١) أنظر . Strabo, Op Cit, p 65 ، وأنظر أيضا صفحة ١١٣ التى يسوق فيها امثلة من الأعمال التى شاركت فيها النساء ، وكيفية تفانيهن فى هذا العمل حتى فى أوقات مرضهن .

(١٢) أنظر . Danham, Op Cit., 1 p 7

(١٣) Strabo, Op. Cit, pp 71,79 ; Danham, Op Cit, 1 p 4.

القبائل فيما بينها بالحروب المستمرة التى كانت النساء تشاركن فيها(١) ، وبالغارات المتكررة على ما يجاورها من اراض سهلية لسلب ونهب منتجاتها .

وفى هذه الحروب والاغارات - التى لم تتوقف الا بعد غزو الرومان للمنطقة(٢) فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد - كان المحاربون الأشتوريون يذهبون اليها ازواجا على جيادهم - التى كانت تجود فى بلادهم(٣) - على ان يترجل احدهم عند بدء القتال(٤) ، الذى كانوا يتسلحون له باسلحة بسيطة ، ولكنها مرعبة مخيفة(٥) ، فهى رماح لا تعدو ثلاثة اقدام للراجل وستة للفارس ، وسيوف قصيرة ذات حدين ، فضلا عن المقاليع والبلط والمطارق التى ينفرد بها الفارس دون الراجل(٦) ، ويحتمون بدروع خفيفة يلبسونها فوق سترات قصيرة من الكتان المتوفرة فى بلادهم(٧) . وقد عاونتهم طبيعة البلاد الجغرافية وكثرة غاباتها على اجادة فن حرب العصابات والفروسية(٨) ، التى لم يكتفوا بتدريب أنفسهم عليها بممارسة أنواع معينة من الرياضة كالملاكمة وركوب الخيل والمناورات الحربية ، وعقد المسابقات والمباريات المتعددة لها (٩) ، وانما أيضا بتدريب جيادهم على تسلق الجبال ، وترويضها على الركض فى حركات سريعة اذا ما طلب منها ذلك وقت الحاجة(١٠) .

---

(١) أنظر . Bouchier, Op Cit, p. 65

(٢) Strabo, Op Cit., p 71.

(٣) تنتج أشتوريس سلالات من الجياد تمتاز بعدوها السريع وخفة حركتها ، تسمى Geldings أو حتى تنسب الى المنطقة فتسمى Asturcones ، أنظر . Atlas, Op. Cit, p 1183

(٤) أنظر . Strabo, Op Cit., p 113 ; Danham, Op Cit., 1p 5

(٥) أنظر . Danham, Op Cit, 1 p 5

(٦) Strabo, p107 ; Bouchier, Op Cit, p67 ; Danham, Op Cit, 1p5.

(٧) Strabo, Op. Cit., p 73 ; Bouchier, Op Cit., p 83 ; Danham, Op Cit., 1 p 5.

(٨) أنظر . Bouchier, Op Cit., pp 62,65 ، دوروثى ، نفسه ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٩) Strabo, Op Cit, p 75 ; Bouchier, Op. Cit, p 75.

(١٠) Strabo, Op. Cit, p 105 , Bouchier, Op Cit, p 78.

وقد انتشرت بين الأشتوريين بعض العادات كتناول الطعام على الأرض(١) ، والنوم على الأرض أيضا(٢) ، والاستحمام اما ببخار الماء الساخن او بالماء البارد (٣) ، وتوريث البنات اللاتى كن يقمن بدور الخاطبات لأخواتهن ، وهى عادة – بملاحظة استرابون – ليست الا نوعا من انواع سيطرة النساء ، وظاهرة لا تعبر عن المدنية فى شىء(٤) . كذلك فقد كانوا يقدمون المهر للعروس(٥) ويتبعون طريقة الاغريق فى الزواج(٦) ، ثم انهم كانوا حريصين على تنفيذ عقوبات صارمة على منتهكى تقاليدهم ، كالرجم بالحجارة حتى الموت ، أو القذف بهم من اعلى قمم الجبال ، اما قتلة الآباء منهم فكانوا يذبحونهم خارج حدود المدينة دون ان تدفن جثثهم بها لاعتبارها مدنسة(٧) . وكانت جنازة ذوى الشأن منهم مهيبة ، فتكفن رفاتهم بثياب فاخرة ، وتترك على مرأى من العامة أياما لتلقى عليها نظرة الوداع الأخيرة ، ثم تحرق فى الوقت الذى تعلن فيه على الجموع الحاضرة مآثر صاحبها ووصاياه وذريته ، ثم يصاحب دفنها عرض عسكرى عند المقبرة(٨) .

اما عقيدة الأشتوريين فكانت الوثنية ، التى يعبدون فيها آلهة منها أرس Ares (٩) ، ولم تعرف أسماء آلهة بعض قبائلهم ، كما أن بعضها الآخر لم يكن له اله على الاطلاق(١٠) ، وكانوا يقدمون القرابين للآلهة بالمئات من الأسرى بعد تقطيع أياديهم اليمنى (١١) – كما كانت العادة

(١) Strabo, Op Cit, p 75.

(٢) Ibid, pp 73, 109.

(٣) Ibid, p 73. ، وان كان المؤرخون والجغرافيون المسلمون يشيرون الى أنهم لم يكونوا يستحمون الا مرة واحدة أو مرتين فى العام ، أنظر . البكرى، نفسه ، ص ٨١ .

(٤) Strabo, Op Cit, p 115.

(٥) Ibid, p. 115.

(٦) Ibid, p 77.

(٧) Strabo, Op Cit, pp 75-77 ; Dubois, Op Cit, p 12 ; Danham, Op Cit, 1 p 6.

(٨) Dubois, Op Cit, p 12 ; Danham, Op Cit, 1 p 6.

(٩) Strabo, Op. Cit, p 73.

(١٠) Ibid, p. 109 ; Bouchier, Op Cit, p 78.

(١١) Strabo, Op. Cit, p 73.

لدى الاغريق – أو من السجناء ، وذكور الماعز ، والخيل (١) ، وذلك أثناء الليل وقت اكتمال القمر ، مما يحتمل معه أن القمر كان محل عبادتهم ، وكانوا يقيمون امام منازلهم الحفلات الراقصة الصاخبة ، على دقات الطبول ، والتى كانت تظل قائمة حتى الصباح الباكر(٢) ، وذلك ابتهاجا بتقديم القرابين .

وقد ظل الأشتوريون – والجليقيون والكانتبريون أيضا – على هذه الحالة من البداوة والانعزال عن غيرهم من سكان شبه الجزيرة ، وبعيدا عن الخضوع لأية قوة أجنبية حتى السنوات الأخيرة من القرن الأول قبل الميلاد ، حينما شخص الامبراطور الرومانى أوغسطس Augustus اليهم عام ٢٦ ق . م على راس قواته(٣) ، وبرفقته عدد من خيرة قواده(٤) ، فغزا بنفسه كنتبرية ، واوكل غزو جليقية لواحد من قواده (٥) ، فى نفس الوقت الذى أرسل فيه الى اشتوريس قوة أخرى بقيادة قائده كاريسيوس Carisius (٦) ، الذى اتخذ من مدينة أستورقة Astorga قاعدة لهجومه عليها ، فاكتسح أراضيها عبر منطقة البيرزو El Bierzo حتى ادرك مدينة لك Lugo ، وأنزل بالأشتوريين هزيمة منكرة عند مدينة برجيدوم Bergidum ، الواقعة على هضبة كاسترو دى بنتوسا Castro de Ventosa الحالية ، بحيث كانت هزيمة حاسمة ، اضطر بعدها الأشتوريون الى اخلاء المدينة ، والفرار الى جبل بنيدو Vinido

(١) Ibid, p 75.

(٢) Ibid, p 109.

(٣) Florez, Op Cit, 16 p 6 ; Cayetano, Cronica General, p 11 . ; Quadrado, Op Cit, p 11.

(٤) منهم : Antistius و Furnius ، أنظر : Florus, Op Cit, p. 347 .

(٥) عن فتحهما بتفصيل ، أنظر . Florus, Op Cit, p 345 ; Bleye, Op Cit, 1 pp 230-231. وان يلاحظ أن Florus يخلط فى روايته بين المعارك التى دارت على الأرض الجليقية والأشتورية ، وربما كان ذلك بسبب عدم تمييزه بين الجلالقة والأشتوريين ، واعتبرهما شعبا واحدا ، وبخاصة أنه عندما بدأ حديثه عن هذه الحروب (ص ٣٤٣) لم يشر الى الجلالقة ، وذكر أنه يسكن هذه المنطقة الكانتبريون والأشتوريون فقط .

(٦) Danham, Op Cit, 1p 64 ; Bleye, Op Cit, 1 p 231.

المجاور (Sierras del Caurel y de Picos الحـالى) ، بحيث لاحقتهم القوات الرومانية وحاصرتهم به ، حتى فنيت أزودتهم ولقى جمع غفير منهم حتفه جوعا ، واضطر الباقون الى الاستسلام دون مقـاومة تذكر(١) ، واشرف الامبراطور أوغسطس بنفسـه على استلام رهائنهم وأسراهم ضمانا لولائهم(٢) ٠

وترجع سهولة انتصار الرومان على الأشتوريين وقتذاك الى تفوق الرومان فى العدد والعـدة ، والى عدم امكان تعـاون الجلالقة والكانتبريين مع الأشتوريين(٣) ، اذ باغتهم الرومان جميعا فى وقت واحد ، وشغلوا كلا منهم بالحرب فى ناحيته برا وبحرا ، وحالوا بينهم وبين استخدام حرب العصابات التى كانوا يجيدونها ، واجبروهم على المواجهة المبـاشرة ، أو حصـارهم والتضـييق عليهم ، بحيث تشتتوا جهـودهم ، وأضعفوا مقـاومتهم ، التى اتخذت آنذاك مظهرا سـلبيا تمثل فى تسـارع معظم الأشـتوريين ليس فقط الى القـاء انفسـهم فى النيران ، او الطعن بالسـيوف ، أو تجرع شراب سام(٤) ، كانوا يستخلصونه من بعض الأعشـاب ، ويحملـونه معهم دوما لمثل هذه الحالات(٥) ، وانما تمثل ايضا فى اقدام الأمهات على قتـل ابنائهن (٦) ، بحيث فقد الأشتوريون معظم خيرة محاربيهـم ، ولم يتطلب اخضـاع الرومان لهم أكثر من معركتين ، وفى مـدة وجيـزة لم تتجـاوز صـيف عام ٢٦ ق ٠ م ٠

ومع ذلك فقد تجمـع الأشتوريون ، فى ربيع عام ٢٥ ق ٠ م لمباغتة القـوة الرومانيـة ، المقيمـة بنـواحى أسـتورقة Astorga ، الا ان خطتهم انكشفت فى الوقت المناسب للقائد الرومانى كاريسيوس Carisius فاحبطها فى مهدها ٠ وانتصر عليهم فى معركة على نهر أشتورا Astura ـ اسـلا Esla الحـالى ـ قضى فيهـا على كثير منهم ، بحيث كان اللقاء دمويا قاسـيا ، ثم

(١) قارن : Florus, Op Cit., p 345 ; Bleye, Op. Cit., 1pp 230-231
(٢) Florus, Op Cit., p. 347.
(٣) Ibid.
(٤) Florus, Op Cit., p. 345 ; Florez, Op Cit., 16 p 7 ; Bleye, Op Cit., 1 p 231. وهى عادة كانت سـائدة فى كنتبرية وجليقية أيضا ٠
(٥) Strabo, Op Cit., p 115.
(٦) Ibid, p 111.

تعقب فلولهم الهاربة الى مدينة لانسيا Lancia المجاورة الحصينة ، فحاصرهم بها حتى استسلموا ، وأوشـك الجنـد الرومان على حرق المدينة وتدميـر اسوارها حين دخلوها ، لولا ان اثناهم قائدهم عن ذلك ، واقنعهم بصـعوبة باهمية الابقاء عليها ذكرى لانتصارهم(١) ٠

وقد عاد الأشـتوريون للثورة على الرومان فى الأعـوام ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ق ٠ م ٠ واستعصـوا على القـائد الرومانى اميليانوس Emilianus ومن بعده فورنيوس Furnius ، حتى اضـطـر الامبراطـور أوغسطس الى ان يعهد الى قائده المحنك اجريبا Agrippa بقيـادة القوات الرومانية ضـد الأشتوريس ، فتمكن من القضاء نهـائيا على ثوراتهم ، فاستسلموا فى عام ١٩ ق ٠ م(٢) ، وصـار الأشتوريون ـ حسبما يشـير احد النقوش ـ أصـدقاء للرومان اللاتين منذ ذلك الوقت(٣) ، وانتهت حروب الرومان المتعـددة فى شـبه الجزيرة الايبيـرية بالسـيطرة على كل انحـائها بمـا فيهـا الأشتوريس(٤) ٠

(١) قارن Florus, Op Cit, p 347 ; Florez, Op Cit, 16 pp 6-7 ; Cayetano, Op Cit, p 12 ; Quadrado, Op Cit, pp 11-12 ; Bleye, Op Cit, 1p 231. هذا وقد عثر على نقش بنفس المدينـة ينص على خضـوع سـكانها للامبراطور أوغسطس ، ولا زال النقش محفوظا فى كنيسـة سـان ميجيل دى لينو San Miguel de Lino ، بالقرب من مدينة أوفييدو Oviedo فى أشتوريس ، ونصـه CAES OMITA LANIA أى Caesar Domita Lancia وهناك نقش آخر عثر عليه على شاطىء أشتوريس الشمالى ونصه :
« In Asturum Littore Noega Est Oppidum et Tres Aroe, Quas Sestianas Vocant, In Pene Insula Sedent, Sunt Augusti Nomine Sacroe, Illustrant que Terras Anté Ignobiles » وعن النقش ، أنظر Risco, Esp. Sagr. ,37 pp 39-40.
(٢) قارن Florez, Op Cit, 16 p 7 ; Bleye, Op Cit, 1 p 231 ; Mommsen, The History of Rome, 1p 65.
(٣) عن نصه ، أنظر Morales, Op Cit, 2, p 203.
(٤) Strabo, Op Cit., pp 79,87 ; Florus, Op Cit, p 349 وانظر أيضا النقـوش التى يثبتها Morales فى كتابه السـابق ، ٢ ص ٢١٠ ، ٢٢١ ، والتى تدل على استقرار حكـم الرومان بكل ايبـيريا حتى البحر المحيط ٠

وباستيلاء الرومان على أشتوريس فقد ألحقوها اداريا ـ هى وجارتيها كنتبرية وجليقية ـ بولاية طركونة Provincia Tarraconensis (١) ، احدى ولايات اسبانيا الرومانيــة ، التى عرفت أيضا باسبانيا الدنيا Hispania Citerior (٢) ، الا أنهـا صـارت ولاية كبـيرة الحجم ، واقتضت سهولة ادارتها وحكمها ضرورة اعادة تنظيمها ، فقسمت فى القرن الثالث الميلادى الى ثلاث ولايات ادارية(٣) ، أصبحت فيها أشتوريس مع جليقية وكنتبرية احداها ، وعرفت بولاية اسبانيا الدنيا الجديدة Hispania Nova Citerior أو اسبـانيا الدنيـا الجـديدة الأنطـونية Hispania Nova Citerior Antoniana ، او حتى بولايـة جليقيـة

---

(١) أنظر Danham, Op. Cit, 1 p 63 ، وان كان البعض يشير أنها ألحقت أولا بولاية لوزيتانيا ، ثم انفصلت عنها لتلحق بولاية طركونة ، أنظر: Mommsen, Op. Cit, p 65 . ولدينا نقش ألحاقها بولاية طركونة ، ونصه: «Proc. Hispaniae Citerioris Asturicam et Gallaeciam» ، وعن أنظر. Florez, Op Cit, 16p 8.

(٢) قسم الرومان ما استولوا عليه من أراضى ايبيريا الى ولايتين اداريتين فى عام ١٧٩ ق . م . أولهما طركونة بالركن الشمالى الشرقى، وقاعدتها مدينة بنفس الاسم ، وثانيهما اسبانيا القصوى Hispania Ulterior الى الجنوب من الولاية الأولى وشملت منطقتى باطقة ولوزيتانيا ، وقاعدتها مدينة قرطبة ، واستمر هذا التقسيم حتى امتدت سيطرة الرومان على أقصى غربيى ايبيريا واتسعت ولاية اسبانيا القصوى ، فقسمها الرومان فى حوالى عام ٢٧ ق . م الى ولايتين ، هما باطقة فى الجنوب وقاعدتها قرطبة ، ولوزيتانيا فى الغرب وقاعدتها مدينة ماردة . أما ولاية اسبانيا الدنيا (طركونة) فظلت كما هى . قارن عن هذا التقسيم Strabo, Op Cit, 2p 119 ; Van Nostrand, The Reorganization Of Spain By Augustus, California 1916-1917, pp 86,96: Sànchez Albornoz, Origénes, 1pp 86-88.

(٣) أنظر Bieye, Op. Cit, 1p 235 ; Danham, Op. Cit., 1 pp 69-70 وأولى هذه الولايات هى طركونة بعاصمتها طركونة ، واقتصرت على منطقة تطالونيا Catalonia وجزء من فالنتيا Valentia ، والولاية الثانية هى قرطاجنة Carthaginiensis بعاصمتها قرطاجنة الجديدة ، واشتملت على منطقة قشتالة ومرسية ومعظم فالنتيا ، أنظر Atlas, Op Cit., 2pp 1177,1185.

(Gallaecia) Gallicienis (١) ، وهى التى يسميها الجغراف الاسلامى البكرى ، حوز جليقية ،(٢) اى نواحى جليقية .

وكانت قاعدة تلك الولاية الجليقية مدينة براقرة Bracara Augusta (Braga الحالية) ، وأهم مدنها دوميو Dumio ، وبرتقال Portucale (Oporto) ، وتودى Tude (Tûy) ، واورية Auriense (Orense) ، Iria (Padron) ، ولك Lugo (Luco) وبريتونيا Bretona وايبرية (Vittania) ، وأستورقة Asturica Augusta (Astorga) (٣) . فكان لهذا التنظيم الادارى أثره المباشر الواضح فى انهاء التقسيمات القبلية القديمة بين أشتوريس وجارتيها شرقا وغربا ، وفى ربط تاريخهم بعضه ببعض منذ ذلك الحين فصاعدا ، بحيث أن المؤرخين المسلمين فى العصور الوسطى لم يميزوا فى رواياتهم بين تلك الأقاليم الثلاثة ، وانما غالبا ما كانوا يشيرون اليها كلها أو الى أى منها بلفظ جليقية .

أما الشئون القضائية فى هذه الولاية الجليقية فقد تولاها قاضى اعلى (٤) ، يشرف على المناطق القضائية الأربع Conventus Juridici التى اشتملت عليها الولاية ، وكانت فيها أشتوريس Asturicensis منطقة قضائية قائمة بذاتها،وقاعدتها مدينة استورقة Asturica Augusta

---

(١) أنظر . Huici, Las Cronicas Latinas de La Reconquista, Valencia 1913, 1p 116 ; Atlas Geographus, 2 p 1185 ; Diccionario De Historia De Espana, Madrid 1952, 1p 1356.

(٢) جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٦١ . اذ الحوزة بمعنى الناحية ، وجمعها الحوز .

(٣) قارن : البكرى ، نفسه ، ص ٧١ ـ ٧٣ ، Huici, Op. Cit., 1 p 116 ; Lévi-Provençal, La Peninsula, p 264 ; O'callaghan, Op. Cit, pp 29-30. وعن مدينة استورقة ، أنظر . Diccionario, 1 p 314

(٤) هذا ما يفهم مما لدينا من نقوش ، مثل النقش التالى : «Legato Aug. Et. Juridico Astyriae Et Galleciae» ، وقد زودتنا تلك النقوش ايضا باسماء بعض من تولوا هذا المنصب ، مثل : Albinio Saturniho ، و Culpurni Guadrato ، وعن نصوص تلك النقوش ، أنظر . Florez, Op Cit, 16 pp 8-9.

(Astorga) (١) . وتبعا لذلك فقد وجدت القوانين الرومانية (اللاتينية) طريقها فى أشتوريس ، وحلت تدريجيا محل ما كان سائدا من عادات وتقاليد قبلية قديمة . وصار هذا التقسيم القضائى أساسا لتقسيم منطقة شمال ايبيريا ، بما فيها أشتوريس ، تقسيما كنسيا الى مطرانيات واسقفيات (٢) وهو التقسيم الذى ظل قائما حتى الفتح الاسلامى .

ومن جهة أخرى ، فقد عهد الامبراطور الرومانى بحكم ولاية جليقية – الشاملة لأشتوريس – الى نائب له برتبة قنصل Consular (٣) الذى أخضع الولاية لمراقبة عسكرية صارمة ، بحيث رتب فيها جيشا رومانيا كبيرا ، رابطت فرقه الثلاث فى نواحيها (٤) ، للحفاظ على استقرارها وهدوئها ، ثم اجبر السكان على اخلاء معاقلهم الجبلية ليقيموا فى الأراضى السهلية المكشوفة (٥) ، حتى يسهل رصد تحركاتهم واحكام السيطرة عليهم ، وميز سكان المنطقة الواقعة الى الشمال من جبال كنتبرية حتى بحر كنتبرية باسم Transmontani ومنطقتهم باسم Asturias Transmontana اى اشتوريس ما وراء الجبال ، اما المنطقة الممتدة الى الجنوب من نفس الجبال حتى نهر دويرة فاطلق عليها اسم اشتوريس اوغسطانا Asturias Augustana ، وسكانها باسم Augustani ، اما نسبة الى عاصمتهم

(١) عن هذا التقسيم القضائى ، أنظر . البكرى ، نفسه ، ص ٧١ – ٧٣ وإن كان لا يشير الى أنه تقسيم تضائى Diccionario, Op Cit, 1pp 1198, 1356 ; Atlas Geographus, 2p 1185. وقد ظلت كنتبرية هى الأخرى منطقة قضائية تعرف باسم Cluniensis على اسم قاعدتها مدينة كلونية Clunio فى حين اشتمل اقليم جليقية على منطقتين ، احداهما فى الشمال وهى منطقة لك Lucensis من اسم قاعدتها ، والثانية فى الجنوب وهى براقرة أوغسطا Bracara Augusta نسبة الى مدينة براقرة (براجا Braga الحالية) .

(٢) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٤٨٨ – ٤٩٢ ، ٥٤٤ – ٥٤٥ ، وعن التقسيم الكنسى لايبيريا حتى أواخر عصر القوط ، أى تبيل الفتح الاسلامى ، أنظر بتفصيل : Cron. de Espana del don Rodrigo, Col. DIHE, pp 170-177.

(٣) Suabo, Op. Cit., p 121.

(٤) Strabo, Op. Cit., pp 79,121,123. Hume, The Spanish People, London 1901, p 33.

(٥) Florus, Op. Cit., p 349 ; Risco, Op Cit, 37p 39.

براقرة اوغسطانا(١) ، او تخليدا لاسم الامبراطور الرومانى اوغسطس Augustus ذاته ، الذى كان يخشى من معاودتهم الى اثارة القلاقل وهم فى معاقلهم الجبلية(٢) . فكان لذلك كله اثره عند السكان اذ ركنوا الى الهدوء ، وتخلوا نهائيا عن الحروب فيما بين بعضهم البعض ، أو الاغاره على ما يجاورهم من اراض بهدف سلب منتجاتها كما كان الشان من قبل (٣) ، وانخرطوا فى الخدمة العسكرية فى الفرق الرومانية بحيث اسهموا فيها بثلاث كتائب عرفت بالكتائب الاشتورية(٤) وان كنا لا نعرف طبيعة ما كانت تؤديه هذه الكتائب من اعمال ، فاعتادوا على فنون الحرب المنظمة واقلعوا عن حرب العصابات القديمة .

ومن ناحية ثالثة ، فقد صارت معسكرات الفرق الرومانية التى اقامت فى نواحى ولاية جليقية مدنا فيما بعد ، مثل مدينة ليون Léon التى اشتقت اسمها من الفرقة التى اقامت هناك(٥) . هذا فضلا عما أقامه الرومان منمدن جديدة فى أشتوريس (٦) صار لهما أهميتها فى تاريخ المنطقة على مر العصور ، ومن تلك المدن الجديدة مدينة لك الأشتورية (Lucus Asturum Santa Maria de Lugo الحالية) ، وخيخون Gigia (Gijon الحالية) وهى المدينة التىاتخذها حاكم اشتوريس المسلمفيما بعد مقرا له،ومدينة كانجاس Canicas (Cangas de Onis الحالية) التى اتخذها الناهضون المسيحيون فى أشتوريس مركزا لتجمعهم وقت أن كانت حركتهم ضد المسلمين فى طور التكوين ، ثم صارت أول عاصمة لملكة أشتوريس فى عام ٧٣٩ م / ١٢١ ه . والمهم فى أمر تلك المدن أنها اجتذبت السكان فأقاموا فيها واستقروا ، وسهل على الرومان استخدامهم فى زراعة الأرض ، وفى استخراج كنوزها ،

(١) Florez, Op Cit, 16p 5 ; Risco, Op Cit, 37 p 1, 39.

(٢) Florus, Op Cit., p 349.

(٣) Strabo, Op Cit., 2pp 71,79.

(٤) Florez, Op. Cit, 16 p 7. ويثبت النقش الدال على ذلك ، ونصه : « COH. III ASTURUM »

(٥) واسمها كما يحددها احدى النقوش التى عثر عليها بنفس المدينة هو Legio VII Gemine ، وعن نصه ، انظر . Risco, Historia De La Ciudad De Léon, Madrid 1792, 1 p 2.

(٦) عنها بتفصيل ، أنظر . Caveda, Op. Cit, p 28.

التى لم يكن السكان يعرفون عنها شيئا من قبل (١) ، ولا سيما الذهب الذى فاق الأشتوريون غيرهم من سكان الامبراطورية الرومانيــة فى نسبة ما زودوا به الرومان منه(٢) ، وبذلك ازداد الانتاج الزراعى والتعدينى فراجت التجارة ، التى ساعد على ازدهارها ايضا ما اقامه الرومان من شبكة طرق برية جيــدة ربطت اجزاء ولاية جليقية ببعضها من ناحية(٣) ، وبغيرها من اجزاء ايبيريا من ناحية اخرى . وقد كانت تلك الطرق هى التى سلكتها الجيوش الاسلامية فيمــا بعــد ، وكانت من بين العــوامل التى سهلت لهم التقــدم فى اراضى ايبيريا ، والسيطرة على أهم مدنها ومراكزها الاستراتيجية الواقعــة على طول تلك الطرق فى مــدة وجيزة .

وقد نتج عن توافد كثير من العــائلات الرومانية الى أشتوريس بعــد فتحها ، فضلا عن الجنود الرومــان(٤) ، أن تقــارب الرومان من سكان اشتوريس ، الذين معظمهم من الكلت الأوربيين ، واختلطوا بهم(٥) ، بحيث نشأت اجيال مولدة تكــاثرت مع الزمن ، وزادت فيه نسبة الدم اللاتينى . مما ســاعد على تقبلهم أنظمة الرومان اللاتين وأنمــاط حياتهم . كذلك فقد أخذت اللغة اللاتينية ــ التى أصبحت لغة الادارة ثم التعــامل ــ فى الانتشار التدريجى ، وحلت محل لغــة الأشــتوريين ، التى اخــذت فى الاضمحــلال السريع ، حتى تلاشــت ولم يعد الســكان ــ على حد تعبيــر استرابون ــ يتذكرون منهــا شــيئا (٦) . وكان أن تدمت المسيحية عاملا جديدا من عوامل

---

(١) Florus, Op. Cit., p 349 ; Florez, Op. Cit., 16p 7 ; Caveda, Op. Cit, pp 27-28.

(٢) Strabo, Op. Cit., 2p 79 ; Florez, Op. Cit, 16 p 7 ; Bouchier, Op. Cit., p 88.

(٣) عن أهم تلك الطرق . أنظر : Saavedra, Estudio, p114 ; Sànchez Albornoz, « Itinerario De La Conquista De Espana », CHE, Buenos Aires, 1948, 10 pp 64-65. السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٠٢ .

(٤) Strabo, Op. Cit., p 60 ; Caveda, Op Cit., p 27.

(٥) Chapman, Op. Cit., p 19.

(٦) Strabo, Op Cit., p 59.

تقوية الروابط والاندماج بين الأشــتوريين واللاتين حينما اعتنقوها(١) ، بحيث يمكن القــول أن اشــتوريس هى وباقى شــبه الجزيرة قد اندمجت فى الجسد الرومانى بفضلها ، وتدعم الاندماج اكثر حينما أصــدر الامبراطور الرومانى كاراكالا **Caracalla** فى عام ٢١٢ م قرارا بمنــح ســكان الامبراطورية حقوق المواطنة الرومانية(٢) ، حتى صار الأشتوريون فى نهاية الأمر لاتينيا كالرومان اللاتين انفســهم(٣) .

وهكذا فقد اثر الغزو الرومانى لأشتوريس تأثيرا عميقــا فى وســائل وأنمــاط حياة سكانها من جميع نواحيها (٤) ، واتخذت نمطا رومانيا تأصل وازداد عمقا مع الزمن .

واذا كان تاريخ اشتوريس ، منذ استيلاء الرومان اللاتين عليها فى عام ١٩ ق . م ، قد ارتبط بتاريخ ولاية جليقيــــة ، وصــار جزءا لا يتجزأ منهــا ، فانه بسبب قلة المصــادر التاريخية التى تناولت تاريخ هــذه الولاية منــذ انتهاء الســيطرة الرومانية عليها اوائل القرن الخــامس الميلادى حتى بداية القرن الثامن ، وغموضها فيما يتعلق بأشتوريس ، فضــلا عن تعدد القــوى المسيطرة على اقاليم شبه الجزيرة خلال هذه الفترة ، وتأرجح ســيطرة كل منهــا على هذه الأقاليم نتيجة للصراع المستمر فيما بينها ، فقد غدت هــذه الفترة فترة اضطراب فى تاريخ شبه الجزيرة ككل ، وفجوة عميقة فى تاريخ اشتوريس بالذات ، يواجه فيها الباحث ندرة حقيقية فى المعلومات المتصلة بها ، بحيث لا يمكن القاء الضوء عليهــا الا من خــلال ما أوردته المصــادر التاريخية عن ولاية جليقية ككل خلال تلك الفترة .

---

(١) عن كيفية دخول المسيحية اسبانيا وأثرها ، قارن : O'Callaghan, Op Cit., pp 31-33 ; Chapman, Op. Cit., pp 22-33 ; Smith, Op Cit, p11 ; Danham, Op. Cit., 1p 77 Sqq.

(٢) Hume, Op. Cit., pp 36-37 ; Russell, Spain, p 66 ; O'Callaghan, Op. Cit., p 28 ; Smith, Op. Cit., p 9.

(٣) Strabo, Op. Cit., p 59 ; Smith, Op. Cit., p 19 .

(٤) أنظر بتفصيــل Altamira, A History Of Spain, p 44 Sqq ; Danham, Op. Cit., 1 p 69 Sqq.

فقد اكتسحت شبه جزيرة ايبيريا فى بداية القرن الخامس الميلادى قبائل جرمانية من عناصر متعددة(١)،وعاشت فيها فسادا وتخريبا مدة عامين(٢)،ثم اقتسمت تلك العناصر اقاليم ايبيريا فيما بينها فى عام ٤١١ م(٣) ، واختص

---

(١) هى قبائل السويف والوندال والألان وقد وفد السويف من المنطقة الواقعة بين نهرى الراين والدانوب اما الألان فمن المنطقة الواقعة بين بحرى ازوف والقوقاز ، فى حين وفد الوندال من بين نهرى الاودر والدانوب ، وتحركت من وراء الدانوب عام ٤٠٦ م وغزت غالة ، ومنها تقدمت الى ايبيريا ، فتصدى لهـا القائدان الرومانيان Didymus و Veranianus عند جبال البرتات ، ومن المدخل الى ايبيريا من ناحية غالة ، وظلت تتجول فى غالة ثلاث سنين حتى قتل القائدان ، فسهل عليهـا اقتحام ايبـيريا عام ٤٠٩ . وعن ذلك ومواطن الجرمان الاولى وأسباب سهولة اقتحام ايبيريا ، قارن : Isidore of Seville's History, p 34 ; O'Callaghan, Op. Cit., p 39 ; Chapman, Op. Cit., pp26-27. ، السـيد سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٣ – ٤ ، اسحق عبيد ، نفسه ، ص ٨ وما بعدها ، ص ٥٤ وما بعـدها ، سـعيد عاشـور ، أوربا العصور الوسطى ، ١ ص ٥١ وما بعدها ، ص ٦٣ ، طرخان ، دولة القوط الغربيين ، ص ٨٥ – ٨٦ .

(٢) صـارت ايبيريا بسبب هذه الغزوات مشهدا سيئا من مشـاهد البؤس والفاقة فيصـور ايزيدور الاشبيلى – الذى كان معاصرا – هـذه الغزوات بقوله : « انهـا كانت غزوات وحشـية دموية ضـارية ، استنزفت كل ثروات البلاد ومواردها ، واحرقت كل مدنها وقراها وعمرانها ، حتى لم يجد السـكان بدا من التهـام جثث المـوتى من آدميين وحيوانات بسبب ما حل بهم من جوع قاتل ، كمـا أكلت الأمهات أبناءهن » ، وعن هـذه الحـالة ، انظر . Isidore of Seville's History, p34, Bruke, Op. Cit., 1pp 43-48

(٣) عن التقسـيم انظر . Isidore of Seville's History, Op. Cit., p 35 ; O'Callaghan, Op. Cit., p 39 ; Livermore, A History of Portugal, p 16 ; Smith, Op Cit., Bouchier, Op. Cit., p 48 ; Chapman, Op. Cit., p 27 ; p14 ; Entwistle, Op. Cit., p 77 اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص ٢٣٦ ، السيد سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٤ .

قبائل السويف Suevos ، وبعض قبـائل الوندال Vandalos – المعـروفة بالأسدنج Asdingi (١) – بجليقية(٢) ، وأقامت بها مملكة عرفت بمملكة السويف (٣) ، واتخذت من مدينة براقرة أوغسطا Bracara Augusta – براجا Braga الحالية – عاصمة لها .

وقد اختلف المؤرخون الحديثون فيما بينهم فى تفسير المقصود بجليقيـة التى اسـتولى عليهـا السـويف ، أهى الـولاية بأسرها المشـتملة على اشتوريس(٤) ، أم أنها منطقة جليقية احدى أجزاء الولاية ، مما يعنى أن اشتوريس لم تكن من نصيب السويف ، وظلت تابعة للرومان(٥) . على أنه باستقراء عبـارات المؤرخ ايزيدور الاشـبيلى – الذى عاش فى القرن السابع الميـلادى ، ويعتبر تاريخه من أوثق ما كتب عن الجرمان فى ايبيريا – نجـده يشير فى صراحة الى أن الجرمان قد اقتسموا ايبيريا على أساس الولايات(٦) وان السويف انفردوا باحتـلال كل جليقية ، أى ولاية جليقية ، وأن الجلالقـة وان حافظوا فى بادىء الأمر على استقلالهم عن السـويف ، فانهم لم يلبثوا أن خضعوا لأول ملك سـويفى (٧) ، ممـا يعنى أن سـيطرة السويف قد شملت ولاية جليقية ، وأن هـذه السـيطرة قد امتدت الى كل انحائها بمـا فيهـا اشـتوريس .

---

(١) كانت بقيادة Genderic ، أول قوادهم بايبيريا ، وحكـم مـع السـويف فى جليقيـة ثمـانية عشر عاما ، حتى نقض الاتفاقيـة معهم ، وهاجمهم فى نواحى جبـال Erbasian ، ثم ترك جليقية للسـويف واتجه الى باطقـة ليلحق بغيره من الوندال ، انظر . Isidore of Seville's History Op. Cit., p 35.

(٢) Isidore of Seville's History, Op. Cit., p 35.

(٣) Davis, Medieval Spain, p 31 ; Altamira, A History of Spain, p 76.

(٤) Castro, Op. Cit., p 77 ; O'Callaghan, Op. Cit., p 39.

(٥) Risco, Esp, Sagr., 37 p 50 Sqq ; Bouchier, Op Cit, p 48.

(٦) Isidore of Seville,s History, Op. Cit., p 35.

(٧) Ibid, p. 40.

ويتاكد استيلاء السويف على اشتوريس مما أشار اليه المؤرخ السابق بان اراضى السويف فى جليقية قد اقتحمتها عناصر جرمانية أخرى، وهاجمت فيها مدينة استورقة Astorga (١) فى عام ٤٥٦ م ، وكانت حسبما اوضحنا عاصمة اشتوريس فى التقسيم الادارى الرومانى ، الذى لم يغير منه الجرمان شيئا . ويضيف نفس المؤرخ ان السويف قد مدوا سيطرتهم ، فيما بين عامى ٤٤٨ - ٤٥٣ م ، الى مناطق تقع شرق أشتوريس مباشرة(٢) . ولا يعقل اذن أن يتطلع السويف الى هذه النواحى قبل السيطرة على أشتوريس ذاتها، التى كانت معبرا لجيوشهم فى ذهابها وعودتها . يضاف الى ذلك ان بعض الأماكن فى أشتوريس لا زالت تحمل أسماء اشتقت من اسم السويف Suevos ، مثل Puerto de Sueve و Suegos وغيرهما(٣) . الامر الذى نرجح معه خضوع اشتوريس للسويف ، وان كنا نجهل ما اذا كان ذلك وقت اقتسام الجرمان لولايات شبه الجزيرة عام ٤١١ م ، ام فى سنوات تلت قبل عام ٤٤٨ م ، حينما أخذ السويف يتوسعون فى شمال شرقى شبه الجزيرة الى الشرق من اشتوريس .

على أن السويف لم يهنأوا بالاستقرار طويلا فى ولاية جليقية المشتملة على أشتوريس،اذ نازعهم فى السيطرةعليها عناصر جرمانية أخرىعرفتبالقوط الغربيين Visigoths (٤)، وازداد النزاع بينهما حدة بسبب اختلافهما الدينى ، فالسويفكانوا علىالوثنية ثم هجروها بين عامى ٤٤٨ - ٤٥٧مالى المسيحية

---

(١) Ibid, p16 ; Chron, Albeldense, ed. Florez Op. Cit., p 446.

(٢) مثل كنتبرية وسرقطسة وارجوان ، انظر . Isidore of Seville's History, Op. Cit., p 41.

(٣) انظر Entwistle, Op. Cit., p 78

(٤) عنهم وعن اصلهم . انظر Isidore of Seville's History, p3 Sqq

وان تارجحوا فيها بين المذهبين الكاثوليكى والأريوسى (١) ، أما القوط فكانوا على الأريوسية منذ عام ٣٧٧ م(٢) ، ولم يعتنقوا الكاثوليكية الا عام ٥٨٧ م (٣) ، اى بعد قضائهم على مملكة السويف بعامين . ومن ثم فقد ظل العداء بينهما مستحكما ، وصار تاريخ علاقاتهما سجلا حافلا بالحروب ، التى بداها القوط حوالى عام ٤٥٦ م ، وانتصروا فيها على السويف انتصارا ساحقا ، اوشكت معه مملكة السويف على الانهيار وهى فى بدايتها ، خاصة وان التفكك الداخلى قد اخذ يسرى فى جسدها منذ عام ٤٥٧ م ، بسبب التنازع على عرشها وانقسام الرعية بين المتنازعين ، ولم تنفرج الأزمة الا باقلاع الجيش القوطى فجاة الى غالة ، وانفراد روميسموند Romismund فى عام

---

(١) اعتنقوا المسيحية على المذهب الكاثوليكى اولا ليوجدوا توأما بينهم وبين الرعية ، وتحولوا عنه الى المذهب الأريوسى حوالى عام ٤٦٥ م استجلابا لمودة القوط ، ولعقد صلح معهم ، حتى ان الملك القوطى ارسل اليهم Alax احد مبشرى هذا المذهب ، ولم تلبث ان انتهكت شروط هذا الصلح ، فارتد السويف الى الكاثوليكية ، حوالى منتصف القرن السادس، على ايدى القديس Martin الذى صار رئيسا لاساقفة العاصمة السويفية براقرة ، واسس بجليقية عديدا من الكنائس . وعن ذلك وعن طبيعة المذهبين الأريوسى والكاثوليكى ، قارن Isidore of Seville's History, p 6 No. 8 ; p 41 No. 87,p 42 No. 90-91 ; Livermore, Hist. of Portugal, pp 25-26 ; O'Callaghan, Op. Cit., p. 118 ; Burke, Op Cit., 1 p 74.
وعن آثار القديس Martin العلمية ، انظر . طرخان ، نفسه ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، وعن تأسيسه كنائس بجليقية ، انظر . الوثيقتين رقم ١ بتاريخ أول مايو عام ٥٦٩ م ، ورقم ٢ بتاريخ عام ٥٧٢ م ، فى كتاب Belda ، بعنوان : Documentos Reales ، ص ٢٣ .

(٢) اعتنقوها فى عهد الامبراطور الرومانى Valens حوالى العام الثالث عشر من حكمه ، وظلوا عليها حوالى ٢١٣ عاما . انظر . Isidore of Seville's History, p. 5 No. 7, p. 6 No. 8.

(٣) عن طبيعة المذهب الكاثوليكى ، وكيفية اعتناق القوط له ، انظر . Isidore of Seville's History, p. 25 No. 52-53 ; Chron Biclarense, p 138 No. 5 ; Chron. Albeldense, Op Cit., p 447 ; Altamira, A History of Spain, p 81 ; Bradley, The Goths, p 327 Sqq ; Coppée, Op. Cit., 1 p 126 Sqq.

٤٦٤ م بالعرش ، ومسارعته الى درء خطر القوط بعقد الصلح معهم(١) .

على ان هذا الصلح لم يطل امده ، اذ اقتحم الملك القوطى ليوفجلد Leovigild مملكتهم فى سنوات أربع متتالية ، انتهت فى عام ٥٧٦ م باقتطاعه كثيرا من اراضيهم (٢) ، واملاء شروطه على ملكهم ميرو Miro بحيث لم يبق للسويف سوى الركن الشمالى الغربى من شبه الجزيرة ، اى منطقة جليقية فقط . ومع ذلك فلم يستطع ميرو Miro الحفاظ عليها ، اذ اقدم على اقحام نفسه فى الخلاف بين الملك القوطى ليوفجلد وابنه(٣) ، مساعدا الابن ضد أبيه(٤) ، مما كان سببا فى مهاجمة ليوفجلد لهذه المنطقة فسيطر عليها عام ٥٨٥ م فى سهولة (٥) ، خاصة وأن السلطة فيها كانت قد تداعت بعد موت ميرو عام ٥٨٣ م (٦) ، وبذلك تلاشت المملكة السويفية ، ولم يشفع لها عند القوط ما اقامته معهم من علاقات المصاهرة (٧) لتخفيف حدة

(١) قارن : Isidore of Seville's History, Op Cit., pp 16-17 No. 31-33,; pp 41-42 No. 87-90 ; Chron. Albeldense, Op Cit., p 446.

(٢) انظر بتفصيل . Isidore, Op Cit., pp 23-24 No. 49 ; Chron. Biclarense, Op. Cit., p 132 No. 2, p133 No. 2, p 134 No. 3.

(٣) عن الخلاف ، انظر . Chron. Biclarense, Op Cit., p 135 No 3; Bradley, Op Cit., pp 322-324.

(٤) Chron. Biclarense, Op Cit., p 137 ; Danham, Op Cit,Ip 119. ، وانظر ايضا . Isidore of Seville's History, pp 42-43. وان كان يخطىء فى القول بأن ميرو ساعد ليوفجلد ضد ابنه والعكس هو الصحيح .

(٥) Chron. Biclarense, p 137 No. 2 ; Isidore of Seville's History, p 24 No. 49, p 43 No. 92 ; Chron. Albeldense, Op Cit., p 447 ; Chaytor, Op Cit., p8 ; Hadril, The Barbarian West, p. 119 ; Castro, Op. Cit., p 60 ; Bradley, Op Cit, p 321.

(٦) اذ كان قد خلفه ابنه الصغير Eborico ، فاغتصب Andeca العرش منه عام ٥٨٤ ، انظر . Chron. Biclarense, p 137 ; Isidore of Seville's History, p 24,43.

(٧) عنها ، انظر . Isidore of Seville's History, pp 17, 22

النزاع ، او ما عقدته معهم من معاهدات ، وانما فشلت جميعها فى خلق روح من المودة او حسن الجوار فيما بينهما .

ولا نعلم على وجه الدقة متى اقتطع القوط اشتوريس من السويف خلال هذا الصراع ، وان كنا نستبعد حدوثه عام ٥٨٥ م ، حينما قضى القوط على مملكة السويف كلية ، اذ كانت تقتصر أملاك الأخيرة على منطقة جليقية فقط بالركن الشمالى الغربى من شبه الجزيرة ، مما يعنى خضوع اشتوريس للقوط قبل ذلك التاريخ . ولا نميل أيضا الى فكرة الاعتقاد باستيلائهم عليها فى اول هجوم لهم على أراضى السويف عام ٤٥٦ م ، اذ كان هجوما للاغارة ولم تشر المصادر التاريخية الى مناطق استولوا عليها فى هذا الهجوم ، كما أن السويف كانوا لا يزالون يتوسعون الى الشرق من اشتوريس بعد هذا التاريخ (٤٥٦ م) . ومن ثم فلا تتبقى الا الفترة ما بين عامى ٥٧٣ ـ ٥٧٦ ، التى استولى فيها القوط على مناطق تحيط باشتوريس شرقا وغربا مثل مناطق سنابريا Sanabria (Sabaria) ، وارجنس Aregenes وكنتبرية Cantabria (١) . بل ويضيف بعض المؤرخين المحدثين الى هذه الفتوحات فتح القوط لمدينتى سمورة Zamora الواقعة على حدود اشتوريس الجنوبية ، وليون Léon (٢) بقلب اشتوريس اوغسطانا ذاتها .

وتتمادى المصادر التاريخية فى صمتها التام نحو اشتوريس ، وان كانت تطالعنا فجأة بانباء ثورة للأشتوريين على الملك القوطى سيسبوت Sisebut (٦١٢ ـ ٦٢١ م) ، الذى استطاع اخمادها واعادة الأشتوريين

(١) عن هذه المناطق واستيلاء القوط عليها ، انظر Chron. Biclarense, Op Cit., p 132 No. 5, p 133 No. 2, p 134 No. 2-3,p 135 No. 2 ; Isidore of Seville's History, p 23 No. 49 ; The Camb Med. Hist., 2 pp 166-167.

(٢) The Camb. Med. Hist., 2 p 166 ; Deanesly, The History of Med. Europe, p 100 .

لطاعته (١) ، فانها تعود الى صمتها مرة اخرى حتى لتختفى اى انبا[ء] فى التسجيلات التاريخية عن اشتوريس كلية حتى اواخر القرن الاول الهجرى / اوائل الثامن الميلادى ، وان كان ذلك لا ينفى ان اشتوريس قد ظلت خاضعة لحكم القوط الجرمان حتى اقدم المسلمون على فتحها فى عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م .

وهكذا نلاحظ أن اشتوريس خضعت للسيطرة الرومانية ، وان تلاشت عنها فى اوائل القرن الخامس الميلادى على أيدى السويف الجرمان ، ثم خضعت فى النصف الثانى من القرن السادس لعناصر القوط الجرمانية ، فحوت اشتوريس بذلك خليطا متعددا من اجناس مختلفة من كلت ورومان وسويف وقوط . وان ظلت الحضارة اللاتينية بمظاهرها المختلفة من لغة وقوانين وأنظمة هى السائدة ، بسبب تأصلها فيها .

واذا كان السويف والقوط الجرمان قد تأثروا بهذه الحضارة اللاتينية قبل أن يسيطروا على أشتوريس بسبب علاقتهم مع الرومان(٢) ، فان هذا التأثير كان محدودا ، اذ ظل القوط حتى منتصف القرن الخامس الميلادى يعيشون وفق تقاليدهم وعاداتهم دون أن يكون لهم قانون مكتوب (٣) . وحينما سيطروا على أشتوريس فى النصف الثانى من القرن السادس ، كانوا قد قولبوا تقاليدهم لأول مرة فى تاريخهم فى قانون مكتوب ، لكنهم لم يفرضوه على الأشتوريين الرومان وانما تركوا لهم حرية ممارسة قوانينهم وأنظمتهم الرومانية الأصل (٤) ، مما أدى الى ازدواج فى تطبيق القوانين فى أشتوريس ،

---

(١) Isidore of Seville's History, p 28 No. 61 ; Chron. Albeldense, Op Cit., p 448.

(٢) Altamira, History of Spanish Civilization, p 40 ; Peers, Op Cit p 35.

(٣) Isidore of Seville's History, pp 17-18 No. 35.

(٤) Altamira, Op Cit., p 41 ; Livermore, A History of Portugal, p 24.

فضلا عن الاختلاف المذهبى بين الفريقين ، ولذلك كان التباعد بينهما عميقا ، حتى عمل القوط على ازالته – وان كان لأسباب سياسية اصلا – باعتناقهم مثل الأشتوريين اللاتين للكاثوليكية فى عام ٥٨٧ م ، وبمراجعة القوانين وتعديلها بهدف توحيد تطبيقها على كل الرعايا من القوط الجرمان و الأشتوريين اللاتين وهو ما تم فى منتصف القرن السابع (حوالى ٦٥٤ م)(١). وتبنى القوط هم الآخرون اللغة اللاتينية(٢) ، ونسوا بذلك لغتهم القوطية ، وساروا على نهج انظمة الرومان الادارية والقانونية والاجتماعية (٣) .

وعلى ذلك ، فقد فاق الرومان اللاتين غيرهم من العناصر البشرية التى سكنت اشتوريس فى التأثير على أنماط وحياة السكان فيها تأثيرا قويا ، بحيث لم يكن بمقدور أى من الأجناس التى تلت هؤلاء الرومان أن تغير من طابع اشتوريس اللاتينى شيئا ذا بال بقدر ما شاركت الحياة وفقا له ، تأصلت مظاهر الحضارة اللاتينية فى أشتوريس ، وظلت هى السائدة حتى

---

(١) كان القوط يعيشون وفق قانونهم الذى وضعه يوريك ٤٦٦ – ٤٨٣ م ، أما الأشتوريون اللاتين فكانوا خاضعين للتشريع المسمى Lex Romana Visigothorum او Breviarium Alaricianum الذى كان قد وضعه الملك القوطى الاريك الثانى حوالى عام ٥٠٦ م ليطبق على الرعايا الاسبان اللاتين ، وهو القانون الذى الغاه رسسفنت حوالى عام ٦٥٤ م ، وأحل محله التشريع الذى سمى (Liber Iudicum) Liber Iudiciorum او Forum Iudicum وحوى ٩٨ مادة من وضع أبيه تشنداسفنت و ٨٩ مادة من وضعه هو ، وصار يطبق على كل الرعايا من قوط وأشتوريين لاتين . قارن Isidore of Seville's History, pp 17-18 No. 35, p 24 No. 51 ; O'Callaghan, Op Cit., pp 48-49, 63 Sqq ; Ziegler, Church and State, pp 59-65, 73-74 ; Altamira, A History of Spain, pp 78,81 ; Peers, Op. Cit., p. 53 ; Smith, Op. Cit., pp. 16-17 ; طرخان ، دولة القوط ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢) تدل العملات التى ضربوها بعد تحولهم الى الكاثوليكية على انهم اتخذوا اللاتينية لغة لنقشها ، وعن نصوص هذه العملات ، انظر . Morales, Op Cit., 3 pp 99, 103, 106, 140, 154.

(٣) قارن : Peers, Op Cit., p 35 ; O'Callaghan, Op Cit., p 21 ; Livermore, History of Portugal, p 23 ; Smith, Op Cit., p 24 Sqq.

وقت الفتح الاسلامى · ويرجع هذا التاثير الرومانى القوى الى اصالة وجدية وتعدد الأنظمة التى حرص الرومان على تطبيقها فى اشتوريس ، منذ ان استقروا فيها مع اواخر القرن الأول قبل الميلاد وطوال اربعة قرون كاملة ·

* * *

الفصل الثانى

الفتح الاسلامى لاقليم أشتوريس

تطلع المسلمون الى فتح شبه جزيرة ايبيريا منذ عام ٢٧ هـ / ٦٤٨ م ، فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان(١) ، الا أن أولى محاولاتهم الجدية لفتحها فتحا ثابتا مستقرا لم تتم الا فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م (٢)،أيام الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ، حينما أعد موسى بن نصير(٣)

---

(١) قارن : ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٤ - ٥ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٣ ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤ ص ٢٣٠ ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٥ ص ٤٩ - ٥٠ ، المقرى عن الحجارى وابن حيان وغيرهما ، نفح ، ١ ص ٢١٤ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٣ ، أخبار مجموعة ، ص ٦ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢ ص ١٤٦ ، الحميرى ، صفة ، ص ٨، ١٢٧ ، وأنظر أيضا : Dozy, Hist. de Musulmans d'Espagne, 1p 271 ; Saavedra, Invasion, pp. 63-64 ; Lévi-Provençal, Histoire, 1p 16.

(٢) تقدم المصادر اللاتينية تواريخ مختلفة لهذا الفتح ، فهو عام ٧١٠ م ، Chron. Compostellani, ed. Huci, 1p 80 أو عام ٧١١ م ، Isidore Pacense, ed. Florez, 8p 298 ; Annales Compostellani, ed. Huici 1p 60. أو عام ٧١٢ م ، Chron. Lusitanum, ed. Florez, 14 p 402 أو عام ٧١٤ م ، Anales Complutense, ed. Huici, 1p 40 وأنظر مناقشة Sanchez Albornoz المستفيضة لهذه التواريخ فى مقاله : Donde y Cuando Murio Don Rodrigo, p 52 Sqq.

(٣) يكنى أبا عبد الرحمن ، واختلف عما اذا كان بكريا أم لخميا ، وعنه ، أنظر ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ رقم ١٤٥٦ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٣١٧ رقم ٧٩٣ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ رقم ١٣٣٤ .

والى افريقية ، جيشا اسلاميا عدته سبعة آلاف مقاتل (١) ، جله من البربر بقيادة مولاه طارق بن زياد(٢) ، الذى عبر اليها وأرسى بساحلها الجنوبى(٣) ، أمام جبل منيع هو كالبى Mons Calpe ، فنسب لطارق وقيل له جبل طارق Gibraltar ، وحتى جبل الفتح(٤) .

ويفهم من المصادر الاسلامية أن طارق قد حط فى هذا الجبل دون أن يلقى مقاومة ، وهو ما يدعونا الى شىء من التفكير ، لأن هذا الجبل يمثل موقعا استراتيجيا هاما ، فهو همزة الوصل بين عدوتى المغرب والأندلس ، والتحكم فى المضيق الفاصل بينهما ضد أى عدوان على ايبيريا من الناحية الجنوبية ، بحيث أن الفنيقيين أدركوا أهميته حينما احتلوا شواطىء عدوتى المغرب وايبيريا ، فاقاموا عليه أبراجا للمراقبة ، ولم يسمحوا لأى دولة أخرى مشاركتهم فى استغلاله ، كما لم يترددوا فى اغراق أى سفينة أجنبية تحاول عبور المضيق ، وهم الذين اطلقوا على هذا الجبل اسم جبل كالبى ، أى الجبل المجوف لوجود مغارة كبيرة فيه ، ثم عرفه الاسبان فيما بعد

---

(١) هو العدد الأرجح ، وقد اردفوا بعد العبور بخمسة آلاف آخرين ، أنظر · المقرى عن ابن حيان ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢٤١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، أخبار مجموعة ، ص ٦ ، ٧ · وعن الأعداد المختلفة التى يقدمها المؤرخون ، قارن : المقرى عن الرازى وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، الحميرى ، صفة ، ص ٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٦ ، الطبرى ، تاريخ الأمم ، ٨ ص ٨٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٧ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٩ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٤ ، ابن الشباط عن مختصر تاريخ الطبرى وغيره ، وصف الأندلس ، ص ١٠٦ ، ١٤٠ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٢ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٦ ·

(٢) اختلف فى أصله فقيل عربى أو فارسى همذانى او بربرى — وهو الأرجح — وعما اذا كان مولى لموسى بن نصير من عدمه ، أنظر · الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١٠ — ١١ ، ص ٣١٥ رقم ٨٦٤ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٥ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ رقم ٥١٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤٣ ، ٢ ص ٥ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٣٩ ·

(٣) ابن عذارى، البيان ، ٢ ص ٩ س ٩ ·

(٤) قارن : المقرى عن ابن حيان وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ٩ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٣٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ·

بمغارة القديس ميخائيل San Miguel ، وهى المغارة التى اشار اليها الجغراف الاسلامى الحميرى بقوله انها كانت تعرف بغار « الأقدام » لوجود آثار اقدام فيه ·

فلما انتهى حكم الفنيقيين لايبيريا ، وتداولها من بعدهم القرطاجنيون والرومان ثم القوط ، حرصوا جميعا على بسط سيطرتهم على المضيق ، واتخذوا من جبل كالبى قاعدة حربية لهذا الغرض · ولا شك أن القوط فى أواخر أيامهم كانوا على علم تام بمدى قوة المسلمين فى الجانب الافريقى المقابل ، وعلى علم أيضا بنواياهم وخططهم بالنسبة لايبيريا ، لأن المضيق الذى يفصل بينهما ذراع من الماء يبلغ فى اوسع جهاته اثنى عشر ميلا على الأكثر ، وهى مسافة لا وزن لها من ناحية الانتشار العسكرى بين الشاطئين · يضاف الى ذلك ان ما قام به المسلمون من غارات على سواحل ايبيريا الجنوبية قبيل حملة طارق ، كانت بمثابة انذار صريح للقوط كى ياخذوا حذرهم من أى هجوم اسلامى من تلك الناحية ، ولا يعقل والحال كذلك ان يغفل القوط مهما بلغ ضعفهم واضطراب شئونهم هذه القاعدة الاستراتيجية الهامة دون حراسة أو مراقبة ، وهذا ما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن نزول المسلمين عند هذا الجبل لم يتم بمثل ما تصوره كتب التاريخ من سهولة(١) ·

وقد يؤيد هذا الاعتقاد ما أورده المؤرخ ابن الكردبوس — الذى عاش فى أواخر القرن السادس الهجرى — عن وصف نزول المسلمين بقيادة طارق عند سفح هذا الجبل ، والمقاومة القوطية التى اعترضتهم بهدف الحيلولة دون توغلهم ، ثم حركة الالتفاف البارعة التى قام بها المسلمون اثناء الليل حول عدوهم المرابط فى الجبل ، وكيفية الانقضاض عليه فجأة وابادته عن آخره ، وفى ذلك يقول ابن الكردبوس : « فمضى طارق لسبتة وجاز فى مراكبه الى جبل فارسى فيه ··· وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، ووجد بعض الروم وقوفا فى موضع وطىء كان عزم على النزول

---

(١) احمد مختار ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، اسكندرية بدون تاريخ ، ص ١٩ — ٢٠ ·

فيه الى البر فمنعوه ، فعدل عنه ليلا الى موضع وعر ، فوطاه بالمجاذف
وبراذع الدواب ، ونزل فيه فى البر وهم لا يعلمون فشن غارة عليهم واوقع
بهم وغنمهم »(١) .

فهذا الوصف يدل بوضوح على عظم المقاومة القوطية التى لقيها
المسلمون منذ بدء نزولهم فى اراضى ايبيريا ، لدرجة انهم اضطروا الى تغيير
خطتهم العسكرية التى قرروها من قبل ، ونزلوا ليلا فى مكان آخر صخرى
وعر ، مستخدمين براذع الدواب ومجاذف السفن كى تعينهم على خوض المياه
وارتقاء الصخور بغية الالتفاف حول العدو ، والانقضاض عليه قبل ان
يشعر بهم ، وبهذا الاسلوب انتصر المسلمون وتمكنوا من احتلال
الجبل(٢) ، فى يوم الاثنين الخامس من رجب عام ٩٢ هـ(٣)/ أبريل ٧١١(٤) .
واقاموا به عدة أيام بنوا خلالها سورا يحيط بهم ، على هيئة معسكر يأمنون
فيه على أنفسهم ثم فتحوا حصنا فى سفحه (٥) ، عند مصب نهر وادى

---

(١) الاكتفاء ، ص ٤٦ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٦ .

(٣) أنظر . ابن عذارى ، نفس الصفحة والمكان ، المقرى عن ابن
بشكوال وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ابن الأثير ، الكامل ،
٤ ص ٢٣٠ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٢ .
وان تارجح البعض بين هذا التاريخ وبين السبت من شعبان ٩٢ هـ /
اغسطس ٧١١ م ، أنظر المقرى عن الرازى ، نفسه ، ١ ص ٢٣٨ ، الحميرى ،
صفة ، ص ٩ . اما ابن الشباط وان ابى الفياض (وصف الأندلس ،
ص ١٠٦ ، ١٤٠) وابن حيان (برواية المقرى ، نفح ، ١ ص ٢١٦) فقد
اصروا على السبت من شعبان ٩٢ هـ . فى حين يجعله ابن القوطية (تاريخ
افتتاح الأندلس ، ص ٣٣) رمضان ٩٢ هـ . وقد دعا هذا الاختلاف ابن
الخطيب (الاحاطة ، ١ ص ١٠٧) الى ايراد كل هذه التواريخ وان أيد
السبت من شعبان . اما ابن قتيبة (الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٩) فقد
وقع فى خطأ ظاهر حين جعل التاريخ رجب عام ٩٣ هـ ، اى بفارق عام
كامل .

(٤) اعتمدنا فى مقارنة التواريخ الهجرية بالميلادية على الجداول
التالية : محمد مختار ، التوفيقات الالهامية ، ١٣١١ بولاق ،
Wustenfeld, Vergleichungs-tabellen Der. Mohammedanishen und
Christlichen Zeitrechnung, Leipzig 1926.

(٥) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٩ .

البحر (١) ، هو قرطاجنة (٢) Carteya وتقدموا منه فنزلوا بمدينة
الجزيرة الخضراء (٣) Algesiras ، وأعدوا بها قاعدة عسكرية (٤) ،
وسيطروا بذلك على المضيق الذى يفصل شبه الجزيرة عن شمال افريقيا ،
التى ربطوا خطوط مواصلاتهم بها وأمنوا ظهورهم فى حالة الانسحاب أو
الهزيمة ، ثم زحفوا غربا قاصدين مدينة قرطبة(٥) Cordoba
ووقتذاك كان الملك القوطى رذريق Rodrigo مشغولا فى اخماد ثورة
قام بها البشكنس فى اقصى شمال ايبيريا (٦) ، ومن المحتمل ان تكون

---

(١) الحميرى ، صفة ، ص ١٥١ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٩ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص
٢٠٦ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٤ ، ابن الأثير ،
الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٥١ .

(٣) ابن الأثير ، اعلاه . وتقع المدينة مقابل سبته ، وهى على
نهر برباط ، شرقى شذونة وقبلى قرطبة بخمسة وخمسين فرسخا ،
ومرساها من اجود المراسى للجواز ، واقربها من المحيط الأطلسى ، وعنها
بتفصيل ، انظر . الادريسى ، نزهة ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، ياقوت ، معجم ،
٣ ص ٩٩ ، العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١٧ ، ابن غالب ، تعليق
منتقى من فرحة الأنفس ، ص ٢٩٤ . وتسمى ايضا جزيرة أم حكيم اذ كان
طارق قد خلف بها جارية بهذا الاسم مع فرقة من رجاله ، أنظر ،
الحميرى ، نفسه ، ص ٧٣ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٦ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٦ .

(٥) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٦ ، ابن الشباط ، وصف
الأندلس ، ص ١١٣ . ويشير الادريسى (نزهة ، ص ٥٤٠ ـ ٥٤١) الى
وجود طريقين من الجزيرة الخضراء حتى اشبيلية احدهما مائى والآخر برى
الذى يغلب على الظن أن يكون المسلمون قد سلكوه فى طريقهم الى
قرطبة .
وعن قرطبة ، أنظر . البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ،
الادريسى ، نزهة ، ص ٥٧٤ وما بعدها ، ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٥٣ ـ ٥٥ ،
الحميرى ، ص ١٥٣ وما بعدها . ويذكر الهمذانى (كتاب البلدان ، ص
٨٢) ولبن خرداذبة (المسالك والممالك ، ص ٨٩) أن بينها وبين
الساحل ـ اى ساحل المحيط الأطلسى ـ مسيرة خمس ليال .

(٦) أنظر . المقرى وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ابن
قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٩ ، اخبار مجموعة ، ص ٧ ،
الحميرى ، صفة ، ص ٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، عبد الملك بن
حبيب ، ص ٢٢٢ .

ثورة مفتعلة بايعاز من أعداء رذريق لشـغل أنظاره عن عمليـة نزول المسلمين ف بلاده . وهنـاك وافته التقارير بانه « نزل بأرضـنا قـوم لا ندرى امن السماء نزلوا ام من الأرض نبعوا » (١) « فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميه ، قد حرقوا مراكبهم اياسا لأنفسـهم ف التعلق بهـا ، وصـفوا ف السهل موطنين أنفسـهم على الثبات ، اذ ليس لهم ف أرضنـا مكـان مهـرب » (٢) . فـوقع الخبر على رذريق وقوع الصـاعقة ، واغتم لذلك كثيرا ووجم (٣) ، واقلـع من هنـاك ف عجلة من أمره عائدا الى الجنـوب ، فتوقف بقرطبة أياما يسـتجمع قواته وعدته ، ويأخذ للأمر اهبته (٤) ، ثـم اصطحب جيشـا جرارا اختلفت المصادر (٥) ف تقديره فقيـل ستمائة الف أو مائة الف أو سبعون الف او حتى أربعـون ألفا . ومـع ذلك فيبدو أنه كان ضخما ، اذ تشير الروايات أن رذريق نهض يجر أمم الأعاجم وملوكها وأملاكهـا وفرسـانها ، ومضى نحو كـورة شـذونة (٦) Sidonia للقـاء المسلمين الذين كانوا قد تغلبـوا على ما اعترضهم من مقـاومات اثنـاء زحفهم اليهـا (٧) ، ومـا ان ادركوا نهرا

---

(١) أنظـر . المقرى ، نفـح ، ١ ص ٢٢٥ ، ابن قتيبـة ، الامـامة والسـياسة ، ٢ ص ٥٩ ـ ٦٠ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٢ .

(٢) أنظر . المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٢ ، ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(٣) المقرى ، نفسـه ، ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، اخبار مجموعـة ، ص ٧ ، الحميرى ، نفسـه ، ص ٩ ، ابن الأثير ، نفسه ، ٤ ص ٢٣٠ .

(٤) أنظر . المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٤٧ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٩ .

(٥) أنظر . ابن عبـد الحكم ، نفسـه ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، ابن الكردبوس ، نفسـه ، ص ٤٧ ، ابن قتيبة ، نفسـه ، ٢ ص ٦٠ ، المقرى وابن حيـان ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ابن خلـدون ، العبر ، ٤ ص ١١٧ ، ابن عذارى عن الرازى ، البيـان ، ٢ ص ٧ ـ ٨ ، الطبرى ، تاريخ الأمم ، ٨ ص ٨٢ .

(٦) أنظـر . ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٠٦ . تقـع كورة شذونة شمال اقليم البحيرة ، ومن مدنها شذونة وقرمونة ، وحصـون كثيرة ، أنظر . الحميرى ، صـفة ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٣٧ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩٤ .

(٧) أنظر . ابن عذارى عن الرازى ، البيان ، ٢ ص ٨ ـ ٩ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٣ ، ابن عبد الحكم ، فتـوح ، ص ٢٠٦ .

يسمى البرباط ف وادى لكـة (١) حتى تلاقى الطـرفان ، واشـتعلت المعركة(٢)، يوم الأحد٢٨ من رمضان عام ٩٢هـ(٣)/١٩ يوليو ٧١١م،واستمرت

---

(١) اتفق المؤرخون على أن المعركة دارت بكـورة شذونة ، واختلفوا ف تحديد مكـان اللقاء ، قارن : ابن عبـد الحكم ، نفسـه ، ص ٢٠٦ ، ابن عذارى عن الرازى ، البيـان ، ٢ ص ٨ ، المقرى وابن حيـان ، نفح ، ١ ص ٢٤٢ ،ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٣ ، ابن الشباط ، وصـف الأندلس ، ص ١٠٦ ، ابن القـوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ص ٣٢ ، أخبار مجموعة ، ص ٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٧ . وعن مناقشـة تحديد مكانها بتفصـيل ، أنظر . أحمد مختار، نصان جديدان ، مجلة معهد الدراسـات الاسلامية بمدريد ، مجلد ١٣ ، ص ٣٢ ـ ٤٠ ، ويخلص أن التسميات المختلفة للمعركة ليست الا تسـميات للأماكن التى دارت عليهـا ، وتتشعبت عندها ف أراضى كورة شـذونة ، وانظر Sànchez Albornoz, Otra Vez de Guadalete y Covadonga, p 13 Sqq. ايضـا .

(٢) عن أحداثها بتفصـيل ، أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٧ ـ ٩ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ، Dozy, Histoire, 1pp 272-273 ; Saavedra, Invasion, p 68, Sqq. ; Lévi-Provençal, Histoire, 1p 19 Sqq.

(٣) أنظر . ابن عذارى عن الرازى ، البيان ، ٢ ص ٨ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٢ ، الحميرى ، صـفة ، ص ١٦٩ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، ابن الشـباط ، وصـف الأندلس ، ص ١٠٧ . وان كان ابن حيان برواية المقرى (نفح ، ١ ص ٢٣٣) يخالف هذا التحديد جاعلا اياه ف السابع من ربيـع الأول عام ٩٢ هـ ، فانه أبرز بنفسـه خطاه حينمـا أشـار ف صـفحة ٢٥٢ بنفس المكان ، أن موسى دخل اسبانيا ف رمضـان عام ٩٣ هـ . متفقا ف ذلك مع صـاحب أخبـار مجموعة (ص ١٥) وابن عذارى (البيان ، ٢ ص ١٢) وصـاحب الرسالة الشريفية (ص ٢٠٠) وابن الشباط (وصف الاندلس ، ص ١٠٣ ، ١١٧) . ولما كان مؤكدا ان طارق قـد سـبق موسى الى اسبانيا بسنة كاملة (ابن عبد الحكم ، فتـوح ، ص ٢١٠ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٦ ، المراكشى ، المعجب . ص ١١ ، المقرى ، نفسـه ، ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ١٢) فيكـون من المعقول أن اللقاء بين الجيشين ف أواخر رمضـان وأوائل شـوال عام ٩٢ هـ ، ويكـون ابن حيان قد ناقض نفسه .

ايام معدودات (١) ، وان اشتد فيها القتال حتى ظن المقاتلون من الجانبين انه الفناء (٢) ، ودارت الدائرة فيه على القوط ، فانهزموا هزيمة ساحقة ، وقتل منهم خلق كثير (٣) ، وافلت ملكهم رذريق (٤) فى حين فرت فلولهم الى الحصون والقلاع ، وتشتت بذلك شمل جيشهم ورعب السكان وتهاربوا

---

(١) قيل يوم واحد ، ويومان او ثلاثة ، وثمانية وهو الأرجح ، انظر ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ٨، ٩ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٣ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٦٩ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٧ ، الذى يجعل نهايتها يوم الاحد السابع من شوال ٩٢ هـ / ٢ تشرين الاول ، وتكون قد امتدت عشرة أيام بتقديره .

(٢) انظر . ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٧ ، ابن عبد الحكم ، نفسه ، ص ٢٠٨ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٢ .

(٣) يشير المؤرخون المسلمون أن عظامهم قد أقامت بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بارض المعركة ، وكان المسلمون يعرفون ملوكهم وكبارهم بخواتم الذهب التى يجدونها فى أصابعهم ، ويعرفون من دونهم بخواتم الفضة ، ويميزون العبيد بخواتم النحاس ، أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٣ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٦٩ – ١٧٠ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٣ .

(٤) اختلف فى مصيره ، فقيل قتل فى المعركة ، أنظر . ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ،٢ ص ٦٠ ، الحميرى ، نفسه ،ص ١٩٤ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٢٧ .

وراى آخرون انه غرق ، أنظر . ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ ، أما ابن الأبار ، الحلة ،٢ ص ٣٣٤ ، والمقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ، وابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٢ ، وصاحب أخبار مجموعة ، ص ٩ ، وابن عذارى عن الرازى ، البيان ، ٢ ص ٩ ، فيرون أنه غاب شخصه ولم يوجد حيا ولا ميتا . أما ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٧ ، وابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٨ ، وابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٧ ، فيرون أنه غرق أو قتل فيما بعد ، ويؤيد هذا القول أحمد مختار ، أنظر . نصان جديدان ، ص ٣٣ ، و Saavedra ، أنظر . Invasion, p 100 . فى حين حددت الروايات اللاتينية تاريخ وفاته بالثالث عشرمن نوفمبر عام ٧١٣ م / ٩٤ هـ ، مما يرجح أنه أفلت من معركة وادى لكة حيا ، Cron. Rotense, Op Cit., p 612 ; Chron. Léonaise, Op Cit., p 386 ; Cron-Profetica, Op Cit, p 625. ولمناقشة هذه الآراء ، أنظر . Danham, Op Cit., 1p 331 Sqq.

من السهول ولحقوا بالجبال يتحصنون بها(١) ، واضطربت شئون البلاد ، حتى انه – على حد تعبير مؤرخ اسلامى – لم تقف هزيمة القوط بعد ذلك على موضع ، وكانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا(٢) .

اما المسلمون فلم يتوقفوا كثيرا بعد هذا النصر ، كيلا يتيحوا للجيش القوطى فرصة للتجمع ، وأقبلوا على مدينة شذونة Sidonia وفتحوها عنوة(٣) ، ولم يجد امتناع اهلها عليهم شيئا ، وبعدها قصد المسلمون مدينتى المدور(٤) Almodavar وقرمونة(٥) Carmona ، يقتلون ويغنمون حتى قذف الله الرعب فى قلوب القوط ، الذين لم يلتفت أحد منهم الى شئ سوى الهرب والفرار(٦)، مما سهل على المسلمين ادراك مدينة اشبيلية Sevilla وصالحوا أهلها على دفع الجزية(٧) ، ثم نازلوا حامية مدينة استجة Ecija

---

(١) المقرى عن الرازى ، نفح ، ١ ص ٢٤٣ .

(٢) المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٢٧ .

(٣) المقرى عن الرازى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٣ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٧ . وعن مدينة شذونة ، أنظر . ابن الشباط ، نفس المكان والصفحة ، ياقوت ، معجم ، ٥ ص ٢٤٤ .

(٤) انظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٣ ، والمدور حصن حصين مشهور بالأندلس قرب قرطبة ، وعنها ، أنظر . ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٤١٧ ، ويحتمل أن تكون مورور حسبما يشير ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٩ .

(٥) أنظر . المقرى ، نفس المكان والصفحة ، ابن الشباط ، نفس المكان والصفحة . وقرمونة من اقليم شذونة الى الشرق من اشبيلية وغرب قرطبة ، وعنها ، أنظر . الحميرى ، صفة ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٣٧ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١١٠ ، ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٦٢ ،ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩٢ .

(٦) ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٠٩ .

(٧) ابن الشباط ، نفسه ، ص ١١٠ ، ١١٢ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٣ ، واشبيلية مدينة قديمة غرب قرطبة ، ولها أسوار حصينة ، وهى على ضفة الوادى الكبير الشرقية ، أنظر . ابن الشباط ، نفسه ، ص ١١٠ – ١١١ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٨ – ٢٢ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٤١ ، البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ١٠٧ – ١٠٨ ، ١٠٩ – ١١١ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ . وعن كورة اشبيلية ، أنظر . ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

وأقاموا على حصارها أشهرا ، لقوا فيها مقاومة عنيفة من سكانها وحاميتها ، الذين كانوا فى قوة ومنعة لحصانة المدينة ، ولاجتماع معظم فل الجيش القوطى معهم ، حتى كثر القتل والجراح بين المسلمين بصورة لم يصادفوها فيما بعد(١) ، وما أن ظفر طارق بصاحب المدينة حتى أجبره على الصلح وأداء الجزية(٢) .

عند ذلك أيقن سكان البلاد وقوطها أن المسلمين يبغون الاستيلاء على البلاد ، وكانوا يعتقدون أنهم يرغبون فى الغنيمة فقط ثم القفول من حيث أتوا ، فاسقط فى أيديهم واضطربوا ، وتهارب ذوو القوة منهم الى العاصمة طليطلة Toledo ، فى حين لجأ معظم الأهالى الى المعاقل تاركين وراءهم مدنهم قليلة الأهل (٣) ، وبذلك انفتح الطريق الى طليطلة أمام المسلمين الذين تكاثرت اعدادهم بمن وفد عليهم من افريقية بعد ما تسامعوا بانتصاراتهم(٤) ، فعمل طارق على تفريقهم من استجة Ecija فى بعوث جانبية ، بينما أعد هو عدته للسير الى العاصمة طليطلة(٥) .

---

(١) أنظر : المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٣ – ٢٤٤ ، أخبار مجموعة ، ص ٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ . واستجة مدينة قديمة احدى مدن اقليم الكنبانية وتقع على نهر شنيل ، الى الجنوب الغربى من قرطبة ، وبينهما عشر فراسخ ، أنظر : الحميرى ، صفة ، ص ١٤ – ١٥ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩٥ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٣٧ ، ٥٧٢ .

(٢) أنظر : المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٤ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١١٣ .

(٣) أنظر : المقرى ، أعلاه ، أخبار مجموعة ، ص ٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٨ – ٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٠ – ٢٣١ . وطليطلة من مشاهير مدن الأندلس ، وعنها ، أنظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١١٠ ، الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٤١ – ٤٢ ، اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٥٥ .

(٤) المقرى ، نفسه ، ص ٢٤٣ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٨ .

(٥) المقرى ، أعلاه ، ص ٢٤٤ ، أخبار مجموعة ، ص ١٠ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ٩ ، ابن الاثير ، نفسه ، ٤ ص ٢٣١ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١ ص ١٠٦ – ١٠٧ ، ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٤٨ ، الذى يشير أن عسكر المسلمين انتشروا فى الجزيرة يمينا وشمالا .

ارسل طارق مغيث الرومى (١) – مولى الوليد بن عبد الملك – على راس فرقة الى مدينة قرطبة (٢) Cordoba ، لكن عظماءها القوط فروا منها الى طليطلة قبل وصول مغيث اليها ، ولم يبق فيها الا أربعمائة فارس مع ضعفاء اهلها(٣) ، فسهل على مغيث فتحها واسر حاكمها الذى لم يؤسر من حكام الأندلس غيره ، اذ منهم من عقد لنفسه أمانا ومنهم من هرب الى أقصى شمال البلاد(٤) .

وفى ذات الوقت كان قد أمضى طارق بعثين آخرين الى جنوب شرق شبه الجزيرة ، أولهما الى مدينة مالقة(٥) Malaga ، وثانيهما الى

---

(١) عنه انظر : الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٤٦١ رقم ١٣٨٧ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٣٣٣ رقم ٨٣٤ وذكره باسم معتب مثل ابن عبد الحكم (فتوح ، ص ٢٠٧) . وسيلمع أحفاد مغيث هذا فى ميدان السياسة والقيادة والحرب فى فترة الدولة الاموية ، أى منذ عام ١٣٨ هـ فصاعدا ، انظر : الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٢) انظر : ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١ ص ١٠٧ ، وان كان ابن الشباط يشير ان طارقا هو الذى تقدم الى قرطبة ، انظر : وصف الأندلس ، ص ١١٣ ، وانظر ايضا : المقرى عن الرازى ، نفح ، ١ ص ٢٤٤ . وعن مناقشة ذلك بتفصيل ، انظر Sànchez Albornoz, Origenes, 1pp 425-426. الذى لا يوافق على رأيى ابن الشباط والرازى . وعن فتح قرطبة بتفصيل ، انظر : ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٩ – ١٠ ، المقرى ، نفسه، ١ ص ٢٤٤ – ٢٤٧ ، أخبار مجموعة ، ص ١٠ – ١٤ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٣) أنظر : المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٤ – ٢٤٥ ، أخبار مجموعة ، ص ١٠ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ١٠ . وبين قرطبة وطليطلة عشرون ليلة ، أنظر : الهمذانى ، كتاب البلدان ، ص ٨٢ ، ويجعلها الاصطخرى (مسالك الممالك ، ص ٤٦) والمقدسى (أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٧) تسعة أيام .

(٤) أنظر : المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٦ ، أخبار مجموعة ، ص ١٤ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ١٠ .

(٥) أنظر : المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ١١ ، ابن الاثير ، نفسه ، ٤ ص ٢٣١ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١ ص ١٠٧ . وعن المدينة ، أنظر : الادريسى ، نزهة ، ص ٥٣٧ ، ٥٧٠ – ٥٧١ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ١٤٥ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٧٧ – ١٧٩ ، ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٣٦٧ ، ويجعل المقدسى مسافة ما بينها وبين استجة سبعة ايام ، انظر : احسن التقاسيم ، ص ٢٤٨ .

البيرة(١) Elvira وتدمير(٢) Tudmir . ويفهم من روايات بعض مؤرخي المسلمين(٣) أن البعثين قد نجحا فى فتح هذه المدن آنذاك ، الا ان الراجح أن فتحها لم يتم الا فيما بعد على يد عبد العزيز بن موسى (٤) ، وان البعثين كانا للاستطلاع فقط(٥) .

أما طارق فكان قد اتجه بمعظم جيشه نحو مدينة طليطلة(٦) Toledo التى احتشد فيها الهاربون من النبلاء القوط ـ حكام المدن التى استولى عليها المسلمون ـ ليتدبروا هناك أمرهم ، على أنهم ما أن وصلوها حتى استبان لهم ضآلة قوتهم وعدتهم اذا ما قيست بما عليه المسلمون من قوة كانوا قد عاينوها بأنفسهم وخبروها . هذا فضلا عن أن أنباء تساقط المدن الواحدة تلو الأخرى فى أيدى المسلمين ، وما تنوقل على الألسن أنهم من

---

(١) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ١٠ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ . والبيرة قد يطلق عليها أيضا بلبيرة أو لبيرة ، وهى كورة كبيرة جنوب شرق قرطبة وبينهما تسعون ميلا ، قارن : الحميرى ، صفة ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٢٣٧ ، ياقوت ، معجم ، ١ ص ٣٢٢ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٢) عن فتحها بتفصيل ، أنظر . المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، أخبار مجموعة ، ص ١٢ ـ ١٣ . وكانت تدمير تسمى قبلا أوريولة ثم عرفت بمرسية ، قارن : الحميرى ، نفسه ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ، ١٥١ ـ ١٥٢ ، ١٨١ ـ ١٨٣ ، ياقوت ، معجم ، ١ ص ٣٧٣ ، ٨ص ٢٤ ـ ٢٥ ، ابن غالب ،نفسه ، ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، الادريسى ، نزهة ، ١٧٧ ـ ١٧٨ ، (طبعة ١٥٩٢) .

(٣) أنظر . ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٩ ـ ١١ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧ ، أخبار مجموعة ، ص ١٠ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ .

(٤) أنظر . ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١ ص ١٠٧ .

(٥) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٧٧ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ص ٨٣ . Sànchez Albornoz, Itinerario, pp 34-35.

(٦) أنظر . ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٤ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥ ، أخبار مجموعة ، ص ١٤ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ١ ص ١٠٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٨ .

أكلة لحوم البشر(١) ، قد زاد فى ارتباك هؤلاء النبلاء القوط ، وأيقنوا أنهم ليسوا أقوياء ليواجهوا ضغطا قويا كضغط المسلمين ، الذين كانوا جادين فى السير نحو طليطلة ، فاسقط فى أيديهم وأدركوا ألا أمل لهم فى دفاع أو مقاومة وبدات فكرة الهرب الى مكان آخر آمن تراودهم ، فتسارعوا قبل أن تدركهم القوات الاسلامية الى مدينة خلف الجبل(٢) ، ومنها اتخذوا طريقهم الى استوريس Asturias (٣) بالشمال ، بحيث أنه عندما وصل المسلمون الى طليطلة كانت خالية فدخلوها دون مقاومة تذكر(٤) ، وتركوا بعض

---

(١) كان قد عمد طارق الى خدعة لارهاب الاسبان ، فتشير المصادر الى أنه عندما نزل بالجزيرة الخضراء وجد بها كرامين ولم يكن بها غيرهم فأخذهم ثم عمد الى رجل منهم فذبحه وطبخه ومن بقى من أصحابه ينظرون ، ولم يشكوا حينئذ أن المسلمين يأكلون لحوم البشر ، فلما انطلقوا أخبروا أهل الأندلس أن المسلمين يأكلون لحوم الناس وقصوا عليهم قصة الكرام ، أنظر . ابن عبد الحكم ، فتوح ص ٢٠٦ . أما ابن الكردبوس (الاكتفاء ، ص ٤٧ ـ ٤٨) فيورد القصة فى شئ من الاختلاف وان حافظ على المغزى ، قائلا ان رذريق أرسل جاسوسا ليعاين صفات المسلمين وهيأتهم ، وتمكن الجاسوس من الدخول فى معسكر المسلمين فلما أحس به طارق أمر ببعض القتلى أن تقطع لحومهم وتطبخ ، ولم يشك حينذاك رسول رذريق أنهم يأكلونها ، فلما جن الليل أمر طارق بهرق تلك اللحوم ودفنها ، وذبح بقرا وغنما وجعل لحومها فى القدور ، فلما أصبح الناس ونودى فيهم بالاجتماع الى الطعام أكلوا ورسول رذريق يأكل معهم ، فلما فرغوا انصرف رسول رذريق وقال له أتتك أمة تأكل لحوم الموتى من بنى آدم . وانظر ايضا . ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٤ .

(٢) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ .

(٣) Chron. Sebastiani, Op Cit., 13 pp 478-479 ; Cron. Alfonso III, Op. Cit., p 62.

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٤ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٨ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ١ ص ١٦١ ، وان كان يفهم من روايات الطبرى (تاريخ الامم ، ٨ ص ٩٠) ، وابن عبد الحكم (نفسه ، ص ٢٠٨) ، وابن الشباط (وصف الاندلس ، ص ١٠٢) ، أن فتحها لم يتم الا بعد ما دخل موسى اسبانيا عام ٩٣ هـ ، وأنه أمر طارق بالتوجه اليها ففتحها .

جندهم مع يهود المدينة لحراستها ، ثم انطلقوا وراء الفارين يتتبعونهم ، فسلكوا وراءهم الى مدينة وادى الحجارة(١) Guadalajara ، حتى ادركوا مدينة المائدة ففتحوها(٢) ، وهى المدينة التى وجد فيها طارق المائدة المعروفة عند مؤرخى العرب بمائدة سليمان ، التى كانت مذبحا لكنيسة طليطلة(٣) .

وهنا اختلف مؤرخو المسلمين فيما بينهم فيما اذا كان طارق قد عاد مباشرة من مدينة المائدة الى طليطلة(٤) Toledo ، أم أنه لم يرجع الا بعد ما بلغ مدينة أماية(٥) Amaya بكنتبرية فى شمال شبه الجزيرة ، ام أنه تقدم حتى وصل الى مدينة أستورقة Asturica Augusta باشتوريس ففتحها،واستقر بها حتى وافاه موسى فيها فيما بعد(٦)، او انه عاد

---

(١) تقع فى اقليم الشارات وبينها وبين قرطبة خمسة وستون ميلا ، وهى من مشاهير المدن القديمة أنظر . الحميرى ، صفة ، ص ١٩٣ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٥٣ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، القسم الاول ، ص ١١٠ .

(٢) أنظر . ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٨ ، الحميرى وغيره ، صفة ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٧٩ ، أخبار مجموعة ، ص ١٤ ،ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ ، الرسالة الشريفية ، ص ١٩٧ ، وقد أجمل ابن الكردبوس (الاكتفاء ص ٤٨) ذلك قائلا : ومضى طارق على وجهه الى طليطلة فافتتحها وما وراءها . ويعتقد البعض أن هذه المدينة تقع على مقربة من قلعة هنارس Alcala de Henares ، أو أنها هى نفسها ، وهى التى يسميها ابن عبد الحكم بقلعة فراس (أنظر . فتوح ، ص ٢٠٧) ، وعن المدينة ، أنظر . الحميرى، صفة ، ص ١٧٩ .

(٣) عن وصفها ، أنظر . الحميرى ، نفسه ، ص ١٣١ وما بعدها .

(٤) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ س ٩ ، الرسالة الشريفية ، ص ١٩٨ .

(٥) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، المقرى عن ابن حيان ، نفسه ، ١ ص ٢٤٨ س ٩ ـ ١٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ .

(٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٣ س ٢٠ .

منها الى طليطلة (١) ، او الى قرطبة(٢) ، حتى جاز موسى الى ايبيريا فى عام ٩٣ هـ / ٧١٢ م فوجده بها(٣) .

وقد استبعد بعض المؤرخين المحدثين أن يكون طارق قد وصل آنذاك الى أماية بكنتبرية او الى استورقة باشتوريس ، اذ يرون أن الجهد قد نال من جنده وبخاصة أنهم كانوا مثقلين بالغنائم ، فى الوقت الذى كان على طارق ان يقضى الشتاء فى طليطلة ، حيث كان قد أقبل الخريف ببرده(٤) . ونضيف ان طارق ما كان يسترسل فى السير خلف مدينة المائدة فى الوقت الذى كان يعلم فيه أنه قد خلف وراءه الملك القوطى رذريق ، الذى لم يكن يقنع بما حاق به من هزائم ، دون أن يعمل على الانتقام واسترجاع عاصمته طليطلة ، وكان طارق يقدر أن ابتعاده عنها يعنى تسهيل هذه المهمة . ثم ان هدف طارق وقتذاك لم يكن تتبع الفارين بعد أن حصروا أنفسهم فى أشتوريس بالشمال ، بقدر ما كان يكمن فى ضرورة تصفية مراكز المقاومة فى مناطق البلدان التى فتحها ، او التى لم يكن قد اتم فتحها فى منطقة غرب الأندلس الوعرة ، وكانت اقامته فى طليطلة وليس فى قرطبة أمرا ضروريا لتحقيق هذا الهدف عن طريق معاونته لموسى بن نصير ـ عندما يعبر الى ايبيريا ـ فى حصر هذه المقاومة وتشتيت جهدها ، واضعاف قواها ، فضلا عن استمرار حجزه للفارين الى أشتوريس دون تمكينهم من العودة الى تهديد العاصمة طليطلة ، ولذلك لم يسارع طارق للقاء موسى الا بعد ما كان قد قضى الأخير على معظم المقاومة القوطية بغرب البلاد ، واقترب من العاصمة طليطلة . ومن ثم نعتقد أن الأمر قد اختلط على بعض المؤرخين المسلمين ، حينما

---

(١) المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٨ س ١٠ ـ ١١ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٣٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ ، الرسالة الشريفية ، ص ١٩٨ ، أما عنان (دولة الاسلام ، ص ٥١) فيذهب أبعد من ذلك ويقرر ان طارق قد استرسل فى التقدم حتى أشرف على مدينة خيخون على خليج كنتبرية .

(٢) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٩ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ س ١٠ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ .

(٤) أنظر . Saavedra, Invasion, pp 80-81 ، مؤنس ، فجر ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٨٤ ، وأنظر مناقشة Sànchez Albornoz لمدى ما وصل اليه طارق فى مقاله Itinerario, p 37 Sqq.

جعلوا تقدم طارق الى مدينتى أماية وأستورقة بعد استيلائه على مدينة المائدة مباشرة(١) ، ونرجح أن تقدمه اليهما لم يتم الا فيما بعد عبور موسى الى ايبيريا ، حيث تعاونا سويا فى فتح منطقة الشمال الايبيرى ، وأن تقدم طارق خلف مدينة طليطلة ، الذى وصل فيه حتى الحافة الجنوبية لجبال كنتبرية ، كان فقط اختبارا لحالة شمال ايبيريا تمهيدا لفتحه .

عبر موسى بن نصير الى شبه الجزيرة الايبيرية، فى جيش كبير من المسلمين، فى رمضان عام ٩٣ هـ (٢) / يونيو ٧١٢ م ، وبقى بمدينة الجزيرة الخضراء(٣) Algeciras أياما للتشاور مع أصحابه فى كيفية الدخول والتقدم فى البلاد ، فاجمعوا على السير الى اشبيلية Sevilla ، وغزو ما بقى من مدن غرب الأندلس حتى أقصاه(٤) . وبالفعل تقدموا اليها ، وانشغلوا وقتا – وهم فى طريقهم – فى اخضاع(٥) مدينتى شذونة Sidonia وقرمونة

---

(١) أنظر · المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٤٨ ، ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٥ ، أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ .

(٢) أنظر · الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٠ ، المقرى عن ابن حيان وغيره ، نفح ، ١ ص ٢٥٢ ، أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ ، ١٣ ، ابن الشباط عن مختصر تاريخ الطبرى ، وصف الأندلس ، ص ١١٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ . واذا كان البعض قد أشار أنه نهض من افريقية اليها فى رجب من عام ٩٣ هـ ، فيكون دخوله اليها فى رمضان أمرا معقولا ، أنظر · ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٩ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٤ ، المراكشى ، المعجب ، ص ١١ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٥ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٣ · وقد أكد البعض أن دخوله اسبانيا كان بعد عام من دخول طارق اليها ، أنظر · ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٣١ .

(٣) أنظر · المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٢ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٣ ، أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ .

(٤) الرسالة الشريفية عن الرازى ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٥) بتفصيل ، أنظر · المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٢ ، أخبار مجموعة ، ص ١٥ – ١٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ ، ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٥ .

Carmona ، وكان قد فتحهما طارق من قبل ، ثم خرجتا عن طاعته ، وما أن تم لموسى فتحهما حتى واصل زحفه نحو اشبيلية فادركها ، وأمضى أشهرا فى حصارها حتى سقطت ، وهربت حاميتها الى مدينة باجة(١) Beja المجاورة .

ثم واصل المسلمون تقدمهم حتى مدينة ماردة(٢) Augusta Emerita (Mérida) وكان قد احتشد فيها بقايا القوط وانصار الملك رذريق ، لمناعتها وحصانتها ووعورة المسالك اليها ، فتصدوا للمسلمين وقاتلوهم قتالا شديدا ، وابدوا فى الدفاع عنها مقاومة عنيفة(٣) شغلت المسلمين بحصارهم أشهرا عديدة ، وشجعت فلول القوط الملتجئة فى مدينتى لبله(٤) (Ilipla) Niebla وباجة Beja على انتهاز الفرصة لمحاولة قطع الطريق على القوات الاسلامية ، فتقدمت حتى دخلت اشبيلية Sevilla ثانية وشددت من ازرها ، وانقضوا سويا على الحامية الاسلامية ، التى كان قد خلفها موسى بها ، وقتلوا معظمها فى حين فر

---

(١) أنظر · المقرى ، نفس الصفحة والمكان ، ابن عذارى ، نفسه ، ص ١٤ ، أخبار مجموعة ، ص ١٦ ، ابن الأثير ، نفس الصفحة والمكان · وباجة من أقدم مدائن الأندلس ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، ولها معاقل وحصون منيعة حصينة ، أنظر · ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١١٨ ، الحميرى ، صفة ، ص ٣٦ – ٣٧ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩٠ · وقد جعلها اليعقوبى الى الغرب من مدينة لبلة ، أنظر · البلدان ، ص ٣٥٤ ·

(٢) أنظر · ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٥ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٢ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١١٨ · ومارده شمال غرب قرطبة لها سور حصين ، أنظر · الحميرى ، نفسه ، ص ١٧٥ – ١٧٧ ، الادريسى ، نزهة ، ص ٥٤٥ – ٥٤٦ ، ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٣٦٠ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١١٩ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩٠ ، الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٤٣ ، اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٥٤ .

(٣) أنظر · المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٢ – ٢٥٣ ، أخبار مجموعة ، ص ١٦ – ١٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٤ – ١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ .

(٤) مدينة قديمة فى غرب الأندلس ولها سور منيع ، ومنها الى المحيط الأطلسى ستة أميال ، وتعرف بالحمراء ، أنظر · الحميرى ، صفة ، ص ١٦٨ – ١٦٩ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٩١ – ٢٩٢ ، العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١٠ – ١١١ .

الباقون الى موسى (١) ، الذى ما ان صالح أهل ماردة على أن تكون أموال
كنائسهم وقتلاهم والهاربين الى ولاية جليقية ملكا للمسلمين ، ودخل المدينة
يوم عيد الفطر عام ٩٤ هـ(٢) / ٣٠ يونيو ٧١٣ م ، حتى بادر بارسال ابنه
عبد العزيز لاخماد ما كان قد أطل باشبيلية من مقاومة (٣) وبخاصة انه
كان قد فرغ من فتح تدمير بجنوب شرقى شبه الجزيرة ، وهو ما يدل عليه
تاريخ عقد الأمان الذى منحه لأهلها(٤) .

نجح عبد العزيز فى فتح اشبيلية ثانية ، وقبض على الثوار والمتمردين
وقتلهم ، ثم عاد الى أبيه(٥) وقيل انه تقدم حتى لبلة(٦) ، أو باجة(٧)
فدخلهما ، وأنهى كل أثر للمقاومة هناك ، واحتاط للأمر فترك بهما
حاميات عسكرية لتأمينهما فيما لو عاد القوط الى تدبير آخر ، فاستقامت أمور
هذه النواحى الغربية واستقرت ، وعاد عبد العزيز الى اشبيلية(٨) ، حيث
يعتقد المؤرخ الاسبانى سابدرا Saavedra (٩) أن موسى تركه بها
ليقضى على ما قد يظهر من مقاومة فى منطقة غرب ايبيريا .

---

(١) أنظر . المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٣ ، أخبار مجموعة ، ص ١٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٥ .

(٢) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ١٧ ، ١٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٥ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٢٠ ، ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٥ ، وان جعله Casiri عام ٩٣ هـ ، أنظر . Bibliotheca, 2 p 322

(٣) Saavedra, Invasion, p 97, The Camb. Med. Hist., 2 p 186.

(٤) بتاريخ ٤ رجب عام ٩٤ هـ ، وعن نصه ، أنظر . العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ٤ - ٥ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٢٥٩ ، الحميرى ، صفة ، ص ٦٢ - ٦٣ ، Casiri, Op. Cit., 1pp 105-106

(٥) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ١٨ .

(٦) أنظر . المقرى ، نفس الصفحة والمكان ، ابن عذارى ، نفس الصفحة والمكان .

(٧) أنظر . ابن الاثير ، نفس الصفحة والمكان .

(٨) أنظر . ابن عذارى ، نفس الصفحة والمكان ، ابن الأثير ، نفس الصفحة والمكان .

(٩) Invasion, pp 126-127.

ولعل انقضاء عام كامل حتى تلك اللحظة ، على موسى وقواته بالجنوب
الايبيرى،يدلنا على عظم المقاومةالقوطية التىصادفتهم،وعلى الجهد الكبير الذى
بذلوه للتغلب عليها ، الأمر الذى حدا بموسى أن يريح جنده بمدينة ماردة
شهرا كاملا بعد دخولها ، استعدادا لمتابعة السير ، وتطهير الجزء
الشمالى من غرب شبه الجزيرة من بقايا القوط التى أخذت فلولها - وعلى
راسها هذه المرة الملك القوطى رذريق وبقايا جيشه المنهزم - تفد الى
المنطقة التى تلى وادى آنة من الشمال ، حيث تحصنت بشعاب الهضبة
وجبالها ، وأقامت هناك اما لاعتقادها أن جيوش المسلمين لن تصل اليها
فى هذه المنطقة الجبلية الوعرة ، واما انتظارا للوثوب عليها وعرقلة تقدمها ، أو
استعدادا للهرب الى أشتوريس بشمال البلاد للحاق بزملائهم ، اذا ما فشلت
خطتها دون أن تنال من المسلمين .

ويغلب على الظن أن موسى قد عرف أمر هذا التجمع القوطى الذىيعترض
مسيرته الى طليطلة ، فاقدم حينذاك على استدعاء طارق منها ليقابله
فى الطريق ، ويعاونه فى مواجهة هذا التجمع القوطى والقضاء عليه ، فاستجاب
طارق للنداء ، اذ خرج اليه وقابلهفىموضعبكورة طلبيرة على مقربةمن طليطلة(١)
ولما كان موسى يتوقع مهاجمة القوط له فى أى موضع بالطريق
منذ أن غادر ماردة عقب شوال عام ٩٤ هـ (٢) / يوليو ٧١٣ م ، فيبدو

---

(١) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٦ ، الرسالة الشريفية،ص ١٩٩ . واذا كان ابن الأثير (الكامل ، ٤ ص ٢٣١ - ٢٣٢)وابن الشباط (وصف الاندلس ، ص ١٢١) يذكران أن اللقاء كان قبل وصول موسى الى طليطلة دون تحديد الموضع ، فان صاحب أخبار مجموعة (ص ١٨) قد حدده بمكان باد.. Sic . أما ابن عبد الحكم (فتوح ، ص ٢٠٧) وابن الكردبوس (الاكتفاء ، ص ٤٩ - ٥٠) فيشيران الى أنه لما كان موسى لم يدخل قرطبة فى طريق سيره ، فلا نميل الى روايتهما . أما ابن حيان برواية المقرى (نفح ، ١ ص ٢٥٣) فيشير أنه يقال أنهماتلاقيا بعد ما تقدم موسى من ماردة الى جليقية مباشرة دون أن يعرج موسى الى طليطلة . وهو ما رواه أيضا ابن القوطية (تاريخ ، ص ٣٥) . وعن طلبيرة أنظر . ياقوت ، معجم ، ٦ ص ٥٣ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٣ ، أخبار مجموعة ، ص ١٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣١ .

انه أبطا السير حتى لا يرهق جنده ، وتأهب لمنازلة الخصم بأن استعرض جنده فى موضع أسمته احدى الروايات الاسلامية بالمعرض(١) . وقد حدث ما كان يتوقعه موسى ، اذ انتهز القوط تقدمه فى منطقة وعرة ، أمام بلدة سيجويلا Segoyuela بمنطقة الغرب الايبيرى التى يسميها أحد المؤرخين المسلمين بالسواقى (٢) ، وانقضوا على قوات اعتقادا منهم أن الفرصة قد واتتهم للانتقام والثأر ، فاشتعلت المعركة المفاصلة الثانية بين الفريقين فى سبتمبر ٧١٣ م / ذى الحجة ٩٤ هـ ، وانهزم فيها القوط شر هزيمة ، وأصيب فيها رذريق فحمله أتباعه الى مدينة بيزيو Viseo حيث لقى حتفه – ربما متأثرا بجراحه – فى ١٣ من نوفمبر عام ٧١٣ م(٣) / ١٩ صفر ٩٥ هـ . وفتح المسلمون بذلك غرب ايبيريا(٤) بعد ما تشتتت فلول الجيش القوطى فى النواحى ، وبادرت – حسبما خططت لنفسها من قبل – بالتهارب الى أشتوريس بشمال البلاد ، اذ كانت حتى ذلك الوقت الملجا الباقى الوحيد لها ، فأنتقضت المقاومة القوطية التى كان يقودها الجيش النظامى وأعضاء الحرس الملكى القوطى الذين أسقط فى أيديهم بمصرع ملكهم .

بعد هذا الانتصار تابعت القوات الاسلامية مسيرتها دون عناء الى أن أدركت مدينة طليطلة (٥) ، فأمضت بها عيد الأضحى من عام ٩٤ هـ /

---

(١) الرسالة الشريفية ، ص ١٩٩ .

(٢) ابن الشباط . وصف الأندلس ، ص ١٠٧ .

(٣) Cron. Rotense, Op Cit., p 612 ; Chron. Léonaise, Op Cit., Cron. Sebastiani, p 386 ; Cron. Alfonso III, Op Cit., pp 16,107 ; Cron. Op Cit., p 478. وتشير هذه الروايات أنه قد عثر على نقش بمدينة Viseo يشير الى دفنه بها ، ونصه : « Hic Requiescit Rudericus Ultimus Rex Gothorum. »

(٤) الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٤ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٩ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٦١ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٥٠ .

سبتمبر ٧١٣ م (١) ، حتى نالت قسطا من الراحة ، فى الوقت الذى أعد فيه موسى خطته لفتح الشمال الايبيرى .

نهض موسى فى ربيع عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م الى حوض نهر ابرو (ابرة) Ebro بشمال شرقى البلاد . ويفهم من رواية ابن حيان – التى يوردها المقرى – ان القوات الاسلامية لم تتجه اليها دفعة واحدة ، او تحت قيادة مشتركة او موحدة لطارق أو لموسى ، وانما سبق طارق موسى اليها فى اصحابه ، فى حين سار موسى خلفه فى جيوشه(٢) ، فارتقى الى الثغر الأعلى – حوض ابرة – وفتح عاصمته وهى مدينة سرقسطة Caesar Augusta (Saragossa) وما يقع فى اعمالها من حصون ومعاقل (٣) ، ثم واصل مسيرته شطر الغرب لافتتاح شمال وشمال غرب شبه الجزيرة ، اى ولاية جليقية بمفهومها اللاتينى الشاملة لاقليم أشتوريس .

---

(١) الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٠ . وان كان ابن الشباط (وصف الأندلس ، ص ١٢٢) يشير الى ان موسى قد عاد فضحى بقرطبة ، الا أنه لم يفته أن يقول أنه قد ضحى بطليطلة طبقا لبعض الآراء ، ثم يعود (ص ١٢٣) فيذكر انه بعد ما افتتح موسى سرقسطة عاد الى قرطبة ليضحى بها ، كما يشير صاحب الرسالة الشريفية عن الرازى عن عبد الملك بن حبيب (ص ٢٠٩) ان موسى ضحى بقرطبة ذلك العام . وأمام ضيق وقته بالصورة التى لا تجعله يبتعد عن طليطلة فى الوقت الذى كان يدبر فيه أمر فتح الشمال الايبيرى فانا لا نميل الى الاعتقاد بانه ضحى بقرطبة .

(٢) انظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٥ ، وانظر ايضا . ابن الشباط، وصف الأندلس ، ص ١٢٢ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٠ ، وان كان يفهم من رواية ابن القوطية (تاريخ ، ص ٣٥) ان موسى لم يذهب الى طليطلة او الى سرقسطة ، وانما اتجه مباشرة من مدينة ماردة الى جليقية حيث وافى طارقا بمدينة استورقة . الا ان هذه الرواية متاخرة ، ولا تؤيدها الروايات الأقدم ، ولا نستبعد ان تكون لأحداث تالية ، خاصة وان المؤلف يضغط الأحداث التى يرويها .

(٣) انظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٥ ، اخبار مجموعة ، ص ١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٦ ، وفى ذلك يقول عبدالملك بن حبيب (ص ٢٣٦) أن موسى خرج من طليطلة فى الجموع غازيا يفتتح المدائن . ومدينة سرقسطة من اعظم مدائن الثغر الأعلى ، وتسمى أيضا المدينة البيضاء ، انظر . الحميرى ، صفة ، ص ٩٦ – ٩٨ ، ابن غالب ، تعليق منتقى ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

ومن أسف ، فلا تزودنا الروايات اللاتينيـــة بأخبــار فتـح المسلمين لشـمال وشـمال غرب شبه الجزيرة الايبيرية بمـا فيه أشـتوريس ، مثلما قصرت فى أخبار فتح ايبيريا كلهـا ، ويبـدو أن مؤلفيهـا قد تحاشـوا ذلك وتعمـدوه · ومن ناحية أخرى فكـان من المأمول أن تغطى الروايات الاسلامية هذا النقص فتستوفيه وتفصله ، الا أنها قد أجملت هى الأخرى الحديث عن فتح الشـمال والشـمال الغربى الايبيرى بصـورة تبدو ملفتة للنظر اذا ما قورن بمـا قدمته من معلومات تكاد تكون واضحة عن فتح الأقاليم الأخرى فى شبه الجزيرة الايبيرية .

ولعل اجمال الروايات الاسلاميةلأخبار فتحهذه المنطقةبصورة لاتساعدنا على تتبع مراحله وخطواته فى شىء من التفصيل انما يرجع الى كون الجيوش الاسلامية لم تقابل فيهـا مواجهات جدية أو مقـاومات ذات شـأن يذكر ـ اذا قارناها بالمقـاومات السـابقة ـ سـواء من جانب القـوط الفـارين هناك أو حتى من جانب السـكان ـ وهـذا يبدو مما ذكره بعض المؤرخين المسلمين الأوائل فى وصـفهم لكيفية تقـدم المسلمين هنـاك ، بعـد ما جاوزوا مدينة سرقسـطة Saragossa ، قائلين : « فمـا كان موسى وطارق يمران بموضع الا فتح عليهما ، وغنمهما الله مابه ، والقى الرعب فى قلوب السـكان ، فلم يعارضـهما احد الا بطلب صلح(١) » · وهو ما دفع بعض المحدثين الى القول ايضــا بأن تقـدم المسـلمين فى منطقـــة شـــمال ايبـــريا قد تم دون صعوبات(٢) ، أو أنه كان أشبه بنزهة عسكرية « El Avance de Muza Fué Casi Un Paseo Militar ».(٣)

وفى الواقع فاننا اذا دققنا النظر فى كيفيـة تقـدم المسـلمين بشبه جزيرة ايبيريا منذ أن حلوا بساحلها فى الخامس من رجب عام ٩٢ هـ ، تتضح

---

(١) أنظر · المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٥ ، ابن الشـباط ، وصـف الأندلس ، ص ١٢٢ ، اذ يقول ان طارقا ما كان يمر بموضع الا غنمه .

(٢) Dozy, Histoire, 1p 275.

(٣) Sànches Albornoz, Origenes, 1p 188. ، وأنظر تعليق أحمد مختار على كتاب الاكتفاء لابن الكردبوس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ١٣ ص ٤٩ .

انهم لم يواجهوا مقـاومة تذكر من جانب السـكان الأصـليين ، الذين كانت أحوالهم الاجتمـاعية والاقتصـادية فى ظل القـوط سـيئة ، وما كان لديهم ما يدفعهم للتمسك أو الدفاع عن نظامهم ، ولذا لم يجـدوا ضرورة قـوية لمقاومة المسـلمين ومدافعتهم ، بل ربمـا لم ينظروا اليهم كغـازين مثـل الرومان اللاتين أو القـوط الجرمـان ، وانما منقذين ومخلصين لهم من وطأة هؤلاء الأخيرين · حقيقة كان ذلك يعنى فى الظاهر انتقال السكان من خضـوع لسطوة قوطية الى انضـواء تحت حكـم اسـلامى ، الا أنهـم ما كانوا سيخسرون فى هذا التبديل شيئا بقـدر ما كانوا سيحققون أملا لديهم يكمن فى الفكاك من القـوط ، وفى تحسين أوضـاعهم ، وبخاصة أنهم بحكم قربهم من الشـمال الافريقى ، كانوا قد سمعوا باخلاق المسـلمين وتسامحهم وحسن معاملتهم لرعاياهم · وبعـد ما حل المسـلمون محـــل القـوط فى المدائن الايبيرية ثم وقفوا على أبواب الشـــمال الايبيرى لفتحه ، كان قد مضى من الوقت ما هو كاف ليتأكد سكان ايبـيريا من وفاء المسلمين بعهـودهم التى ابرموها والتزموا بهـا ، فى نفس الوقت الذى استبان فيـه لهؤلاء السكان ايضا انهيار النظـام القـــوطى من أسـاســه ، وتحطيـم جيشــه ، وعجزه عن الدفاع عن البلاد وحمايتها،وما عاينوه بأنفسهم منارتباك واضطراب القوط الذين آووا اليهـم ، وما سـمعوه عن اندفاع المسـلمين ومقـدرتهم على سـحق ما يعترضهم من مقاومة ، الامر الذى لم يجد فيـه سـكان الشمال الايبيرى جدوى لمقـاومة يبدونها ، فسـارعوا الى اعلان خضوعهم للمسلمين وهو ما عبر عنــه أحد المؤرخين المسلمين الأوائل ، قائلا : « انه لمـا هـزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد الا أذعنوا الى الصلح »(١) .

أما القــوط الذين لاذوا بالهرب بين سكان أشتوريس اللاتين فى الشمال، فقد كانوا طائفتين : الأولى ، التى التجأت اليهم فى الفترة بين هزيمة وادى لكة ووصول المسلمين الى طليطلة خلال عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، وكانوا من حكام وحاميات مدن ايبيريا ، الذينكانوا كمـا أوضحنا آنفا،يتسارعون الى اخلائها فارين عنها بمجرد أن كانوا يتسامعون بأنباء تقدم المسلمين نحوهم ، دون أن تتوفر لديهم الجرأة علىمواجهتهمعسكريا ،مثلما حدث منعظماءقرطبةوسكانها القوط ، الذين تهاربوا الى العاصـمة طليطلة ، حتى أنه لم يبق بقرطبـة

---

(١) أنظر · الرسالة الشريفيـة عن محمـد بن موسى الرازى ، ص ٢٠٦ .

الا اربعمائة فارس مع ضعفاء اهلها ، أما العاصمة طليطلة فقد أخلاها من الأخرى كل نبلائها وأرستقراطييها فضلا عن أفراد حاميتها القوط وذلك قبل ان يدركها المسلمون ، وكان ان اتخذ قوط مدينة اشبيلية وحاميتها نفس الموقف حينما فتحها موسى ، وكذلك قوط مدينتى ماردة وسرقسطة وغيرهما، ومن ثم فهل كان يتوقع من افراد هذه الطائفة – وهم على هذه الشاكلة – ان يتمسكوا بمقاومة المسلمين حين فتحهم لأشتوريس او لمنطقة الشمال الايبيرى ، فى الوقت الذى تساقطت فيه معظم مدن شبه الجزيرة بما فيها العاصمة ، وانفض الجيش القوطى ، وقضى على أكثريته ، وأخذت فلوله الباقية تتوافد على هذه الارستقراطية مذعورة من جراء ما حل بها واصابها .

أما الطائفة الثانية من هؤلاء القوط، فهى التى التجأت الى اشتوريس بعد هزيمة معركة السواقى فى عام ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، وتكونت من فلول الجيش وأعضاء الحرس الملكى ، ولما كان أفراد هذا الفريق ، هم الذين قادوا المقاومة ضد المسلمين منذ الساعات الأولى لنزولهم ايبيريا ، فانا لا نتوقع انتهاء مقاومتهم الا بعد ما سقطت عاصمتهم ، وانهزم جيشهم وتشتت، ولم تعد هناك امكانية لجمعه من جديد تحت قيادة واحدة بعد مصرع مليكهم . ثم أن هذا الفريق كان قد خبر – أكثر من غيره من القوط – جسارة المسلمين ، وجرب أكثر من مرة نتائج التصدى لهم ، سواء فى معركة وادى لكة (٩٢ هـ / ٧١١ م) ، أو عندما حاولت بعض فلولهم استرداد اشبيلية وقطع الطريق على المسلمين (منتصف ٩٤ هـ / ٧١٣ م) ، ثم فى معركة السواقى (أواخر ٩٤ هـ / ٧١٣ م) . هذا فى نفس الوقت الذى رأوا بأعينهم أرستقراطيتهم – المنوطة بالحكم والقيادة – تتهارب تاركة اياهم وحدهم يتلقون ضربات المسلمين ، ويتحطمون تحت أقدامهم ، مما فت فى عضدهم ، ولم يجدوا هم الآخرون بدا من أن ينهجوا سبيل أرستقراطيتهم ، فاندفعوا لاحقين بهم، لائذين معهم بالشمال .

واذا كان أفراد الطائفتين قد تهاربوا الى ولاية جليقية الشاملة لأشتوريس؟ فلأنهم جميعا ما كانوا يعتقدون أن يصل اليهم المسلمون فيها، اما زهدا فيها لبرودتها وكثرة غاباتها، واما لأنها فى معظمها جبلية وعرة لا تلائم سكناهم، وظنوا انهم لا بد

ان يكونوا فيها بمناى ومامن . الا انهم لم يلبثوا ان فوجئوا بالمسلمين يقتحمون عليهم المكان ، ولم يكونوا قد استعدوا او استعادوا أنفاسهم بعد ، فاسقط فى ايديهم، وما كان باستطاعتهم ساعتئذ الا ان يسلموا مدنهم – شأنهم شأن مدن ايبيريا الأخرى – ويتخلوا عن فكرة المقاومة حتى ولو الى حين .

اضف الى ذلك ان ارتباط موسى بن نصير مع رسول الخليفة ، بامهاله اياما معدودات حتى يفتح جليقية(١) ، قد جعل موسى ينشط فى حملته هذه ويسرع دون ان يضيع وقتا فى حصار للمدن او التحايل على من يعصى من سكانها ، كما كان الشأن من قبل ، مما طبع حملته الى اشتوريس – ومنطقة شمال ايبيريا بصفة عامة – بطابع الشدة والقسوة والعنف ، وهو ما أشارت اليه الرواية الاسلامية ، قائلة : « انه لم تبق كنيسة الا هدمت ولا ناقوس الا كسر(٢) » الأمر الذى أدخل الجزع والفزع فى قلوب السكان ، وهم الذين لم يكونوا بحاجة الى من يزيدهم ذعرا ورعبا ، فتسارعوا الى الطاعة وأجفل رؤساؤهم(٣) بين يدى المسلمين راغبين فى الصلح(٤) .

واذا ما استبانت لنا الأمور على هذا النحو المذكور ، كان بامكاننا أن نفسر اجمال الروايات الاسلامية لفتح الشمال والشمال الغربى الايبيرى بما فيه أشتوريس ، وأسباب سهولة تقدم المسلمين به .

---

(١) يلاحظ أن جليقية التى يقصدها المؤرخون المسلمون هى ولاية جليقية بمعناها الواسع الذى يشمل أشتوريس ، وليس جليقية وحدها التى تمثل جزءا من الولاية .

(٢) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٢ .

(٣) أنظر . المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٧ .

(٤) أنظر . عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٦ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٦٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٦ . وهم يشيرون الى قدوم وجوه جليقية على موسى طالبين الصلح .

ويلاحظ أن المسلمين فى زحفهم على بلدان شبه الجزيرة الايبيرية بصفة عامة ، قد اتبعوا الطرق الرومانية التى كانت تربط انحاءها بعضها ببعض · وفيما يخص الشمال والشمال الغربى الايبيرى فقد كان هناك طريقان رومانيان يبدآن من مدينة سرقسطة Saragossa ، ويمتدان نحو الغرب حتى أقصى الزاوية الشمالية الغربية لشبه الجزيرة · أحدهما يمتد مع الضفة الجنوبية (اليمنى) لنهر ابرو Ebro مارا بعديد من المدن مثل : هارو Haro ، وبرفييسكا Briviesca ، وأماية Amaya ، وليون León وينتهى عند مدينة أستورقة Asturica Augusta (Astorga) · أما الطريق الثانى فكان الى الجنوب من الأول ويمر ايضا بعدة مدن مثل : قلونية Clunia (Coruna del Conde) ، وبالنثيا Pallaetia (Palencia) حيث يلتقى على مقربة منها بالطريق الذى يربط مدينتى ماردة Mérida وأستورقة Astorga (١) ·

ومع أنه ليس لزاما أن تكون القوات الاسلامية قد سلكت الطريقين فى آن واحد فى اقتدامها لمنطقة شمال وشمال غرب ايبيريا بما فيها أشتوريس ، فان المؤرخ الاسبانى الحديث سابدرا يذكر أن موسى قد أشار على طارق بأن يسلك الطريق الأول ، فى حين مضى هو بالطريق الثانى (٢) · وان كنا نوافقه على تقسيم القوات الاسلامية فريقين ، فلا نسايره على تحديد مسار كل منهما على هذا النحو ، الذى شايعه فيه بعض المؤرخين المحدثين ، وزادوا الأمر خلطا حينما جعلوا خط سير طارق على الضفة اليسرى (الشمالية) لنهر ابرو (ابرة) ، وخط سير موسى بحذاء الضفة اليمنى (الجنوبية) لنفس النهر (٣) · فى حين أن نظرة سريعة على الخريطة توضح أن كلا من الطريقين يمتد الى الجنوب من النهر ، وفضلا عن ذلك فان رواية ابن حيان – التى يوردها المقرى – تؤكد أن القائدين لم

---

(١) Sànchez Albornoz, Itinerario, pp. 64-65 ; Saavedra, Invasion, p 114.

(٢) Invasion, p. 114.

(٣) أنظر · مؤنس ، فجر ، ص ١٠٤ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ وان أعطى لروايته صفة الاحتمال دون التاكيد ، وانظر أيضا · Lévi-Provençal, Histoire, 1p 28.

يسلكا طريقين منفصلين بعد ما فتحا مدينة سرقسطة Saragossa ، وانما تعاونا سويا وكان عمل موسى متمما لما كان يقوم به طارق ، اذ أنه أوغل فى البلاد وطارق أمامه ··· وموسى يجىء على أثر طارق فى ذلك كله ، ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه »(١) ·

وعلى ذلك نرجح ان يكون طارق قد سلك طريق الحافة الجنوبية لجبال كنتبرية Cordillera Cantàbrica ، وهو نفسه الطريق الممتد مع الضفة اليمنى (الجنوبية) لنهر ابرو (ابرة) ، وتقدم معه مستوليا على ما مر به من مدن مثل مدينة أماية Amaya ومدينة بارو Villa Baruz ، الى أن دخل القسم الجنوبى من اقليم أشتوريس – أى أشتوريس أوغسطانا Asturica Augustana – واستولى على مدينتها الرئيسية استورقة Asturica Augusta · وأماية وأستورقة هما المدينتان اللتان جعل بعض المؤرخين المسلمين الاستيلاء عليهما فى حملة طارق عام ٩٢ هـ / ٧١١م حسبما اشرنا من قبل · ويكون الأرجح أيضا ان موسى قد اقتفى أثر طارق ليؤمن ما فتحه ، حتى وافاه بمدينة استورقة حسب تدبير سابق ، اذ أشارت بعض الروايات الاسلامية الى نبأ تلاقيهما بها(٢) · ومنها سارا سويا لاتمام فتح اقليم أشتوريس ، فاخترقا جبال كنتبرية من احدى ممراتها ، ودخلا شماليى اشتوريس او ما عرف بأشتوريس ما وراء الجبال Asturica Transmontana الواقعة الى الشمال من جبال كنتبرية ·

ولقد علل نفس المؤرخ الاسبانى سابدرا Saavedra اسباب اقتحام المسلمين لأشتوريس ما وراء الجبال آنذاك (٩٥ هـ / ٧١٤ م) بما بلغهم من

---

(١) أنظر · نفح ، ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ، وأنظر أيضا · المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٧ اذ يفهم من روايته أن طارقا هو الذى تولى عملية الفتح وموسى معه ، حتى بلغا جليقية على ساحل البحر المحيط ، مما يعنى أنهما لم يسلكا طريقين مختلفين ·

(٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٥ ، الرسالة الشريفية ، ص ١٩٨ ، المقرى عن ابن حيان ، نفح ، ١ ص ٢٥٣ · وان جعلوا هذا اللقاء بعد ما تقدم موسى من ماردة الى استورقة مباشرة ، الا ان هذا الخلط يبدو انه ناتج عن ضغط هؤلاء المؤرخين واختصارهم للاحداث ·

أنباء تدبير القوط الجرمان الهاربين بها لأمر خطير(١) ، فسره باختيارهم لاحدى شخصياتهم التى تدعى بلاى Pelayo – بلاجيوس Pilagius – كامير او قائد لهم فى تصديهم للمسلمين(٢) . وكان اعتماد المؤرخ المذكور على مدونة لاتينية واحدة متاخرة كثيرا ، يظهر فيها بلاجيوس بعد مقتل الملك القوطى رذريق مباشرة (٣) . على ان هذه الشخصية لم يكن قد قدر لها ان تظهر على مسرح الأحداث السياسية – وهو ما سنناقشه فيما يلى – الا بعد ان التقط القوط أنفاسهم ، حوالى عام ٩٩ – ١٠٠ هـ / ٧١٨ م ، وذلك باتفاق المدونات اللاتينية الأقدم من المدونة التى اعتمد عليها ذلك المؤرخ ، وهو ما حدا بمؤرخ اسبانى حديث آخر – سانشيث البرنوث Sànchez Albornoz (٤) – الى دحض ما ذهب اليه زميله .

والتفسير الواقعى لأسباب حملة المسلمين على اشتوريس ما وراء الجبال – والشمال الغربى الايبيرى بصفة عامة – تكمن فى رغبتهم الأكيدة ، ان لم يكن فى استكمال فتح أنحاء شبه الجزيرة ، فعلى الأقل فى تامين الحدود الشمالية لاقليم طليطلة وما تم بايبيريا من فتوحات ، وهو ما لا يتم الا بالقضاء على الجماعات القوطية اللاجئة الى أشتوريس ، وبخاصة ان المسلمين كانوا يعلمون أنها المأوى الوحيد الذى التجأ اليه الفارون الذين ناهضوهم أثناء تقدمهم بالأراضى الايبيرية . ومن ثم فقد كان موسى – حسبما تشير الرواية الاسلامية – شديد الحرص ليس فقط على اقتحام هذه المنطقة بل على فتحها أيضا(٥) . كما نعتقد أنه لو لم يكن موسى يقدر أهمية فتحها واخضاعها لما ساءه استدعاء خليفته – الوليد بن عبد الملك – للمثول بين يديه فى بلاط دمشق على وجه السرعة ، فى الوقت الذى كان يعد العدة فيه لغزو هذه المنطقة ، ولكان قد أسرع الى الاستجابة لأوامره بالتوقف عن التوسع فى البلاد ، بل لما كانت هناك ضرورة أمام موسى ليحنى هامته

---

(١) Invasion, pp 116-117, 139.

(٢) Ibid, p 138.

(٣) هى مدونة دون رودريجو Don Rodrigo ، وممن شايع هذا القول أيضا : Setton (ed.), A History of The Crusades, 1p 32 ; The Camb. Med. Hist., 3p 409.

(٤) Origénes, 1 p 476.

(٥) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

امام مغيث الرومى – رسول الخليفة – الذى كان منذ وقت قليل مضى أحد جنده الذين يأتمرون باوامره ، وليتحايل عليه ويلاطفه سائلا اياه أن يمهله أياما حتى ينفذ عزمه فى الدخول الى جليقية ويكون شريكه فى أجر فتحها(١) ، مانحا اياه بلاطا بقرطبة بجميع أرضه ، عرف فيما بعد ببلاط مغيث(٢) . ثم هل كان بوسع موسى أن يماطل فى الاستجابة لأوامر خليفته لو لم يكن يقدر أن فتح المنطقة يساوى ويغطى ما قد تجره عليه هذه المماطلة من غضب الخليفة !

وعلى كل فقد سارعت القوات الاسلامية ، بقيادة موسى العامة ، الى عبور جبال كنتبرية من احدى ممراتها ، واتبعت مجرى نهر نالون Nalon (٣) ، متقحمة منطقة أشتوريس ما وراء الجبال Asturias Transmontana ، وتقدمت نحو الشمال حتى ادركت حصنا ، على مقربة من شمال مدينة اوفييدو Oviedo الحالية التى كانت تعرف باوبيط أو أبيط(٤) أسمته الرواية الاسلامية حصن لك Lucus Asturum (وهى Santa Maria de Lugo الحالية وما زالت به حتى دكته واستولت عليه(٥) ، ففرت حاميته وأهله الى صخرة جبلية باقصى شرقيى أشتوريس ، وهى صخرة بلاى Pena de Pelayo

---

(١) أنظر . المقرى ، نفس الصفحة والمكان ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٢ . ويلاحظ أن المؤرخين المسلمين عندما يستعملون اسم جليقية ، فانهم يستعملونها بمعناها الواسع أى الولاية المشتملة على أشتوريس ، وليس فقط منطقة جليقية احدى أجزائها .

(٢) هو عبارة عن ضيعة بها قصر كان يسكنه حاكم قرطبة القوطى ، ويصفها صاحب الأخبار المجموعة (ص ٢١) قائلا : كانت دارا شريفة ذات سقى وزيتون وثمار يقال لها اليسانة كان للملك الذى أسره (أى مغيث) وكان له فيها بلاط منيف شريف فهى تسمى بالأندلس بلاط مغيث . أنظر أيضا . ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٢٣ ، الرازى عن عبد الملك بن حبيب برواية الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٩ ، مؤنس ، فجر ... ص ٦٣٣ ، الخربوطلى ، تاريخ العرب فى أوربا ، المكتبة الثقافية ١٤٣ ، ص ١٦ .

(٣) Saavedra, Invasion, pp 116-117.

(٤) هكذا يسميها المؤرخون والجغرافيون المسلمون ، أنظر . الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٤٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١١ .

(٥) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

ـ أو الكهف المقدس Cova Dominica ـ الواقع بجبل أوسبة Auseva أحد القمم الغربية لجبال قمم أوربا Los Picos de Europa الوعرة(١) .

وقد أقام موسى بحصن لك قليلا ليتدبر كيفية التقدم فى المنطقة الأشتورية ، وكان على القوات الاسلامية آنذاك أن تعمل فى عدة جبهات ليتم مسح أشتوريس وما تبقى من الشمال الايبيرى فى أقصر وقت ممكن ، وبخاصة أنه كان على موسى أن يستجيب لنداء الخليفة بالاسراع والعودة الى دمشق ، فاستقر الرأى على أن يبعث موسى سراياه لتتبع وتصفية الفارين الى صخرة بلاى بشرقيى أشتوريس ، ثم مواصلة الزحف فى أشتوريس الى ما يليها شرقا فى المنطقة الشمالية لجبال كنتبرية ، الى أن تاتى ثانية الى شمال شرقى شبه الجزيرة ـ الذى عرف فيما بعد بالثغر الأعلى ـ لتوطد هذه المنطقة للمسلمين ، وتقضى على ما بها من أى أثر للمقاومة مثلما حدث للمنطقة الواقعة جنوب جبال كنتبرية . وفى ذات الوقت يتقدم موسى فى اتجاه الشمال لفتح ما تبقى من مدن شمال أشتوريس ثم اقتحام اقليم جليقية الواقع الى الغرب من اقليم أشتوريس .

---

(١) هى كتلة هائلة تشكل قلعة طبيعية ذات قمم عالية تصل فى معظمها الى ارتفاع يقرب من ٢٦٤٢ مترا فوق سطح البحر ، وتعتبر لذلك ثالث أعلى جبال الجزيرة الايبيرية بعد جبال سييرانيفادا La Sierra Nevada (حوالى ٢٧٠٠ مترا) . ويبلغ طول جبال قمم أوربا أربعون كيلو مترا ، فى عشرين مثلها عرضا ، وتنقسم الى ثلاث قمم رئيسية ، الأولى شرقية فيما بين نهرى ديفا Deva ودوخ Duje وتسمى أوريبيلس Urrieles ووسطى فيما بين نهرى دوخ وكارس Cares وتسمى أندارا Andara وغربية فيما بين نهرى كارس وسيلا Sella وتسمى الصخور المقدسة Penas Santas ، وتقع بها صخرة بلاى نسبة الى الصخرة التى التجأ اليها بلايو وجماعته . وينبع من جبال قمم أوربا عديد من الأنهار ، وأهمها تلك التى تكون حدودها ، ففى الشرق والجنوب يجرى نهر ديفا ، وفى الغرب نهر سيلا ، أما فى الشمال فيجرى نهرى كارس وكاسانيو Casano وتنعزل هذه الجبال عن جبال كنتبرية فى جنوبها ببعض الأودية هى من الشرق وادى ليابانا Liébana ، ووادى فالديون Valdeon ، ثم وادى ساخمبرى Sajambre وعن الجبال بتفصيل ، أنظر : Sànchez Albornoz, A Través de Los Picos de Europa, p 254 Sqq. ; Burguete, Rectificaciones p 148 Sqq. ; Somoza, Op. Cit., p 439 Sqq.

وبالفعل فقد أدركت بعوث موسى ـ التى يبدو أن طارق هو الذى كان يقودها ـ صخرة بلاى على البحر الأخضر(١) أى البحر الكانتبرى فى أقصى شرقى أشتوريس ، وجالت هناك حتى أنه لم تبق كنيسة الا هدمت ولا ناقوس الا كسر ، فطاعت أعاجمها ولاذت بالسلم وبذل الجزية (٢) . ومن هناك واصلت القوات الاسلامية تقدمها شرقا فى بلاد البشكنس حتى أدركت الثغر الأعلى ثانية(٣) . واذا كانت بعض الروايات الاسلامية قد نسبت الاستيلاء على هذه المنطقة لموسى بن نصير (٤) ، فربما لأنها اعتبرت القيادة العامة والعليا للجيوش الاسلامية فى منطقة الشمال الايبيرى كله كانت لموسى ، وان كان هذا لا يمنع أن يكون طارق هو الذى قام بالعمل فى الناحية الشمالية الشرقية ، فى الوقت الذى كان فيه موسى مشغولا فى الناحية الشمالية الغربية ، وهو ما يفهم من روايات بعض المؤرخين المسلمين الآخرين كالمقرى(٥) وابن الشباط(٦) وابن الأثير(٧) ، التى أشارت ـ حينما أنبأتنا باخبار استعداد موسى لمغادرة الشمال الغربى الايبيرى قاصدا الجنوب ـ بأن طارق وافاه بالطريق منصرفا من الثغر الأعلى أى الشمال الشرقى . وفضلا عن ذلك فان الروايات التى ذكرت الاستيلاء على بلاد البشكنس واخضاعها قد جعلت ذلك تاليا لادراك المسلمين صخرة بلاى ، وسابقا على التقدم الى سرقسطة (الثغر الأعلى) ، وما كانت هذه الروايات تتبع هذا الترتيب

---

(١) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ ، ويفهم من رواية ابن الأثير (الكامل ، ٤ ص ٢٣٢) أن موسى هو الذى قام بعبء ذلك .

(٢) المقرى ، نفس الصفحة والمكان .

(٣) عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٧ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٦٢ ،ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٦ . ويجعل بعض المؤرخين المحدثين استيلاء طارق على بلاد البشكنس قبل ذلك أى بعد ما غادر سرقسطة الى أستورقة وأماية ، أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ١٠٤ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٠٢ ، Saavedra, Invasion, p 114.

(٤) عبد الملك بن حبيب ، نفس المكان ، ابن قتيبة ، نفسه ، ٢ ص ١٣ ، ابن عذارى ، نفس الصفحة والمكان .

(٥) نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

(٦) وصف الأندلس ، ص ١٢٣ . وهو وان أشار الى موافاة طارق لموسى بالطريق دون تحديد مكان قدومه ، فانه يفهم من روايته أنهما كانا فى ناحيتين مختلفتين ، ويؤيد ما ذهبنا اليه .

(٧) الكامل ، ٤ ص ٢٣٢ .

لو لم تكن القوات ـ التى كان على رأسها طارق ، والتى تقدمت من غرب الشمال الايبيرى الى شرقه ـ هى التى أنجزت هذه المهمة ، ولا يعقل ان يكون موسى هو الذى أتمها ، اذ كان قد تقدم هو من حصن لك Lucus Asturum باشتوريس الى اتجاه آخر .

واذا كنا لا نعلم على وجه التاكيد ما اذا كان موسى قد تقدم من هذا الحصن نحو الشمال واستولى على مدينة خيخون Jejone الأشتورية ، الواقعة على ساحل بحر كنتبرية ـ خليج بسكاى Golfo de Vizcaya ـ ام انه تقدم منه مباشرة فى اتجاه الغرب واقتحم اقليم جليقية الواقع الى الغرب من اقليم اشتوريس ، واناط بطارق ان يعرج هو على مدينة خيخون ليستولى عليها أثناء زحفه فى شرقى اشتوريس ، أو أنه أسند مهمة فتحها الى قائد آخر . على أنه بسبب أن خيخون كانت اقرب لموسى من طارق ، وكانت تقع فى نطاق الاتجاه الذى أنيط بموسى فتحه ، فكان على موسى ان يقوم بهذا العمل ، ولما كان موسى فى عجلة من أمره ليلبى نداء خليفته ، فنرجح انه كان عليه أنيكسب وقتا ، وأرسل سرية الى خيخون لفتحها ، فى حين تقدم هو مباشرة من حصن لك Lucus Asturum باشتوريس ، الى ان اقتحم جليقية التى ادرك فيها مدينة تعرف ايضا بمدينة لك(١) Lucus Augusti فاستولى عليها .

ومن أسف فالروايات الاسلامية لا تزودنا بتفاصيل أخرى عن أحداث أو مواقع تتعلق بفتح أشتوريس أو بفتح بجليقية التى أعتبرتها شاملة لأشتوريس . وتنهى تلك الروايات حملة القائدين موسى وطارق بمنطقة الشمال الغربى الايبيرى كله بما فيها أشتوريس قائلة : أنه بينما كان موسى فى اشتداد الظهور وقوة الأمل ، اذ أتاه وهو بمدينة لك الجليقية

---

(١) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ . ومدينة لك الجليقية أسسها أوغسطس وكانت عاصمة لمنطقة جليقية القضائية التى سميت Lucensis فى التقسيم الرومانى لولاية جليقية كما أوضحنا . وعنها أنظر Diccionario. 2p293 وأنظر أيضا . الحميرى ، صفة ، ص ١٨٥ ، ص ٢٨ ، ٦٧ حيث يذكرها مرة باسم لكة ومرة باسم أقش على أنها قاعدة للجليقيين ؛ ولعله يقصد بها هذه المدينة ذاتها .

رسول ثان من الخليفة الوليد بن عبد الملك ـ يكن ابو نصر ـ يامره بالقفول والعودة الى دمشق ، فلم يجد موسى بدا من العودة الى جنوب البلاد ، ومعه الرسولان ـ مغيث وأبو نصر ـ ووافاهم طارق بالطريق ، فحلوا جميعا بمدينة اشبيلية Sevilla ، حيث استخلف فيها موسى ابنه عبد العزيز ليكون واليا على البلاد(١) ، فاقام يفتتح ما بقى من مدائن الأندلس (٢) ، ويجاهد أعداءها(٣) ، فى حين بدأ موسى ورفاقه رحلتهم الى دمشق فى ذى الحجة ٩٥ هـ(٤) / اغسطس ـ سبتمبر ٧١٤ م ، دون انيستكمل فتح بقية اقاليم ولاية جليقية الرومانية .

ففيما يختص باقليم جليقية ، الواقع الى الغرب من اقليم اشتوريس ، فان الروايات الاسلامية صريحة فى اشارتها ان موسى قد تقدم نحو الغرب من مدينة استورقة باقليم اشتوريس حتى دخل اقليم جليقية ووصل فى أراضيها الى مدينة لك الجليقية Lucus Augusti (لوجو Lugo الحالية) فاستولى عليها . ومن الطبيعى أن يكون موسى قد اتبع فى زحفه اليها الطريق الرومانى الواصل بين مدينتى أستورقة ولك مخترقا الجزء الشمالى من اقليم جليقية المحصور بين نهر مينو Mino جنوبا وبحر كنتبرية شمالا ، فاستولى موسى على ما مر به من مدن فى هذا الجزء من اقليم جليقية . ولكنه قبل أن يغادر مدينة لك ليتابع فتوحاته فى بقية هذا الاقليم ، جاءه مبعوث الخليفة واضطره الى أن يقلع من تلك المدينة عائدا الى دمشق دون أن يعطيه فرصة اكمال فتح ما تبقى من اقليم جليقية ، وعلى الأخص قسمه الجنوبى المحصور بين نهرى مينو Mino شمالا ودويرة Duero جنوبا .

---

(١) قارن : المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣ ، أخبار مجموعة ، ص ١٩ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٣٢ ، ابن الشباط ، وصف الاندلس ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٩ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ ، جمال الرمادى ، فتوح العرب فى أوربا ، دائرة معارف الشعب ٦٤ ص ٢٢٥ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٨ . وينفرد بالقول ان موسى أقام ابنه بمدينة قرطبة .

(٣) ابن القوطية ، نفسه ، ص ٣٦ .

(٤) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

اما اقليم كنتبرية الممتد الى الشرق من اقليم اشـتوريس مباشرة ، مكان يشغل شـمال الحوض الاعلى لنهر ابرة ، واشـتمل وقتذاك على جزأين احدهما غربى ملاصـق لأشـتوريس ، عرف ببردوليا Bardulia (١) ، وهو الذى كان نواة لقشتالة القديمة Castilla La Vieja ثم عرفه المسلمون فيمـا بعـد بالقلاع (٢) ، نظرا لكثرة ما أقيم فيه من قلاع لحماية الجبهة الشرقية من مملكة أشـتوريس ، أما الجزء الشرقى فقد عرف بألبة Alava .

ولا توجد فى المصادر الاسـلامية أدنى اشـارة يفهـم منهـا ان الجيوش الاسلامية قد وصلت الى اقليم كنتبرية ، وانمـا على العكس فما يفهم منها أن القـوات الاسـلامية حينمـا تحركت تجاه الغرب من مدينة سرقسطة لفتح ولاية جليقية ، فقـد سلكت الطريق الرومانى الممتد الى الجنوب من نهر ابرة ، مـع السـفوح الجنوبية من جبال كنتبرية ، حتى وصلت الى مدينة استورقة فى جنـوب أشـتوريس ، ومنهـا جـالت فى شـمالى أشـتوريس وشرقيها لتطهيرهما من الفارين اليهما ، ثم عادت الى سرقسـطة ثانية – وعلى رأسها طارق بن زياد – من نفس الطريق الممتد جنـوب نهر ابرة ، دون أن تعرج الى كنتبرية الواقعـة الى شـماله ، لأن طارق بن زياد كان فى عجلة من أمره ليلحق بمـوسى بن نصـير حين مغادرة البلاد الى دمشـق حيث كان استدعاء الخليفة يشملهما ، كذلك فلم يكن باستطاعة طارق وقتذاك تفريق قواته فى بعوث جانبيـة لفتـح كنتبرية ، اذ كانت تلك القـوات جزءا من القوات الاسلامية وليس كلها ، فضـلا عن أن أعدادها كانت قد تناقصت بسبب استقرار بعضـها فيمـا كانوا يمرون به أو يستحسنونه من أراضى ، وهو ما انتهجته جماعات كثيرة من القـوات الاسلامية فى اراضى ولاية جليقية بعامة (٣) ، وكان موسى بن نصـير نفسه يشـجعهم على هذا الاستيطان ، حتى انه اقرهم فيمـا اقاموا فيـه وطنا لأقدامهم فى الحلول به(٤) ، فاقامـوا هنـاك حتى بعـد مغـادرة موسى أراضى ايبيريا عائدا الى دمشـق(٥) .

---

(١) نسبة الى قبائل بردولى Barduli ، أنظر . Strabo, Op. Cit., 2pp 101,103

(٢) عن تحديد موقع بردوليا ، وتطور اسمها الى قشتالة القديمة ثم الى القلاع ، أنظر . Sànchez Albornoz, Origenes, 2pp 593-601 حيث خصص مقالا يحدد فيه ذلك بعنـوان : « El Nombre de Castilla »

(٣) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

(٤) المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٦ .

(٥) الرسالة الشريفية ، ص ٢١٤ .

يضاف الى ذلك أن المصادر اللاتينية – التى عاش مؤلفوها فى فترة قريبة الى تلك الأحداث عن تلك التى عاش فيهـا مؤلفو المصـادر الاسـلامية – تشير صراحة الى أن المسلمين بعد ما فتحوا ايبيريا فقد عينوا حكـاما على كل أقاليمها ، واستثنت من ذلك الأقاليـم التى بقيت دون فتـح أو خضـوع للسيطرة الاسـلامية وعلى راسـها اقليم كنتبرية الشـامل لألبـة وبردوليا ، وكذلك اقليم نبرة Navarra (١) المجـاور لكنتبرية شرقا ، وكان هـذان الاقليمان يشكلان سـويا ما يعرف ببلاد البشكنس Vascones اى بلاد الباسك فى وقتنا الحاضر .

اما فيما يختص باقليم أشـتوريس ، فان بعض المصـادر الاسلامية تجمل خلاصـة فتحها بالقـول أنه لم يبـق فيهـا دون فتـح سـوى الصخرة (صخرة بلاى)(٢) Pena de Pelayo ، وهو ما اتخـذه جمهرة المـؤرخين المحدثين فى الشرق(٣)، حجة اما بعدم خضوع اجزاء من اشتوريس او اشتوريس

---

(١) قارن : Cron. Rotense, Op Cit., p 612, 615 ; Cron. Alfonso III, Op Cit., p 108, 117 ; Chron. Léonaise, Op Cit., p 386 ; Estoria De Los Godos, Ed. Zabalburu, Col. DIHE, Madrid 1887, 88 p 60.

(٢) أنظر . ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ ، أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، ، ٦ ص ٨٣ . وقد جعل هؤلاء المؤرخون الصـخرة فى جليقية ، لانهم يقصـدون جليقية الولاية المشتملة على أشتوريس ، وليس منطقة جليقية وحدها احدى أجزاء الولاية .

(٣) انظر . على سبيل المثال لا الحصر . العبادى ، المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص ٣٩ ، ١١٥ ، طرخان ، دولة المسلمين فى أوربا ، الالف كتاب رقم ٥٩٦ ص ٩٨ ، محمد كرد على ، غابر الأندلس وحاضرها ، ص ١٤ ، عبد الرحمن الحجى ، أندلسـيات ، المجموعة الثانية ، ص ٣٩ – ٤٠ ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسـلام ، ١ ص ٣١٨ ، على حبيبة ، مع المسلمين فى الاندلس ، ص ٤١٣ وما بعدها ، جمـال الرمادى ، فتـوح العرب فى أوربا ، دائرة معـارف الشـعب رقم ٦٤ ص ٢٥٥ ، سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ، ص ١١٥ ، ١١٦ – ١١٧ ، محمد لبيب البتنونى ، رحلة الأندلس ، ص ١١٤ ، محمد دياب ، تاريخ العرب فى اسبانيا ، ١ ص ٣٠ ، سيدة كاشف ، الوليد بن عبد الملك ص ١٤٥ – ١٤٦ ، مؤنس ، فجر ، ص ٨ ، ١٠٦ ، ٣٠٨ ، السيد سالم ، تاريخ المسـلمين ، ص ١٦٨ ، احمد مختـار ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٧٦ ، عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس ، ص ١٣٦ ، ٢٠٥ ، على محمد على حمودة تاريخ الأندلس ، ص ١٩٨ ، شـكيب ارسـلان ، الحلل ، ١ ص ٣١٧ .

ذاتها ، ومنطقة الشمال الغربى الايبيرى – أى ولاية جليقية – للمسلمين آنذاك ، وقد شايعهم فى هذا الرأى معظم مؤرخى الغرب الحديثين(١) . الا أننا نعتقد ان عبارة المصادر السابقة لا تتعلق بأيام الفتح الأولى وانما بالسنوات القادمة ، أى فى عصر ولاة الأندلس المسلمين ، كما سنبين فيما بعد ، ولأن مؤرخين اسلاميين آخرين قد جعلوا فتح المسلمين لأشتوريس ولكل أقاليم ايبيريا فتحا شاملا ، حين قالوا أن موسى وطارق قد مضيا سويا فافتتحا جميع حصونها ، وهزما من لقياه من أمرائها ، ولم يلقيا كيدا من أحد ، ولا انهزمت لهما راية قط(٢) ، حتى دانت الأندلس(٣) ، وصفا القطر كله للمسلمين(٤) ، ثم شد موسى حصونها فأنزل الرابطة والحاميات بها قبل رحيله الى المشرق(٥) .

حقيقة ربما يكون القول السابق عاما فى معناه ، لا يتصف بتحديد وتمييز المواقع التى خضعت للمسلمين فى ايبيريا أو التى لم تخضع ، الأمر الذى يحتمل معه الا تندرج أشتوريس ضمن ما خضع لهم هناك آنذاك ، وبخاصة أن بعض المصادر اللاتينية ، كحوليات كمبلوتنى Complutense (٦) ، وطليطلة Toledano (٧) ، ومدونة كمبوستيلا

---

(١) O'Callaghan, Op. Cit., p 98 ; Hadrill, Op. Cit., p 138 ; Jackson, The Making of Med. Spain, p 10, 14 ; Williams, The Historians' History, 10 p 38 ; Watt, The History of Islamic Spain, p 25 ; Hallam The State of Europe, 2 p. 2 ; Freeman, Op. Cit., p 132,162 ; Madariaga, Spain p 20 ; Atkinson, A History of Spain, p. 45 ; Livermore, A History of Portugal, p 30 ; Stokes, Spanish Islam, p 410 ; Caveda, Op. Cit., p 78 Sqq ; Vives, Op. Cit., p 32 ; Dozy, Histoire, 2 p 128. ؛ دوروثى ، اسبانيا شعبها وارضها ، ص ٤٥ ، ٥٩ سيديو ، تاريخ العرب ، ص ٣٠٤ وان كان قد ناقض نفسه حينما ذكر (ص ١٨٥ بنفس المكان) أن موسى قد زحف الى اشتوريس ودحر آخر حماة اسبانيا بها ، وان جميع اسبانيا قد صارت للمسلمين .

(٢) أنظر . ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ١٢ .

(٣) نفسه ، ص ١٦ .

(٤) المقرى عن ابن حيان ، نفح ، ١ ص ٢٥٦ .

(٥) ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٨ .

(٦) Ed. Huici, Op. Cit., 1p 40.

(٧) Ibid, p 340.

Compostellani (١) قد نوهت بان المسلمين لم يفتتحوا كل أنحاء ايبيريا ، واضافت المدونة الشرطانية Chronicon Cerratensis (٢) انهم استولوا عليها حتى كهف سانتاماريا Covam Sanctae Mariae ، وهو الذى عرف عند مؤرخى المسلمين بالصخرة أو صخرة بلاى ، ويقع فى شرقى اقليم اشتوريس . على ان ذكر المصادر الاسلامية لأسماء مواقع ومدن متفرقة فى نواحى اقليم أشتوريس ، وصلت اليها الجيوش الاسلامية ، مثل مدن : استورقة Asturica Augusta ، ولك Lucus Asturum وكانا من اهم مدن اشتوريس وقتذاك(٣) ، وكذلك صخرة بلاى Pena de Pelayo ، وما اشارت اليه بعض المصادر اللاتينية أن المدينة الاشتورية الساحلية خيخون Jejione قد صارت قاعدة اسلامية لمنطقة أشتوريس ومقرا لحاكمها المسلم(٤) ، ليقف دليلا على أن المسلمين لم يقتحموا أشتوريس فقط ، وانما جالوا أيضا بأنحائها المختلفة وخضعت لهم . يضاف الى ذلك أن المسلمين – عربا وبربر – كانت تستقر كل جماعة منهم – أثناء تقدمهم بها – فى الأراضى التى كانوا يستحسنونها وينزلون بها قاطنين(٥) ، وأن موسى قد أقرهم فيما أقاموا فيه ووطأ لأقدامهم فى الحلول بها(٦) ، فأقاموا هناك حتى بعد مغادرته لشبه الجزيرة(٧) .

---

(١) Ed. Florez, Op. Cit., 23 p. 325 .

(٢) Ed. Huici, Op. Cit., 1p 92.

(٣) Castro, Op. Cit., p 77.

(٤) Cron. Rotense, Op. Cit., p 612, 615 ; Chron. Leonaise, Op. Cit., p 387 ; Cron. Alfonse III, Op. Cit., p 66, 108,114 ; Chron Aibeldense Op. Cit., p 450 No. 50 ; Chron. Sebastiani, Op. Cit., p 480 No 11 , Chron. Silense, Op. Cit., p 275 No 25. ومع أن اسم المدينة قد ظهر فى مدونتى الفونسو الثالث والبلدة على شكل Legione مما يحتمل معه أن تكون هى مدينة ليون الحالية León الا أن نفس المدونتين – متفقتان مع المدونات الأخرى – قد وصفتاها بأنها فى منطقة أشتوريس وأنها مدينة ساحلية Maritimam ، مما يعنى أن مدينة ليون ليست هى المعنية اذ هى ليست ساحلية ، وان كانت تقع أيضا فى أشتوريس خلال العصور الوسطى .

(٥) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

(٦) المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٥٦ .

(٧) الرسالة الشريفية ، ص ٢١٤ .

ثم انه للمؤرخ المقرى رواية ـ ينقلهـا عن غـير واحد من المؤرخين المسلمين القدامى ـ تتعلق باشتوريس ذاتها ، يقول فيها ان : « اول من جمع فل النصارى بالأندلس ـ بعد غلبة العرب لهم ـ علج يقال له بلاى ، من أهل أشتوريس من أهل جليقية ، كان رهينة عن طاعة أهل بلده ، فهرب من قرطبة ايام الحر بن عبد الرحمن الثقفى ، الثانى من أمراء العرب بالأندلس ، وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها ، وهى سنة ثمان وتسعين من الهجرة ، وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن(١) » .

ويلاحظ على هذا النص أن « الفل » المذكور هو مجموعة القوط الذين كانوا قد تهاربوا امـام المسلمين بعد الهزائم التى حلت بهم وبجيشهم القوطى ، وهم الذين التجاوا ساعة الفتح الاسلامى لايبيريا الى أشتوريس حسبما تشير بعض المصادر اللاتينية ذاتها (٢) . وأن « بلاى » ـ وهو حسب النص من أهل أشتوريس ـ « كان رهينة عن طاعة بلده » لا يبرهن الا على خضوع هذا البلد ، وانضوائه للحكم الاسلامى . ويؤكد ذلك فى نفس الوقت قوله « ثار النصارى » ـ أى سكان أشتوريس اللاتين بما فيهم الفل القوطى ـ اذ لو لم تكن قد انضوت تحت الحكم الاسلامى ، لما استعمل المؤرخ كلمة ثار ، ولكان قد أبدلها بكلمات اخرى مثل هاجم أو غزا أو حتى أغار ، التى لا تعنى ما تعنيه كلمة ثار ، اذ الفرق واضح بين معانيها جميعا ، ولا بد أن المؤرخ ـ وهو عربى ـ كان يعيها . ولذلك فان رواية المؤرخ تؤكد حقيقة واقعة وهى أن أشتوريس قد خضعت بالفعل

---

(١) أنظر . نفح ، ٦ ص ٨٢ . وقد أورد النص باللغة الاسبانية Sànchez Albornoz فى كتابه : La Espana Musulmana الجزء الأول ، ص ٧٦ ـ ٧٧ . ويعتبر النص أقدم النصوص الاسلامية التى أشارت الى بدء ثورة أشتوريس وتحديدها على هذا النحو ، وتفيد عبارة وردت فى نهاية النص أنه كتب حوالى أواخر القرن العاشر الميلادى / الرابع الهجرى ، بعد انتهاء خلافة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الذى تولى فيما بين عامى (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) وكان أول من أعلن الخلافة الأموية بالأندلس عام ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ولقب بالخليفة الناصر لدين الله وعنه ، أنظر . ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ .

(٢) Chron. Sebastiani, Op Cit., pp 478-479 : Cron. Alfonso III Op. Cit., p 62.

المسلمين(١) ، حينما فتحوها فى اواخر عام ٩٥ هـ / ٧١٤م بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وان فتحهـا كان شـاملا ، وان الأمـور قد اسـتقرت لهم بهـا حتى اواخر عام ٩٨ هـ / ٧١٧ م على الأقل ، وهو العام الذى قامت بعده الثورة باشتوريس ضد المسلمين حسب الرواية الاسلامية السابقة .

وربمـا كان هنـاك من لا يثق الثقة كلهـا فى نزاهة أو صـدق الرواية الاسلامية السابقة ، لانفرادها دون غيرها من الروايات الاسـلامية بهـذه المعلومات ، فضـلا عن انهـا لا تعبر الا عن وجهـة النظر الاسـلامية دون المسيحية . الا أن هـذا الشـك يزول كلية لأن المصـادر اللاتينية قد شاركتها قولها ، بل أوضـحت ما غمض منـه ، ذلك أنه اذا كانت مـدونة مواسياك Chronicon Moissiacense (٢) اللاتينية قد نوهت بان كل نواحى ايبيريا قد خضعت للمسلمين . فقـد اضاف عليها ايزيدور البـاجى Isidore Pacense ـ الذى كان معاصرا لهذه الفترة ـ ان كل ايبيريا قد انتظم واستقر فى فترة ولاية عبد العزيز بن موسى ٩٥ ـ ٩٧ هـ / ٧١٤ ـ ٧١٦م وذلك بدفعها الجزية(٣) وان الوالى الحر بن عبد الرحمن ٩٧ ـ ١٠٠هـ/٧١٦ ـ ٧١٩م قد عين هو الآخر حكاما أو نوابا عنه لكل أقاليمها (٤) . يضـاف الى ذلك أن مدونات روتنس Rotense (٥) والفونسو الثالث Alfonso III (٦) وليون Léonaise (٧) فى الوقت الذى ذكرت فيه أن المسلمين قد عينوا حكاما على كل اقاليم ايبيريا

---

(١) يوافق على ذلك كل من : Sànchez Albornoz, Origénes, 1p 483, 2 pp 7-8,84 ; Barrau-Dihigo, Recherches, p 113, 314 ; Urbel, Op. Cit., pp 22-23. Valldeavellano, Op. Cit., 1p 370. وان كان الأخير يحدد ذلك بوقت ما بين غزو موسى بن نصير عام ٩٣ هـ/ ٧١٢ م وولاية الحر بن عبد الرحمن عام ١٠٠ هـ / ٧١٩ م .

(٢) Ed. Lafuente, Ajbar Machmuâ, p 165.

(٣) Op. Cit., 8 p 302 No 42.

(٤) Ibid, p 303 No 43 . وعن الحر بن عبد الرحمـن ، أنظر . الضبى ، بغيـة الملتمس ، ص ٢٦٥ رقم ٦٨٨ ، الحميدى ، جـذوة المقتبس ، ص ١٩١ رقم ٤٠٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥ .

(٥) Op. Cit., p 612,615.

(٦) Op. Cit., p 108,117.

(٧) Op. Cit., p 386,391.

بعد ما أتموا فتحها ، فانها قد ميزت أيضا المناطق (١) التى لم تخضع لهم بها آنذاك ، وهى مناطق تخرج عن نطاق أشتوريس ولا تشتمل عليها . وكانت مدونات بروفتيكا Profetica (٢) وكمبوستلا Compostellani (٣) ، وكمبلوتى Complutense (٤) ، ولوزيتانيا Lusitanum (٥) أكثر وضوحا وتخصيصا لأشتوريس دون سواها حينما أوضحت أن المسلمين قد حكموها خمس سنوات قبل أن يبدأ بلاجيوس Pelagius ثورته بها ، وأضافت مدونة البلدة Albeldense (٦) أنه كان أول من ثار بها على المسلمين .

ولما كنا قد أوضحنا قبلا أن المسلمين قد فتحوا أشتوريس أواخر عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، فى الوقت الذى تتفق فيه بعض المصادر اللاتينية السابقة فى القول بأن ثورتها على المسلمين كانت بعد خمس سنوات من فتحها اى أواخر عام ١٠٠ هـ / ٧١٨ (٧) ، وهى الثورة التى حدد المؤرخ المسلم المقرى بدايتها بعد أواخر عام ٩٨ هـ / ٧١٧ م دون تحديد لوقت بذاته ، فتكون قد اتفقت بذلك وجهتا نظر الجانبين الاسلامى والمسيحى بشأن خضوع أشتوريس للمسلمين حين فتحها أواخر عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م خضوعا لا شك فيه ، وأنه كان فتحا شاملا ، اذ لم تذكر المصادر اللاتينية ولو

---

(١) هى : ألفا Aibanque ، وبسكاى Biscay ، واوردونيا Urdunia ، وآلاوون Alaone

(٢) Op. Cit., p 628.

(٣) Huici, Op. Cit., 1 p 82.

(٤) Ibid, p 52.

(٥) Florez, Op. Cit., 14 p 402. وانظر أيضا Sànchez Albornoz, una Cronica Asturiana Perdida, p 117 No 7.

(٦) Huici, Op. Cit., 1p 158 ; Florez, Op. Cit., 13 p 450 No 50 ; Migne, Patrologiae, 129 p 1136 ; Moreno, Op Cit, p 601.

(٧) من الجدير بالذكر أن المصادر اللاتينية تعتبر هذا العام هو ذاته عام استقلال اشتوريس عن المسلمين ، وسنناقش ذلك فيما بعد .

تلميحا اخبار اى مقاومات اعترضتهم بها وقت فتحها ، ولا الى اى أجزاء تركوها بها دون فتح حتى اواخر عهد الحر بن عبد الرحمن الثقفى ، اى بين عامى ٩٩ – ١٠٠ هـ / ٧١٨ م على الأقل .

وبذلك فلم يفتح موسى بن نصير كل اقاليم ولاية جليقية ، وانما بقى فيها دون فتح الجزء الجنوبى من اقليم جليقية الممتد بين نهرى مينو شمالا ودويرة جنوبا ، فضلا عن اقليم كنتبرية الشامل لألبة وبردوليا ويمتد شمال الحوض الأعلى لنهر ابرة . ولذلك ظل موسى يأسف على ما فاته من الجهاد فى ولاية جليقية ، بسبب ازعاج الخليفة له والالحاح عليه بالتوقف عن الفتح فيها للمثول بين يديه فى دمشق (١) ، على الرغم من انه فتح جزءا كبيرا منها ، وقضى على مقاومة معظم نواحيها ، وطمان نفوس من أقام على سلمه فيها ، ووطأ لأقدام المسلمين فى الحلول بها ، ثم شد حصونها فانزل الرابطة والحاميات فيما فتحه هناك قبل رحيله الى المشرق (٢) .

ومن الطبيعى ألا يعنى رحيل موسى بن نصير وطارق بن زياد عن اراضى ايبيريا أن تتوقف حركة الفتح الاسلامى فيها ، لأن تلك الحركة لم ترتبط وتتذاك بتواجد أو اختفاء شخصية بعينها . ومن ناحية أخرى ، فقد كان موسى يعى بخبرته العسكرية مخاطر تجاهل ما خلفه وراءه دون فتح هناك ، ولذلك فانه حينما أقام ابنه عبد العزيز واليا على البلاد من بعده ، فقد حرص فى نفس الوقت على أن يعهد اليه بمهمة فتح تلك النواحى ، وترك معه – كما تذكر المصادر الاسلامية – من العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد (٣) ، وغزو ما بقى من مدائن الأندلس وجهاد اعدائها (٤) ، وهو ما جعل من ولاية عبد العزيز بن موسى (٩٦ – ٩٨ هـ / ٧١٤ – ٧١٦ م) امتدادا طبيعيا لموجة فتح ايبيريا من الناحية العملية ، وان كانت من

---

(١) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ١٧ .

(٢) ابن القوطية ، نفسه ، ص ٣٦ ، ابن خلدون ، العبر ، بيروت ١٩٦٨ م ، ٤ ص ١١٨ .

(٣) الحميدى ، جذوة ، ص ٦ .

(٤) ابن القوطية ، نفسه ، ص ٣٦ ، ابن خلدون ، نفسه ، ٤ ص ١١٨ .

الناحية النظرية بداية لما عرف بعصر ولاة الأندلس ، لا سيما وان عبد العزيز قد نشط فى الفتح بصفة عامة ، فافتتح مدائن كثيرة (١) ، مما بقى لابيه ، وضبط سلطان البلاد وسد ثغورها (٢) ، حتى انتظمت البلاد خلال ولايته بدفع الجزية (٣) .

ومن أسف ، فليس لدينا فيما عدا تلك الاشارات العامة الغامضة نصوص واضحة ، تفصح عن حجم الانجاز الحقيقى لعبد العزيز بن موسى فى نطاق ولاية جليقية على الأقل . اذ لم تحدد الاشارات السابقة اسماء المدن التى فتحها عبد العزيز لنتبين منها ما اذا كانت فتوحاته قد اشتملت على ما تركه والده فى تلك الولاية ، خاصة وانه يفهم من هذه الاشارات ان فتوحات عبد العزيز لم تمتد الى كل ما خلفه والده ، وانما جزءا منه فقط ، مما يحتمل معه أن تكون تلك الفتوحات فى خارج نطاق ولاية جليقية .

ومع ذلك ، فنعتقد ان الجزء الجنوبى من اقليم جليقية الممتد بين نهرى مينو شمالا ودويرة جنوبا كان من ضمن فتوحات عبد العزيز ، اذ تطالعنا المصادر الاسلامية واللاتينية بأنباء استرداد المسيحيين لمدن تقع فى هذا الجزء فى حوالى منتصف القرن الثامن الميلادى (٤) وهو ما يعنى ان فتح ذلك الجزء قد حدث فى تاريخ غير معلوم يقع بعد رحيل موسى الى المشرق اواخر عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م وقبيل منتصف القرن المذكور . ولما كانت تلك المصادر او غيرها لا تورد اخبار نشاطات عسكرية لولاة الأندلس فى نطاق ولاية جليقية حتى قرب منتصف ذلك القرن ، وانما فى غالة من بلاد الفرنجة خارج ايبيريا ، فلا يعقل ان يتطلعوا الى خارج ايبيريا قبل ان يتموا

---

(١) ابن خلدون ، نفس الصفحة والمكان ، مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٠ .

(٢) مجهول ، نفسه ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٣) Cron. Isidore Pacense, Ed. Escobar, 2 p 225.

(٤) ابن خلدون ، نفسه ، ٤ ص ٢٦٥ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، القاهرة ١٩١٥ م ، ٥ ص ٢٦٤ ، ; Cron. Sebastiani, Op. Cit., pp 481-482 ; Cron. Alfonso III, Op. Cit., pp 68-69 ; Primera Cron. General, Ed. Pidal, Madrid 1955, 2p 331.

ما فى داخلها او على الأقل معظمه . يضاف الى ذلك أن المصادر اللاتينية، التى اجملت خلاصة فتح المسلمين لايبيريا وقت انتهاء ولاية عبد العزيز لم تستثن ذلك الجزء الجنوبى من اقليم جليقية ضمن ما خلفه المسلمون دون فتح (١) .

اما فيما يختص ببلاد البشكنس الشاملة لكنتبرية ونبرة فقد نشطت فيها القوات الاسلامية فى الأعوام التالية لمغادرة موسى بن نصير الى المشرق ، وان كان نشاطها قد اقتصر فقط على نبرة من دون كنتبرية ، اذ يشير المؤرخ ابن الفرضى (٢) الى خضوع بمبلونة Pamplona قاعدة نبرة للمسلمين صلحا ، والى ان اسمى على بن رباح وحنش بن عبد الله قد وردا فى وثيقة هذا الصلح . ولما كان حنش قد توفى فى عام ١٠٠ هـ (اغسطس ٧١٨ – يوليو ٧١٩ م) فيكون خضوعها قد حدث قبل هذا التاريخ أى خلال ولايتى عبد العزيز بن موسى وخليفته الحر بن عبد الرحمن٩٦ – ١٠٠هـ/ ٧١٤ – ٧١٩ م . وبسبب أنه لا توجد نصوص تدل على فتحها فى عهد الحر كما يذهب بعض المؤرخين الحديثين (٣) ، فلم يكن هناك ما يمنع قوات عبد العزيز من فتحها فى نطاق فتوحاتها فى منطقة شمال شرقى ايبيريا التى استولت فيها على مدن طركونة **Tarragona** وجيرندة Gerona وبرشلونة Barcelona وحتى نربونة Narbonne (٤) . ومن المعتقد أن يكون عبد العزيز بعد ما فتح بمبلونة قد صالح حاكمها على دفع الجزية (٥) ، مثلما كان الحال مع كل من

---

(١) Cron. Alfonso III, pp108,117 ; Cron. Rotense, pp612,615 : Chron. Léonaise, pp 386,391.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٢٥ ، ٣١٠ .

(٣) Lacarra, Historia del Reino De Navarra, Caja De Ahorros De Navarra 1975, p 24 ; Sànchez Albornoz, « Vascos y Los Arabes Durante Los Dos Primeros Siglos De La Reconquista » Bol IAEV 1952, 3 pp 65-66 ; Codera, Op. Cit., 7pp 170-171 ; Ibarra y Rodriguez, « La Reconquista De Los Estados Pirenaicos » Hispania 1942, 2 p 9.

(٤) عن فتوحات عبد العزيز فى تلك الناحية ، أنظر . Huerta y Vega, Op. Cit., 2 p 171 ; Ibarra y Rodriguez, Op. Cit., 2 p 9.

(٥) Codera, Op. Cit., 7 p 172.

قسى Casi فى اقليم سرقسطة ، وتيودميرو فى اقليم تدمير ، وان آلـ
بمبلونة فيما بعد الى السيطرة الاسلامية المباشرة فى أيام الوالى عقبة
ابن الحجاج (١) فيما بين عامى ١١٦ – ١٢٠ هـ / ٧٣٤ – ٧٣٩ م .

وعلى هذا النحو ، يكون الوالى عبد العزيز بن موسى قد استكمل فتح بعض ما خلفه والده ، وعلى الأخص الجزء الجنوبى من اقليم جليقية ، دون أن تصل قواته الى اقليم كنتبرية (ألبة والقلاع) ، التى تشير اليها المصادر اللاتينية على انها بقيت دون ان تفتحها القوات الاسلامية ، وظلت السيادة عليها لسكانها (٢) . ولا تزال اسباب اعراض عبد العزيز عن فتح اقليم كنتبرية غامضة ، برغم نشاط قواته فيما يجاوره من اقاليم فى شمال شرقى ايبيريا على امتداد السفوح الجنوبية من جبال البرتات . كذلك فتصمت المصادر عن أية تفصيلات أو معلومات يمكن أن تساعدنا فى التعرف على أسباب تجاهله اياه ، وهو ما لا يمكن تبريره الا فى ضوء ما تعرض له عبد العزيز من متاعب بتألب رؤساء جنده عليه ، لأسباب نقموها عليه ، فاغتالوه فى عام ٩٧ هـ / ٧١٦ م (٣) ، مما ادى الى اضطراب الأمور فى الأندلس وتوقف حركة الفتوح فى ايبيريا بعامة ، بحيث قدر لاقاليم كنتبرية (ألبة والقلاع) أن يظل بعيدا عن السيطرة الاسلامية من دون اقليمي ولاية جليقية الآخرين أى أشتوريس وجليقية .

ومع أن المصادر اللاتينية تعترف بخضوع أشتوريس للمسلمين ، فانها لم تحدد ما اذا كانت قد خضعت لهم عنوة أم صلحا ، ولا شروط الصلح ، وهو امر طبيعى اذ ان مؤلفيها قد اهملوا – كما اشرنا – التأريخ لمراحل وكيفية فتح المسلمين ليس فقط لأشتوريس بل لايبيريا كلها . أما المصادر الاسلامية التى ميزت هذا الجانب واستبان منها أن أشتوريس

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٩ ، مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٩ .

(٢) Cron. Alfonso III, pp108,117 ; Cron. Rotense, pp612,615 ; Chron Léonaise, pp386,391 ; Estoria De Los Godos, 88p 60.

(٣) Cron. Isidore Pacense, Op. Cit., pp 225-226.

– ومعظم اقاليم شمال ايبيريا – قد فتحت صلحا (١) ، وان اهلها قد نالوا عهدا لأنفسهم يقرر ما عليهم من التزامات وما لهم من حقوق ، فانها مع ذلك قد ضنت علينا بنصوص هذا العهد وما اشتمل عليه من شروط كانت تساعدنا فى تحديد طبيعة العلاقة بين المسلمين وسكان أشتوريس بصورة قاطعة .

وعلى الرغم من ذلك فقد أورد بعض المؤرخين المسلمين – حين حديثهم عن فتح شمال ايبيريا – شذرات من المعلومات يستنتج منها أن عهود المسلمين لسكان هذا الشمال بما فيهم سكان أشتوريس ، قد نصت – كغيرها من المعاهدات التى يمنحونها لأهالى ما يفتحونه من بلدان فى اى مكان – على تامين الأهالى على أرواحهم وأموالهم وسائر ممتلكاتهم ، وذلك بدفعهم الجزية(٢) .

كذلك يبدو واضحا من نص المقرى(٣) – الذى يورده عن غير واحد من المؤرخين – الذى يتحدث فيه عن أشتوريس ، أن المسلمين قد اشترطوا فى عهدهم لأهلها تقديم رهائن وضمانات عن طاعتهم ، كانت فى الغالب بعضا أو واحدا من شخصياتهم البارزة . ويبدو أن هذا الشرط كان تقليدا لما كان يحدث فى الدولة القوطية ، التى اعتاد اشرافها أن يبعثوا بأولادهم الذكور والاناث الى بلاط الملك دلالة على ولائهم له(٤) .

وفيما يختص بالأرض الزراعية ، فقد أبقاها المسلمون فى أيدى زراعها ومنتفعيها من السكان(٥) ، دون المساس بها ، مقابل دفع الخراج عنها

---

(١) قارن : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٦٣ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢١١ س ٣ – ٤ ، ٢٠٥ – ٢٠٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٦ ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٢٦ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٢) انظر . الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٥ ، ٢١١ س ٤ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

(٣) نفح ، ٦ ص ٨٢ .

(٤) ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٣١ .

(٥) الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٦ س ٣ .

من غلتها ـ وكان فى الغالب ـ عينا (١) . وان كنا مع ذلك لا نستطيع تحديد قيمته الفعلية لعدم توفر أية بيانات عنه ، ولاختلاف المصادر الاسلامية المتوفرة فى هذا الشأن ، اذ بينما يذكر بعضها أنه كان حسبما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهود خيبر فى نخيلهم وارضهم (٢) ، فان بعضها الآخر ينوه انه كان مثالثة ومرابعة ـ اى ثلث او ربع المحصول ـ كيفما كان طيب الأرض وغلتها (٣) ، ولما كان من الراجح ان الرسول قد صالح يهود خيبر على آداء النصف من غلتهم (٤) ، وليس على أداء الثلث والربع ، الذى يشار انه كره المزارعة بهما (٥) ، فاننا نجد انفسنا امام آراء مضطربة لا تساعدنا فيه غياب نصوص المصالحة ، واختلاف قيمة الخراج من بلد لآخر حسب احكام الصلح ذاته ، ونوعية انتاج الأرض ومدى جودتها ، على تحديد قيمة الخراج الذى صولح أهل أشتوريس عليه .

واذا كان يصعب التدقيق فى المصادر المتوفرة لتقصى ما اشتمل عليه هذا الصلح من شروط وبنود أخرى ، فيما عدا تلك الشروط العامة ، فانه ليس بالامكان ايضا ان نطبق شروط صلح المسلمين مع اهالى الأقاليم الأخرى بايبيريا على تلك التى صالحوا عليها اهل اشتوريس ، اذ يبدو أن شروط المعاهدات قد اختلفت من اقليم لآخر هناك ، وان كان ذلك لا ينفى أن أشتوريس قد فتحت صلحا ، واعتبرت أرضها لذلك أرض صلح تجرى عليها أحكام الصلح التى عقدها المسلمون مع أهلها .

وكان من الطبيعى بعدما فتح المسلمون أشتوريس ، أن يقيموا عليها حاكما يخضع للسلطة المباشرة لوالى الأندلس المقيم فى مدينة قرطبة ، مثلما

---

(١) قارن : الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٥ س ٥ ـ ٦ ، ص ٢١١ س ٤ ـ ٥ .

(٢) أنظر . الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، وأنظر أيضا . Dozy, Recherches, 1 Apen. 3.

(٣) أنظر . الرسالة الشريفية ، ص ٢١١ س ٤ ـ ٦ .

(٤) أنظر . أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ، ١٠٦ ـ ١٠٧ ، القرشى ، الخراج ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٥) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٦٢٦ والمراجع المعطاه .

كان الشأن فى اقاليم ايبيريا الأخرى ، وان كنا لا نعلم هل اقتصرت سلطاته على حكم اقليم اشتوريس وحده ام امتدت الى ما فتحه المسلمون فى اقليم جليقية المجاور له غربا ، وهو أمر لم تزودنا به المصادر الاسلامية على الاطلاق ، وانفردت المصادر اللاتينية وحدها بالتنويه اليه فى ايجاز ، وهو ان كان لا يكفى لتصور متكامل عن كيفية حكم هذا الأمير لأشتوريس ، الا أنه على الأقل يلقى ضوءا على شخصيته ، اذ تشير الى ان المدينة الساحلية Maritimam خيخون Jegione ، التى أصبحت قاعدة اسلامية لأشتوزيس ، كانت فى ذات الوقت مقرا للأمير المسلم الذى اسمته (منوزا) Munnuza (Monnuza) (١) ، أو حتى (منيز) Munniz (٢) ، وجعلته عربى الأصل (٣) ، ورفيقا لطارق بن زياد (٤) ، واحد قواد اربعة ـ لم تذكر اسماءهم ـ دخلوا ايبيريا وشاركوا فى فتحها (٥) ، وانه رافق القوات الاسلامية حتى أقصى الشمال الايبيرى (٦) .

---

(١) Chron. Sebastiani, p 480 No. 11 ; Cron. Alfonso III, pp66, 108 ; Chron. Silense, p 275 No. 25 ; Chron. Albeldense, p 450 No. 51 ; Chron. Rotense, p 612 ; Chron. Leonaise, p 387.

(٢) Chron. Isidore Pacense, ed. Florez, p 309 No. 58

(٣) Chron. Sebestiani, p 480 No. 11 ; Cron. Alfonso III, p 66 وانفردت مدونتا Isidore Pacense, (p 309) Silense (p 275) بالقول أنه كان من جنس المور Maurorum وهى تسمية عامة كان يطلقها المؤرخون اللاتين على المسلمين باسبانيا سواء كانوا عربا أم بربرا بسبب أن المسلمين قد جاؤهم عن طريق الشمال الافريقى .

(٤) Cron. Rotense, p 612 ; Cron. Alfonso III, p 108.

(٥) Chron. Sebastiani, p 480 ; Cron. Alfonso III, p 66 ; Chron. Leonaise, p 387.

(٦) Chron, Isidore Pacense, Op Cit, p 310 No. 58.

اما المصادر الاسلامية فلم تزودنا بأسماء رفاق طارق سواء فى عبوره الى ايبيريا او فى حملته الى اشتوريس ذاتها (١) ، لنتبين منهم ما اذا كان منوزا Munnuza – منيز Munniz – قد رافقه ام لا . ولكنها قد امدتنا فقط بأسماء بعض رفاق موسى بن نصير ، الذين جازوا معه الى ايبيريا وشاركوه فى الفتح ، ومنهم تابعى يدعى المنيذر (منيذر – المنذر) الافريقى (٢) . فالمنيذر لأنه كان من احداث الصحابة (٣) ، والافريقى لأن أباه وكان صاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدث بافريقية (٤) ، وعاش المنيذر نفسه بها فنسب اليها (٥) ، وان كان هذا النسب لا ينفى اصله العربى (٦) ، فضلا عن ان افراد الجيش ، الذى عبر به موسى الى ايبيريا ، كانوا عربا ولا نعرف انه اصطحب معه من البربر احدا.

وبمقابلة الروايات اللاتينية والاسلامية السابقة يمكننا القول بان اسم منوزا Munnuza – منيز Munniz – اللاتينى لم يكن اسما

---

(١) لا نعرف سوى مغيث الرومى – الذى ذكرناه من قبل – فاتح مدينة قرطبة ، ثم اوفده موسى بن نصير فيما بعد الى الخليفة الوليد ابن عبد الملك بدمشق ليعلمه بخبر فتح البلاد ، وعندما عاد اليه رافقه فى حملته الى أشتوريس ، ثم غادر مع موسى وطارق الى دمشق ثانية .

(٢) عنه قارن : ابن عبد البر ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ٤ ص ١٤٨٥ رقم ٢٥٧١ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٤ ص ٤ – ٥ ، ابن الأبار ، التكملة ، ٢ ص ٧٣١ رقم ١٨٤٧ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٢ ، الحميرى ، صفة ، ص ٣ – ٤ .

(٣) المقرى ، نفح ، ٤ ص ٤ .

(٤) المقرى ، نفسه ، ٤ ص ٥ . ويلاحظ ان المصادر المذكورة اعلاه جعلت المنيذر نفسه صاحبا لرسول الله ، وانه – وليس والده – هو الذى حدث بافريقية ، وما لا يجعلنا نركن الى ذلك انه بعملية حسابية بسيطة يكون المنيذر قد جاوز المائة عام حينما قتل عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م او عام ١١٤هـ/ ٧٣٢ م كما سيجئ بيانه – وهو امر وان كان جائز الوقوع ، الا ان الأقرب الى الاحتمال ما جاء عن البخارى بنسبة ذلك الى أبى المنيذر .

(٥) انظر . هامش ٢ اعلاه .

(٦) كان يمانيا من مذجج او غيرها ، انظر . المقرى ، نفح ، ٤ ص ٤ س ٦ من أسفل ، ص ٥ س ٨ .

لمكان كما ذهب البعض من المؤرخين المحدثين (١) ، وانما هو لشخصية ، لم تكن بربرية حسبما اعتقد بعض آخر (٢) ، وانما عربية الأصل . ونعتقد انه لا حرج فى القول ان صاحبها هو ذاته المنيذر – منيذر ، المنذر – الوارد فى المصادر الاسلامية .

ثم انه لما كان هذا المنيذر قد قدم الى ايبيريا فى عام ٩٣ هـ / ٧١٢م مع موسى بن نصير ، واشترك معه فى الفتح ، وانه لم يتول ولاية الاندلس ، وانما اصبح اميرا على اقليم اشتوريس وحده ، فيكون هو ذاته ايضا الذى اوفده موسى الى مدينة خيخون Jegione لفتحها ، واتخاذها قاعدة اسلامية لاقليم اشتوريس ، ثم مات مقتولا باشتوريس نفسها عام

---

(١) منهم : الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ، واعتقدوا انها اسم لمدينة قد تكون ماسون Maçon الفرنسية على نهر الرون Rhone او منرسيا Manresa بجنوب فرنسا ، قارن : مؤنس ، فجر ، ص ٢٥٠ ، ٣١٦ حاشية ١ ، عنان ، دولة الاسلام ، العصر الاول ، القسم الاول ، ص ٨٤ . هذا وقد اعتمد اصحاب هذا الراى على روايتين غامضتين وردتا فى مصدرين اسلاميين ، لا تقفان وحدهما دليلا كافيا لتبرير رايهم ، وردت العبارة الأولى فى البيان المغرب لابن عذارى (٢ ص ٢٨) حين الحديث عن ولاية الهيثم بن عبيد الكنانى للأندلس (محرم ١١١ هـ – ١١٣ هـ) وتقول انه : « غزا منوسة » ، وأورد الثانية ابن خلدون فى عبره ، ونقلها عنه المقرى (نفح ، ١ ص ٢٢٠) ، ومؤداها أن نفس الوالى « غزا أرض مقوشة ففتحها » .

(٢) لعل أبرز هؤلاء المؤرخين : Saavedra, Invasion, p 118, Lévi-Provençal, Histoire, 1p 60 No. 1 ; Dozy, Histoire, 1p 160, 2p 169; Valdeavellano, Op. Cit., 1p 370 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 p10 ; Lafuente, Ajbar Machmuâ, Apen. 3 pp 231-232. مؤنس ، فجر ، ص ٨٥ حاشية ٣ ، ٢٥٠ – ٢٥١ ، ٣١٥ ، عنان ، نفسه ، ص ٤١٨ ، على حبيبة ، مع المسلمين ، ص ٩٥ حاشية ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٤١ ، محمد دياب ، تاريخ العرب فى أسبانيا ، ١ ص ٣٩ ، ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٥١ . وجدير بالذكر أن هؤلاء قد اعتمدوا على ما رواه ايزيدور الباجى Isidore Pacense, ed. Florez, 8 p 309 No. 58. ، من أن طارقا كان من جنس المور Maurorum وقد سبق مناقشتها .

١٠٣ هـ / ٧٢٢ م او عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م – كما سياتى بيانه بعد – دون ان يغادر الأندلس . ولا يكون هناك كذلك محل لما ذهب اليه فريق ثالث من المؤرخين المحدثين(١) ، الذين خلطوا بينه وبين احد ولاة الأندلس وهو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى ، على اعتبار أن أبى نسعة – فى رايهم – يسهل تحريفه الى منوزا Munnuza . ووجه الاعتراض يكمن فى ان عثمان هذا لم يقدم الى الأندلس عام ٩٣ هـ / ٧١٢ م مثل المنيذر ، وانما فى شعبان عام ١١٠ هـ / ٧٢٨ م ومع انه تولى ولاية الأندلس كلها – وليس اشتوريس وحدها – فان ولايته لم تستمر سوى خمسة أو ستة أشهر ، عزل بعدها وظل بالأندلس حتى انصرف عنها عام ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م الى شمال افريقية، حيث توفى هناك(٢) ، وذلك بعد مقتل منوزا (المنيذر) باحدى عشرة سنة على الأقل .

ومن ناحية أخرى ، فلا نعلم كيفية وطبيعة استقرار المسلمين فى اشتوريس بعد أن فتحوها ، وهى ناحية تضيع سدى محاولات استيضاحها أو التعرف عليها ، وذلك لصمت المصادر اللاتينية والاسلامية المتوفرة تجاهها صمتا تاما ، فيما عدا اشارة غامضة اوردها المؤرخ الاسلامى المقرى(٣) ، تنوه بأنه أثناء فتح أشتوريس – ومنطقة الشمال الايبيرى بعامة – كانت كل جماعة من العرب والبربر تستقر فى المواضع التى كانوا يستحسنونها وينزلون بها قاطنين ، وهى عبارة وان لم تحدد نوعية هذه المواضع أو كيفية استقرار المسلمين بها ، الا أنه من المعتقد أن تكون أراضى غير مأهولة ، اذ أبقى المسلمون – كما نعلم – على الأراضى الزراعية فى اشتوريس بأيدى اهلها دون انتزاعها منهم . مما يرجع

---

(١) على رأسهم : Caveda, Op. Cit., pp61-62 ; Scott, The Moorish Empire, 1 pp 343-344 ; Velasco, Guadalete y Covadonga p 183 : Condé, Op Cit, 1 pp 230-231 ; Somoza, Op Cit ; Danham, Op Cit, 1 p 105 Sqq. pp 494-497. محمد دياب ، تاريخ العرب فى اسبانيا ، ١ ص ٣٩ .

(٢) عنه قارن : ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٨ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٤ ص ١٦ ، أخبار مجموعة ، ص ٤٦ ، ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٤٥ . وان اختلف عما اذا كان قد مات بالقيروان أم بطنجة .

(٣) أنظر . نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

ان ما نزل به المسلمون من اراضى كانت ضياعا مملوكة لدولة القوط او الكنائس والأديرة فصارت قطائع للمسلمين الذين اقاموا فيها ، يؤخذ منهم خراجها ، الذى لم يكن يقل بطبيعة الحال عن الحد الأدنى وهو عشر الانتاج .

واذا كانت عبارة المقرى السابقة تسمح بالقول أن المسلمين عربا وبربر قد استقروا سويا فى اشتوريس ، فهناك نص اسلامى آخر يدل على ان أعداد البربر منهم قد فاقت أعداد العرب(١) . وان كان اعتقادنا ان استقرار المسلمين بصفة عامة فى أشتوريس ، لم يكن بالكثافة التى كانت فى اقاليم وسط وجنوب شبه الجزيرة ، ربما بسبب بعد اشتوريس عن الشمال الافريقى الذى وفدوا منه ، او لأنها لم تكن تكافىء اقاليم الوسط والجنوب الايبيرى فى اعتدال مناخها وخصوبة اراضيها ، وما يتبع ذلك من وفرة الانتاج وتنوعه ، فضلا عن طبيعتها الجبلية الوعرة وتعقد تضاريسها .

ومن ناحية أخرى ، فليس هناك ما يوضح مدى اختلاط سكان اشتوريس بهؤلاء المسلمين المقيمين بينهم ، رغم قلة أعدادهم . فلم نسمع عن تزاوج أو اختلاط بين الجانبين مثلما كان الحال أيام الرومان ومن بعدهم القوط ، أو حتى مثلما كان عليه الحال فى أقاليم ايبيريا الأخرى ، التى سرعان ما ظهرت فيها أجيال مولدة – عرفت بالمولدين – نتيجة للاختلاط القوى بين المسلمين وسكان البلاد حتى ازدادت أعداد تلك الأجيال على مر السنين وغلبت على ما عداها من العناصر الأخرى . اما فى اشتوريس فان الحالة الوحيدة – لو صدقت – التى أراد فيها حاكم المنطقة – المنيذر – الزواج من احدى نبيلات القوط ، قد لاقت معارضة قوية من جانب الأخيرين حتى كانت من عوامل اثارتهم وتمردهم عليه ، وهو ما يسمح بالقول أن الجانبين ظلا متباعدين دون أن يختلطا ، فصار المسلمون هناك فى شبه عزلة عن السكان ، وهو أمر استتبعه عدم اقبال السكان على اعتناق الاسلام، أو التخلى عن نمط حياتهم الذى كان لا يزال

---

(١) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٣٨ س ٥ – ١١ ، ص ٣٩ س ١ – ٢ من أسفل ، ص ٤٠ س ١ .

١٠٣ هـ / ٧٢٢ م او عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م – كما سياتى بيانه بعد – دون ان يغادر الأندلس . ولا يكون هناك كذلك محل لما ذهب اليه فريق ثالث من المؤرخين المحدثين(١) ، الذين خلطوا بينه وبين احد ولاة الأندلس وهو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى ، على اعتبار أن أبى نسعة – فى رأيهم – يسهل تحريفه الى منوزا Munnuza . ووجه الاعتراض يكمن فى أن عثمان هذا لم يقدم الى الأندلس عام ٩٣ هـ / ٧١٢ م مثل المنيذر ، وانما فى شعبان عام ١١٠ هـ / ٧٢٨ م ومع انه تولى ولاية الأندلس كلها – وليس اشتوريس وحدها – فان ولايته لم تستمر سوى خمسة أو ستة اشهر ، عزل بعدها وظل بالأندلس حتى انصرف عنها عام ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م الى شمال افريقية، حيث توفى هناك(٢) ، وذلك بعد مقتل منوزا (المنيذر) باحدى عشرة سنة على الأقل .

ومن ناحية أخرى ، فلا نعلم كيفية وطبيعة استقرار المسلمين فى أشتوريس بعد أن فتحوها ، وهى ناحية تضيع سدى محاولات استيضاحها أو التعرف عليها ، وذلك لصمت المصادر اللاتينية والاسلامية المتوفرة تجاهها صمتا تاما ، فيما عدا اشارة غامضة أوردها المؤرخ الاسلامى المقرى(٣) ، تنوه بانه أثناء فتح أشتوريس – ومنطقة الشمال الايبيرى بعامة – كانت كل جماعة من العرب والبربر تستقر فى المواضع التى كانوا يستحسنونها وينزلون بها قاطنين ، وهى عبارة وان لم تحدد نوعية هذه المواضع أو كيفية استقرار المسلمين بها ، الا أنه من المعتقد أن تكون أراضى غير مأهولة ، اذ أبقى المسلمون – كما نعلم – على الأراضى الزراعية فى اشتوريس بايدى اهلها دون انتزاعها منهم . مما يرجح

---

(١) على رأسهم : Caveda, Op. Cit., pp61-62 ; Scott, The Moorish Empire, 1 pp 343-344 ; Velasco, Guadalete y Covadonga p 183 ; Condé, Op Cit, 1 p 105 Sqq. ; Danham, Op Cit, 1 pp 230-231 ; Somoza, Op Cit pp 494-497. محمد دياب ، تاريخ العرب فى اسبانيا ، ١ ص ٣٩ .

(٢) عنه قارن : ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٨ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٤ ص ١٦ ، أخبار مجموعة ، ص ٤٦ ، ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٤٥ . وان اختلف عما اذا كان قد مات بالقيروان أم بطنجة .

(٣) أنظر . نفح ، ١ ص ٢٥٨ .

ان ما نزل به المسلمون من اراضى كانت ضياعا مملوكة لدولة القوط او الكنائس والأديرة فصارت قطائع للمسلمين الذين اقاموا فيها ، يؤخذ منهم خراجها ، الذى لم يكن يقل بطبيعة الحال عن الحد الأدنى وهو عشر الانتاج .

واذا كانت عبارة المقرى السابقة تسمح بالقول أن المسلمين عربا وبربر قد استقروا سويا فى أشتوريس ، فهناك نص اسلامى آخر يدل على أن أعداد البربر منهم قد فاقت أعداد العرب(١) . وان كان اعتقادنا ان استقرار المسلمين بصفة عامة فى أشتوريس ، لم يكن بالكثافة التى كانت فى اقاليم وسط وجنوب شبه الجزيرة ، ربما بسبب بعد أشتوريس عن الشمال الافريقى الذى وفدوا منه ، او لأنها لم تكن تكافىء اقاليم الوسط والجنوب الايبيرى فى اعتدال مناخها وخصوبة اراضيها ، وما يتبع ذلك من وفرة الانتاج وتنوعه ، فضلا عن طبيعتها الجبلية الوعرة وتعقد تضاريسها .

ومن ناحية أخرى ، فليس هناك ما يوضح مدى اختلاط سكان أشتوريس بهؤلاء المسلمين المقيمين بينهم ، رغم قلة أعدادهم . فلم نسمع عن تزاوج أو اختلاط بين الجانبين مثلما كان الحال أيام الرومان ومن بعدهم القوط ، أو حتى مثلما كان عليه الحال فى أقاليم ايبيريا الأخرى ، التى سرعان ما ظهرت فيها أجيال مولدة – عرفت بالمولدين – نتيجة للاختلاط القوى بين المسلمين وسكان البلاد حتى ازدادت أعداد تلك الأجيال على مر السنين وغلبت على ما عداها من العناصر الأخرى . اما فى أشتوريس فان الحالة الوحيدة – لو صدقت – التى أراد فيها حاكم المنطقة – المنيذر – الزواج من احدى نبيلات القوط ، قد لاقت معارضة قوية من جانب الأخيرين حتى كانت من عوامل اثارتهم وتمردهم عليه ، وهو ما يسمح بالقول أن الجانبين ظلا متباعدين دون أن يختلطا ، فصار المسلمون هناك فى شبه عزلة عن السكان ، وهو أمر استتبعه عدم اقبال السكان على اعتناق الاسلام، أو التخلى عن نمط حياتهم الذى كان لا يزال

---

(١) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٣٨ س ٥ – ١١ ، ص ٣٩ س ١ – ٢ من أسفل ، ص ٤٠ س ١ .

رومانيا فى اغلبه ، فتباعدت وجهة نظرهم عن وجهة نظر المسلمين ، ونظر كل منهما الى الآخر بعين الريبة والشك فانعدمت الثقة بينهما انعداما ساعد على سهولة اثارة أى منهما ضد الآخر .

كذلك فقد كان التجاء العناصر القوطية بين سكان المنطقة عاملا هاما من عوامل وقوع الجفوة واتساع الهوة بين هؤلاء السكان وبين المسلمين ، اذ كانت معظم هذه العناصر من النبلاء القوط صاحبة الجاه الفاحش والسلطان العريض قبل سقوط دولتهم على ايدى المسلمين فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، او من رجال الدين الذين كانت ثرواتهم المادية تفوق التصور (١) ، وكان نفوذهم السياسى يعلو نفوذ النبلاء ذاتهم ، بحيث كان رجال الدين هم الذين يسيرون الدولة ويستبدون بشئونها ، حتى وصفت ايبيريا على عهد القوط بدولة يركبها القساوسة A Priest Ridden State (٢) ، ولكل ذلك فما كان أولئك النبلاء ورجال الدين القوط — وهما جناحا الطبقة الارستقراطية فى مجتمع ايبيريا على عهد القوط — يقتنعوا بضياع ثرواتهم الهائلة وسلطانهم العريض ومكانتهم الاجتماعية المتميزة فتربصوا بالمسلمين الدوائر ، وتحينوا الظروف للانتقام منهم ، وكان الشعب هو وسيلتهم لتحقيق تلك الغاية ، ومن ثم عملوا على ان يغرسوا فيه روح البغضاء والكراهية للمسلمين حتى يباعدوا بينهما ، ولم يتوانوا عن اثارته ضدهم بحجة الدفاع عن المسيحية وانقاذها . وهكذا تلاقى الطرفان المسيحيان — القوط والاسبان — فى كل واحد على قضية مشتركة هى المسيحية ، واندمجا فى بيئة واحدة ، حتى صار تاريخ القوط منذ ذلك الحين فصاعدا هو تاريخ الشعب الاسبانى أو الايبيرى .

وجمل القول ، فان المسلمين قد فتحوا اقليم أشتوريس فى أواخر

---

(١) السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٦٣ — ٦٤ ، طرخان ، دولة القوط ، ص ١٥٥ .

(٢) ماجد ، العلاقات ، ص ٣٠ — ٣١ ، وعن نفوذهم السياسى ، انظر أيضا . طرخان ، نفسه ، ص ١٤١ — ١٥٤ .

عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، واستقرت امورهم بها على الأقل حتى عام ٩٩ — ١٠٠ هـ / ٧١٨ م ، ولم يكن ما واجههم بها ، فيما بعد هذا التاريخ ، من قلاقل واضطرابات ناتجا عن تقصير منهم فى فتحها ، ولا عن تركها احتقارا لها او اهمالا ، او حتى زهدا فيها لبرودتها وعدم ملاءمتها لسكناهم ، وانما بسبب عوامل وظروف أخرى سنتبينها فيما يلى .

البَابُ الثانى

المقاومة الاسبانية فى طور التكوين

الفصل الأول

بلاجيوس وبدايات المقاومة فى اقليم أشتوريس

المنتصرين دائما – واشاروا اليها قائلين : « ثلاثون علجا ما عسى ان يجىء منهم ! » (١) .

وكان من نتيجة ذلك أن اختلف المؤرخون المحدثون بدورهم حول بداية هذا النشاط المسيحى المضاد للمسلمين باشتوريس ، وحول اصل القائد الذى تمكن أن يوحد ويثير كلا من بقايا القوط الجرمان التى الجاها اكتساح المسلمين لايبيريا الى اشتوريس ، مع سكانها اللاتين الذين كان قد تداول حكمهم الرومان اللاتين والسويف ثم القوط الجرمان . وسجل التاريخ لهؤلاء السكان اللاتين والقوط مقاومة رجحت فيها كفتهم على المسلمين ، وامتدت آثارها بعد حين من الدهر لتشمل تحرير اشتوريس ثم كل ايبيريا من المسلمين ، دون ان تقع ايبيريا فريسة لقوى اجنبية مرة اخرى .

هذا وتعزى المصادر اللاتينية اساس المقاومة ضد المسلمين فى اشتوريس لشخصية بلاجيوس Pelagius ، وقدمته على انه ابن لدوق اسمه فافيلا Favila (Fafila) (٢) . وان لم يشذ عن هذا الاجماع سوى احدى نسخ مدونة البلدة Albeldense وهى أقدم المدونات

---

(١) انظر . المقرى عن الرازى ، نفس الصفحة والمكان ، وعن ابن حيان ، نفس الصفحة والمكان ، أخبار مجموعة ، نفس الصفحة والمكان . وان اعترفوا بالخطورة التى نجمت عن هؤلاء المعارضين فيما بعد ، وعن ذلك أنظر . الروايات التى ينقلها المقرى عن الرازى وابن حيان والمسعودى وابن سعيد ، نفح ، ٤ ص ١٦ ، ٦ ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) Chron Sebastiani, p 479 No. 8 ; Chron. Lusitanum, Cron. Alfonso III, p 62 ; Emilianense Codice, Esp. Sagr., 13 p 449 No. 1 ; 13 p 402 وانظر ايضا . مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٦ ، وان كنا لا نرى ما يراه الدكتور مؤنس (فجر ، ص ٣٢٧) أن صاحب فتح الأندلس قد أخطأ فى نسب بلاجيوس ، وانظر أيضا ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٧٩ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٦٣ ، ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٢ ، وان كان هو الوحيد من بين المؤرخين المسلمين القدامى الذى يجعل فافيلا هذا دوقا ، وربما يرجع ذلك الى أنه استقى معلوماته من مدونة الفونسو العاشر AlfonsoX اللاتينية ، أما الرازى وابن حيان فقد آثرا الصمت عمن يكون والد بلاجيوس .

اللاتينية – اذ جعلته ابنا لشخص آخر اسمه برموند Veremundi (١) دون أن تذكر تفصيلات عنه . ولأنها النسخة الوحيدة التى انفردت بذلك ، فضلا عما هو معروف عن دقة مؤلف المدونة وايجاز عباراته بدرجة لا يحتمل معها أن يناقض نفسه ، فقد أكد بعض المؤرخين المحدثين أن هذا لا يعدو الا ان يكون خطا فى النسخ (٢) وهو خطا سايرتها فيه مدونة اخرى هى مدونة بروفتيكا Profetica (٣) ، التى زادت الامر خلطا فجعلته برمود Veremudi بدلا من برموند . فى حين آثرت مدونة سيلوس Silense (٤) الصمت فلم تتعرض لأصل بلاجيوس Profetica ، وان كان يتضح من روايتها جليا انها تشير الى القوط مما يوحى بان الرجل كان قوطيا .

وفى الوقت الذى لم يشذ فيه احد من المؤرخين المحدثين (٥) عن الاجماع بان بلاجيوس كان قوطيا وانه ابن لفافيلا ، فان اجماعهم كان بداية لاختلافهم عمن يكون والد فافيلا ، والى أى جنس من الأجناس ينتمى . وقد نشأ هذا الخلاف من عدم وضوح الصورة فى المصادر اللاتينية ، فضلا عن اضطرابها لانها لم تهتم بابراز أصل فافيلا بطريقة مباشرة ،

---

(١) Esp. Sagr. 13 p 449 No. 47 ; Huici, Op. Cit., 1p 156

(٢) Cabal, Op. Cit., pp 242-3 ; Caveda, Op. Cit., p 49 ; Quadrado, Op Cit., p 18 No. 2.

(٣) Ed. Moreno, Op. Cit, p 628.

(٤) Ed. Florez, Op. Cit., 17 pp 273-275.

(٥) Quadrado, Op. Cit., p 18 ; Risco, Esp. Sagr., 37 p 60 No. 83 ; Velasco, Op. Cit., p 180 ; Caveda, Op Cit, pp 49-50 ; Saavedra, Pelayo, p24 ; Danham, Op Cit, 2 p 121 ; Barrau-Dihigo, Recherches, p 115 ; Sanchez Albornoz, Origénes, 2 pp 8,79 ; Altamira, A History of Spain, p 101 ; Williams, The Historians History, 10 p 38 ; Coppée, Op. Cit, 1 p 398 ; Urbel, Op Cit, p 24 ; Lévi-Provençal, Histoire, 1p 66 . Setton, Op Cit, 1p 32 ; Bleye, Op Cit, 1 p 477 ; Cayetano, Op. Cit. p 17 ، مؤنس ، فجر ، ص ; Lafuente, Ajbar Machmuâ, apen. 3, p 229 ٣٣٣ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢٠٥ .

فيما بينها ولذلك يتطلب الأمر تجميع الاشارات المتفرقة الواردة عنه فى هذه المصادر ومقارنتها بعضها ببعض ، لاستخلاص ما يمكن بشأن اصل ونسب فافيلا والد بلاجيوس .

فقد جعلت مدونتا سباستيان Sebastiani (١) ، والفونسو الثالث Alfonso III (٢) ، فافيلا Favila والد بلاجيوس Pelagius من اصل ملكى . وطبقا لمدونة توى Tudense (٣) فهو ابن للملك القوطى تشنداسفنت Chindasvinthus (٤) (٦٤٢ – ٦٥٣ م) . وفى الوقت الذى ذكرت فيه مدونة سيلوس Silense (٥) ان ثيودوفريد Theudofredus من أصل ملكى قوطى ولم تحدد اسم والده ، فان مدونات روتنسى Rotense (٦) ، والفوسو الثالث Alfonso III (٧) وليون Léonaise (٨) بعد ما أوضحت هى الاخرى أن ثيودوفريد Theudofredus من اصل ملكى ، اضافت انه ابن للملك تشنداسفنت Chindasvinthus ايضا ، وانه تزوج من ريسيلونا Ricilona (Rizilona) التى أنجب منها رذريق Rudericus ، آخر ملك قوطى (٩) . ومن ذلك يمكن القول بأن فافيلا Favila وثيودوفريد Theudofredus اخوان ، وأنهما من أصل قوطى جرمانى ، وينتسبان الى الأسرة الملكية ، اذ هما ابنان للملك القوطى تشند اسفنت Chindasvinthus .

---

(١) Ed. Huici, Op Cit, 1p 206.
Ed. Florez, Op Cit, 13 p 479 No. 8 ; Ed. Huici, Op Cit, 1p 206.

(٢) Ed. Villada, p 62.

(٣) Cron. de Espana de Lucas de Tuy, ; Ed. Puyol, Madrid 1926, p 272. وقد علق الدكتور مؤنس على قول مؤلف المدونة بأن فافيلا ابن لتشنداسفنت ، بأنه زعم منه رغبة فى أن يجعل بلاى – بلاجيوس – سليلا للبيت القوطى ، أنظر . فجر ، ص ٣١٩ .

(٤) عنه ، أنظر . Diccionario, 1 p 847

(٥) Ed. Huici, Op Cit, 2 p 34 ; Ed. Florez, Op Cit, 17 p 270.

(٦) Ed. Moreno, Op Cit, pp 611, 612.

(٧) Ed. Villada, Op Cit, pp 105,106

(٨) Ed. Cirot, Op Cit, p 385.

(٩) انظر ايضا Bradley, Op Cit, p 385 ; Cabal, Op Cit, p 189.

ولما كان مؤكدا أن الملك القوطى تشنداسفنت Chindasvinthus الذى تولى العرش فيما بين ١٠ مايو ٦٤٢ واول اكتوبر ٦٥٣ م ، قد انجب ابنا ثالثا هو رسسفنت Recesventhus ، الذى خلفه على عرش المملكة القوطية، وتوفى اول ديسمبر عام ٦٧٢ م (١) . فضلا عن وجود نقش خاص بمقبرة الملكة رسيبرجا Reciberga ينص على أنها قد تزوجت الملك القوطى تشنداسفنت Chindasvinthus ، وهى فى الخامسة أو السادسة عشر ، وانه توفى فى الثمانين ، بعد سبع سنوات فقط من زواجهما (٢) فقد رأى فريق من المؤرخين المحدثين(٣) ، أن فافيلا Favila وثيودوفريد Theudofredus ورسسفنت Recesventhus هم أبناء للملك القوطى تشنداسفنت Chindasvinthus من زوجته رسيبرجا Reciberga .

وكاد الأمر يستقر على هذا النحو لو لم يعترض فريق آخر من المؤرخين المحدثين (٤) ، الذين ترسموا خطى احدى المدونات اللاتينية المتأخرة ، وهى مدونة دون رودريجو Don Rodrigo (٥) ، التى لم تجعل ثيودوفريد Theudofredus – أخ فافيلا – ابنا للملك تشنداسفنت Chindasvinthus كما ذهبت المدونات الأقدم منها – وانما انفردت بالقول انه ابن للملك رسسفنت Recesvinthus . ويؤيدها فى ذلك ، ما أشار اليه المؤرخ الاسبانى الحديث كافيدا Caveda (٦) ، بوجود مخطوطة قوطية تحوى نفس مضمون النقش الخاص بمقبرة الملكة رسيبرجا Reciberga – المشار

---

(١) Chron. Regum Visigothorum, ed. Florez, Esp. Sagr. 2 pp 170. 177,180 ; Chron. Isidore Pacense, Op Cit, 8 p 290 No. 15 ; Chron Albeldense, Op Cit, 13 p 448 ; Migne, Op Cit, 129 p 1135.

(٢) عن النقش ونصه ، انظر Morales, Op Cit, 3 p 138 ; Caveda, Op Cit, pp 50-51.

(٣) انظر . Risco, Esp. Sagr., 37 p 56 No. 77 ؛ ومنهم أيضا Mariana و Morales ، وعن آرائهما ، أنظر . Caveda, Op Cit, p 51

(٤) منهم : Thompson Ferrerus, Don. Vicente,

(٥) Cron. de Espana del Don Rodrigo, Ed. de La Fuensanta, Col. DIHE Madrid 1893 ; 105 p 190 أنظر أيضا Saavedra, Pelayo, p 24.

(٦) Restauracion, pp 50-51.

وسقوط عاصمتهم . ثم يعود ليناقض نفسه بالقـول بانه فى ذات الوقت الذى انقرضت فيه أمة القـوط ، ياوى من بقى من امم العجم ـ وهم فى راى يشتملون على القـوط ـ مع الجلالقة للتحصن فى الجبال (١) . ويبدو ان تفسير هذا الخلط يكمن فى ان ابن خلدون ، وكان يكتب فى القرن ٨ هـ / ١٥ م ، اراد ان يشير الى القوط فى عهدين مختلفين احدهما يتعلق باحوالهم وقت الفتح الاسلامى لايبيريا حينما صورهم يلتجئون الى الجبال للتحصين بها مع الجلالقة ، والآخر يتعلق بهم فى القرن ١٥ م / ٨ هـ وكانوا بالطبع قد اندمجوا وانصهروا مع السكان الأصليين .

وربما يوحى قوله « انما هو ملك مستجد فى امة اخرى » انه يقصر الملك والرئاسة وليس الأمة ذاتها ، وهو ما نشايعه فيه ، اذ لا يختلف اثنان فى امكانية زوال الملك والسيادة واحيائهما فى أمة أخرى ، وهو ما حدث حينما حل المسلمون محل القـوط فى شبه الجزيرة الايبيرية ، ولا يمتد قوله ليشمل ذلك الجزء الضئيل الذى استعاده القـوط وسكان أشتوريس اللاتين من المسلمين فى أشتوريس فيما بعد ، اذ سنرى ان استعادتهم له كانت تمثل احياء لسيطرة القوط ، وهو ما يتنافى مع قول مؤرخنا .

ثم ان قوله « وقل ان يرجع امر بعد ادباره » فيه اعتراف منه باستثناء تطبيق قاعدته فى بعض الأحوال ، وهو ما تحقق للقوى المسيحية المناهضة للمسلمين باشتوريس ، ولم يصدق قانونه هذه المرة . وأخيرا فلو افترضنا جدلا اندثار امة القـوط وملاكها ، فهل ذلك بمبرر كاف عند ابن خلدون لكى يقطع بعدم قوطية بلاجيوس .

وعلى كل فقد تخطى المؤرخون المسلمون الآخرون تعقيدات الخوض فى نسب بلاجيوس وأصله ، وآلوا على أنفسهم ألا يتخذوا موقفا واضحا صريحا ، فاكتفوا بالقـول أنه قد« قام بارض جليقية علج خبيث يدعى بلاى »(٢) او « ولم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فانه لاذ بها

(١) العبر ، ٤ ص ١١٨ .
(٢) انظر . المقرى عن ابن حيان ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، وعن الرازى ، نفسه ، ٦ ص ٨٣ .

ملك يقال له بلاى » (١) ، او « فانه لجأ اليها ملك جليقية » (٢) او حتى « فاما الصخرة فلم يبق فيها مع ملك جليقية سوى ثلاثمائة رجل » (٣) .

ويلاحظ أولا على رواياتهم طابع التعميم دون التخصيص ، اذ أن الصخرة التى التجأ اليها بلاجيوس Pelagius وجماعته ليست فى جليقية Galicia ، وانما فى أقصى الطرف الشرقى من أشتوريس ، والى الجنوب الشرقى من مدينة خيخون Gigone ، وتحتل جزءا باحدى القمم الغربية لجبال قمم أوربا Los Picos de Europa التى تمثل امتدادا غربيا لجبال كنتبرية La Cardillera Cantabrica ، وعلى ذلك فلم يفرق هؤلاء المؤرخون فيما بين اشتوريس وجليقية (٤) ـ حسبما اشرنا آنفا ـ بل جعلوا الأولى ضمن الثانية على اعتبار أنها كانت جزءا من ولاية جليقية الرومانية .

اما جعلهم بلاجيوس ملك جليقية ، فلا يمكن بحال أن يفسر على أنه كان من مواطنيها ، اذ ليس لزاما ان يكون الملك من نفس مواطنى المنطقة أو حتى من نفس الجنس ، وهو ما يؤكده ابن الخطيب ـ ناقلا عن مدونة الفونسو العاشر القشتالية ـ بقوله : « وان كان ـ اى بلاجيوس ـ غريبا عن ارضه » (٥) . وربما يقصدون بجعله ملكا انه ينتسب الى اسرة ملكية ، وهو ما يتفقون فيه مع المدونات اللاتينية ، وان اختلفوا معها فى القول بانه ليس قوطيا .

وعلى كل فانه كما لم يتعمق المؤرخون اللاتين الأوائل فى دراسة احوال المسلمين فى تلك الفترة ، وبخاصة فيما يتعلق بامر أنسابهم ، ولم يعرفوا

(١) انظر . أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، وأنظر أيضا . ارسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٥٨ .
(٢) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٩ .
(٣) نفسه ، ص ١٢ .
(٤) انظر . الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ١٠٧ . وأنظر أيضا : الادريسى ، نزهة ، ص ٢٥٠ (طبعة ١٥٩٢) ، الذى يجعل بنبلونة ضمن جليقية على أنها لم تكن كذلك .
(٥) تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ .

عنهم فى هذا الخصوص الا معلومات جد سطحية ، فانا لا نعدو الحقيقة اذا ما قلنا ان المؤرخين المسلمين بدورهم كانوا على هذه الشاكلة ، ولم يعرفوا او يعنوا كثيرا بامر انساب هؤلاء الخصوم قدر عنايتهم بشئون الحرب والسياسة معهم .

ومن هنا فان المصادر اللاتينية اوثق صلة واقوى ارتباطا بهذا الجانب من مثيلاتها الاسلامية ، وهى برغم ايجازها واضطرابها احيانا فانها تكاد تكون واضحة فى تحديد نسب هذا الزعيم القوطى ، كما انها اقدم من المصادر الاسلامية ، وليس من المستبعد ان يكون آباء مؤلفى معظمها - وهم الذين كانوا يدونون فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى - قد عرفوا اناسا عاصروا الفترة الأخيرة من عهد بلاجيوس على الأقل ، ان لم يكن فترة توليه الرئاسة باشتوريس . وبذلك كانوا يعرفون أخبارا ومعلومات قاطعة عن نسبه وأصله ، وزودوا بها مؤرخيهم ، ومن ثم فلا مجال للشك فيما ذهبت اليه هذه المدونات اللاتينية من قوطية بلاجيوس وانتسابه الى الأسرة الملكية .

ثم ان اختيار بلاجيوس لرئاسة القوى المسيحية باشتوريس والذى كان يعتبر لبنة اولى مهدت الطريق لوضع اساس مملكة فى اشتوريس فيما بعد ذلك ، كان طبقا لاحدى قرارات مجالس طليطلة فى العصر القوطى ، والتى تنص على احقية القوط دون غيرهم من الاجناس لاعتلاء العرش(١) . ولما كانت هذه القاعدة قد اوليت احتراما وصل الى درجة التقديس ، وروعى تطبيقها دون استثناء او انتهاك طوال فترة حكم القوط بايبيريا ، وحتى آخر ملكهم ، فانه من المستبعد اذن ان ينساها النبلاء القوط الهاربون فى

---

(١) عن نص هذه المادة ، انظر Caveda, Op Cit, p 45 ، وهى المادة ٧٥ من قرارات مجلس طليطلة الرابع ، الذى دعى اليه الملك القوطى سيسنند Sisenand فى عام ٦٣٣ م ، وحضره اثنان وستون اسقفا يمثلون اساقفة كل أسبانيا ، وترأسه ايزيدور Isidore أسقف اشبيليه آنذاك ، وعن أسباب انعقاده وأهم قراراته ، انظر . Chron. Regum Vvisigothorum Op Cit, p 194 ; Ziegler, Op Cit, pp 93-95 ; Thompson, The Goths in Spain, pp172-180 ; O'Callaghan, Op Cit, p 48 ; Bradley, Op Cit, p 337.

اشتوريس بهذه السرعة ، وهم الذين لعبوا الدور الاساسى فى التمهيد لاختيار بلاجيوس بالذات لرئاستهم هم والأشتوريون اللاتين . هذا فى نفس الوقت الذى لم يكونوا يعرفون فيه سوى تقاليدهم القوطية ، وما كان امامهم الا ان يطبقوها عندما سنحت لهم الفرصة لممارستها ، وبالتالى فكان ضروريا بل ومنطقيا ان يسلموها لنبيل قوطى ، وليس لمجرد لص او زعيم عصابة يبحث عن حظ او جاه كما يعتقد البعض(١) .

ومن ناحية اخرى فما كان هؤلاء يسلمون قيادتهم لأى نبيل قوطى مع وجود آخر من اسرة ملكية (٢) ، تحملت كثيرا وقاسى افرادها من اضطهاد وعسف بعض ملوك القوط القساة الذين ولوا ، ولم ينسوا ما حل بابيه وعمه فى عهد الملك ايجيكا Ejica من نفى وتشريد وتعذيب (٣) ، بل ولم يكن قد نجا بلاجيوس نفسه من شدة وطاتهم عليه(٤) .

ومع كل ما سبق فقد راى البعض من المؤرخين المحدثين (٥) ، ان بلاجيوس لم يخرج عن كونه اشتورى الأصل ، اى من الكلت Celts الأوربيين او الايبيريين الرومان ، واعتمدوا فى ذلك اما على بعض الروايات الاسلامية

---

(١) Burke, Op Cit, 1 p 135.

(٢) Chron. Sebastiani, p 479 ; Cron: Alfonso III, p 62 ; Huici, Op Cit, 1 p 206. ويشير ابن الخطيب الى ذلك قائلا : « فاتفق أهل تلك الجهات على تقديمه ملكا بها ، لاستحقاقه ذلك بنفسه وبيته » انظر . تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٣٣ .

(٣) عن ذلك أنظر . Chron. Albeldense, p 449 No. 1 ; Chron. Léonaise, p 385 ; Huici, Op Cit, 1 p 156 No. 2 ; Moreno, Op Cit, p 601 ; Risco, Esp. Sagr., 37 p 56 No. 77 ; Barrau-Dihigo, Op Cit, pp 115-116; Sànchez Albornoz, Origénes, 2, pp8,80 ; Saavedra, Pelayo, pp 23-24 ; Uibel, Op Cit, p 24 ; Cabal, Op Cit, pp 243-245. وانظر ايضا . السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٥٨ .

(٤) Chron. Albeldense, Op Cit, p 450 No. 50 ; Huici, Op Cit, 1p 158 ; Moreno, Op Cit, p 601 .

(٥) منهم : Morales و Garibay و Sota ، وعن آرائهم ، انظر Cabal, Op Cit, pp 235-237.

القديمة (١) ، واما على إشتقاق الاسم لغـويـا ، على اعتبار ان اصل اسم بلايو Pelayo ، الذى تحوى اللغة الاشتورية اسماء والفاظا تنتهى مثله بالحروف ayo ، مثل Poyayo و Velcayo و Lubayo و Orvayo وغيرها (٢) الا ان هـذا الراى لـم يعـدم فريقـا آخـر من المؤرخين المحدثين (٣) للرد بعدم فعالية الاعتمـاد على التفسير اللغـوى وحده فى هذا الشـان ، اذ كان قد شاع استخدام كثير من نبـلاء القوط وعامتهم ـ بالاضـافة الى اسمائهم القوطية ـ اسماء لاتينية (٤) ، وانه قد وردت اسماء لاتينية فى توقيعـات مجـالس طليطلة لأسـاقفة ونبلاء لا يشك فى قوطيتهم بل ان الملكين القوطيين ارفجيو Ervigio واجيكا (٦٨٧ ـ ٧٠٠ م) كانـا قـد اضـافـا اسم فلافيو Flavio اللاتينى لاسمهما القوطى .

وفى هـذا المجال لا يجب أن ننسى ايضا اثـر التقارب الذى كان قد تم بين القوط وغيرهم من الايبيريين الرومان او الكلت بايبيريا فى افسـاح المجال للتاثير اللغوى المتبادل بينهمـا ، واستعارة كل منهم أسماء من قبل الآخر، وكانت اولى عـوامل التقـارب كمـا اشرنا ، اعـلان ريكاريد Recaredo (٥٨٧ ـ ٦٠١ م) المسيحية على المذهب الكاثوليكى دينـا مـوحدا للمملكة القوطيـة فى عـام ٥٨٧ م (٥) ، ثـم الغـاء رسسفنت Recesvinthus ، فى

---

(١) وعلى الأخص روايتى : ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ، المقرى عن الرازى ، نفح ، ٦ ص ٨٢ .

(٢) انظر : مؤنس ، فجر ، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ Burguete, Op Cit, p 204

(٣) Quadrado, Op Cit, pp 17-18 ; Caveda, Op Cit, pp 42-43 ; Saavedra, Pelayo, pp 25-26. No. 1 ; Cabal, Op Cit, pp. 227-228 ; ;

(٤) مثـل : Agricio, Foutiniano, Fortunato, Reparato, Severino, Urso. Vitula.

(٥) عن هـذا التحول الدينى واثـره ، انظـر : Chron. Biclarense, p 25 ; Altamira, Op Cit, p 138 ; Isidore of Seville's History, Op Cit, p 68 ; Smith, A History of Spanish Civilization. p 42 ; Russell, Op Cit, p 16 ; King, Law and Society in The Visigothic Kingdom, Op Cit, pp 122-125,132 ; Ziegler, Op Cit, pp 32-35 ; Thompson, Op Cit, pp 94-95. ويشير الأخير الى جزء من محتوى وثيقة التحول الى الكاثوليكيـة ، وترجمها الى العربيـة السيد سـالم ، انظر : تاريخ المسلمين ، ص ٥٦ حاشـية ١ .

النصف الثانى من القرن السـابع الميـلادى ، للقانون الذى كان يحرم التزاوج بين القـوط وغيرهم من الأجناس (١) ، واحلاله التشريع القوطى محل مثيله الرومانى وجعله اداة فى التعامل لكل رعايا المملكة(٢) .

ثم ان هذا التاثير اللغـوى المتبـادل لم يتـوقف بانقضـاء المملكـة القـوطية على يد العرب عام ٩٢ هـ/ ٧١١ م ، وانمـا استمر فيمـا بعـد ، اذ عثرنا ضـمن توقيعات الأساقفة ورجال الدين ـ الذين كانوا من اصـل قوطى ـ فى مراسيم خاصة بهبات وعطايا منحت لكنائس واديرة فى اشتوريس حتى القرن التاسـع الميـلادى (٣) (الثالث الهجرى) ، على استخدام بعضهم لاسماء لاتينيـة (٤) ، الامـر الذى لا يجعلنا نعتمد على التفسير اللغوى وحده لتبرير اصل بلاجيوس الاشـتورى او اللاتينى .

وغير هذا وذاك فان اسـماء والد بلاجيوس وابنه ـ فافيلا Favila ـ وابنتـه ـ ارمسـيندا Hermesinda (٥) هى اسماء قوطية ، ولا يعقل معهـا ان يكـون بلاجيـوس من غير جنس ابيه وابنيه . كمـا أن مؤلف مدونة البلدة Albeldense قد أورد الحديث عنه تحت عنـوان : « ملـوك أوفييـدو

---

(١) Ziegler, Op Cit, pp 23, 61 ; Thompson, Op Cit, p 58 ; Chapman, Op Cit, p 31 ; Bradley, Op Cit, p 340 ; Altamira, A History Of Spanish Civilization,p 43. السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٥٧ حاشية ١ .

(٢) Ziegler, Op Cit., pp 59-63 ; 73-74 ; Altamira, A History of Spain, pp 78,81 ; Bradley, Op Cit, pp 340-341. وقـد نشر هذا التشريع Zeumer بعنوان : Leges Visigothorum Antiquiores

(٣) عن هذه الوثائق انظر : Floriano Diplomatica Espanola, 2 tomos

(٤) مثـل : Valero, Flabio, Pompediano, Pompeyano, Claudio. Onorico, Antonio, Maximo, Fortunio. وانظـر عنهم بالترتيب الوثائق ارقـام : ٨٠ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٧٠ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٨ ، ٢٤ ، ٦٠ بالجزء الاول من الكتاب السابق .

(٥) Cron. Alfonse III, pp 62,67,115 ; Chron. Sebastiani, p 479 No. 8 ; Chron Emilianense, Ed. Florez, Esp Sagr, 13 p 449 No. 1 ; Chron. Albeldense, Ed Moreno, Op Cit, p 601 ; Cron. Rotense,p 615 ;Cron. Profetica, p 628

القوط» (١) ، ولو لم يكن بلاجيوس بالفعل قوطيا لما اورد عنه العيد[...] تحت هذا العنوان .

واذا كانت بعض الأبحاث الحديثة(٢) قد نفت كلية وجود بلاجيوس Pelagius وذلك بالخلط بينه وبين ثيوديمير Theudofredus – الذى اسماه مؤرخو المسلمين باسم تدمير ، وهو الذى صالحه عبد العزيز بن موسى عام ٩٤هـ / ٧١٣ م معترفا له بحكم ولاية تدمير (مرسية) ، والاحتفاظ ببعض مظاهر الاستقلال فيها (٣) – وجعلتهما شخصية واحدة متمثلة فى الأخير ، وجعلت ابنه اثناجيلد Athanagildo هو نفسه الفونسو الأول زوج ابنة بلاجيوس ، متخذة من صمت ايزيدور الباجى Isidore Pacense – الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثامن الميلادى معاصرا لهذه الفترة – تجاه بلاجيوس وخلفائه ، واهتمامه فقط بثيوديمير وابنه دليلا على ما ذهبت اليه . بيد أنه من المحتمل ان يكون ايزيدور قد تناول الحديث عن بلاجيوس فى احدى اعماله المفقودة، كما ان اقدم مدونتين لاتينيتين (٤) لم تذكرا ولو كلمة واحدة عن ثيوديمير Theudemir ولا ابنه اثناجيلد Athanagildo او حتى اسمهما ، وانما اهتمت فقط ببلاجيوس وخلفائه . فهل يعنى ذلك ان ننفى نحن وجود ثيوديمير وابنه ؟ فضلا عن أنه بينما كان بلاجيوس Pelagius وخلفائه يسيطرون فى جزء من أشتوريس Asturias مستقلين عن الحكم الاسلامى بالأندلس ، فقد كان ثيوديمير Theudemir وابنه تابعين للمسلمين فى حكم ولاية تدمير (مرسية) بمقتضى المعاهدة التى عقدت بينهما ، وموقع كل من المنطقتين –

---

(١) Ed. Florez, Op Cit, p 450.

(٢) على رأس أصحاب هذا الرأى : Pierre De La Marca Archbishop of Paris, Orleans, Voltaire، وعن آرائهم بتفصيل ، أنظر . Risco., Esp. Sagr., 37 pp 70-71 No. 99-100 ; Danham, Op Cit, 1 p 336 Sqq ; Coppée, Op Cit, p 397 ; Saavedra, Pelayo, p 27 ; Cabal, Op Cit p 43 اما Somoza فقد نفى كلية وجود شخصية بلاجيوس ، أنظر . Gigon, p 445 Sqq.

(٣) أنظر . ابن الأبار ، الحلة ، ١ ص ٦٣ ، فجر ، ص ١٢ وما بعدها . وعن كتاب الصلح بين الطرفين ، انظر . للضبى ، بغية الملتمس ، ص ٢٥٩ ، الحميرى ، صفة ، ص ٦٢ – ٦٣ ، العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ٤ – ٥ .

(٤) هما مدونتا البلدة Albeldense وسباستيان Sebastiani

أشتوريس وتدمير – واضح لا لبس فيه سواء فى الكتابات اللاتينية أو الاسلامية . فالأولى بشمال شبه الجزيرة والثانية بجنوبها الشرقى ، وشتان ما بين الموقعين ، بل لا يوجد تشابه بين اسماء بلدانهما(١) . وكذلك لدينا وثائق سابقة على عام ٨٨٣ م (٢) ورد فيها اسم بلاجيوس مرتبطا بمنطقة اشتوريس دون غيرها . وعلى ذلك ، فلا معنى اذن لانكار وجوده – اى بلاجيوس – كما فعل بعض المسرفين فى الشك من المؤرخين »(٣) .

واذا كان بعض المؤرخين المحدثين الآخرين (٤) ، لم يخلطوا بين بلاجيوس Pelagius وثيوديمير Theudemir كما فعل السابقون ، فانهم أخروا عهد بلاجيوس هو وابنه فافيلا Favila وخليفتهما الفونسو الأول Alfonso I الى ما بعد عهد ثيوديمير Theudemir وابنه أثناجيلد Athanagildo ، أى لما بعد عام ١٣٨ – ١٣٩ هـ / ٧٥٥ – ٧٥٦ م . وهذا يتنافى مع تحديد المصادر اللاتينية لفترة زعامة بلاجيوس وابنه وخليفتهما الفونسو الأول فيما بين عامى ٩٩ – ١٤٠ هـ / ٧١٨ – ٧٥٧ م(٥).

---

(١) لمقارنة أسماء مدن ولاية تدمير باسماء مدن اقليم أشتوريس أنظر . الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٢٥٩ ، الحميرى ، صفة ، ٦٢ – ٦٣ ، وأنظر . Diccionario, 1 p 4 ; Cron. Alfonso III, pp 68-69 ; Cron. Rotense, p 615 ; Casiri, Op Cit, 1 pp 105-106 ; Chron. Sebastiani, pp 481-482 ; Huici, Op Cit, 1 pp 116,214-215 ; Danham, Op Cit. 1 p 343 ; Perez de Cao, Op Cit, pp 170-171.

(٢) الوثيقة الأولى مؤرخة فيما بين عامى ٧١٨ – ٧٣٧ م ، والثانية عام ٧٤٠ م ، والثالثة عام ٧٦٠ م ، وعنها ، أنظر . Floriano, Op Cit, 1 p 29 Sqq وانظر الملاحق عن الوثيقتين الاولى والثانية .

(٣) مؤنس ، فجر ، ص ٣٤٠ .

(٤) ومنهم : The Marquis of Mondejar, Mariana, Masdeu وعنهم ، أنظر . Risco, Esp. Sagr., 37 pp 61-66 No. 84-93 ; Coppée, Op Cit, p 396 ; Watts, Op Cit, p 21 ; Danham, Op Cit., 1 pp 334-342 ; Govantes, Op Cit, p 5 sqq.

(٥) عن ذلك ، أنظر . Chron. Albeldense, p 450 No. 50 , p 451 No. 51-52 ; Chron. Sebastiani, p 481 No. 11, p 482 No. 14-15 ; Cron. Rotense, pp 615-616.

وهى نفسها الفترة التى حكم فيها ثيوديمير وابنه . وفضلا عن ذلك فان وفاة بلاجيوس Pelagius – وهو ما سنناقشه فيما بعد بتفصيل – قد تمت فى عام ١١٩ هـ/٧٣٧م ، ولا يمكن تأخير فترة حكمه دونما سند الى ما بعد وفاته بحوالى عشرين عاما ، ليخلف تيوديمير وابنه أثناجيلد اللذين توقف الحديث عنهما فى مدونة ايزيدور الباجى منذ عام ١٣٨ – ١٣٩ هـ / ٧٥٥ – ٧٥٦ م .

والخلاصة أن معظم المؤرخين المحدثين(١) لا ينكرون وجود بلاجيوس Pelagius ابن فافيلا Favila ، ولا أصله القوطى ، وانتسابه الى الأسرة الملكية القوطية .

هذا ولا نعلم شيئا عن نشأة بلاجيوس Pelagius وسنى حياته الأولى ، وفضلا عن ذلك فان المعلومات المتعلقة بحياته فى أواخر العصر القوطى وأثناء الفتح الاسلامى لشبه الجزيرة الايبيرية قليلة للغاية قد تصل الى حد الندرة ، ومبعثرة فى ثنايا المصادر التاريخية اللاتينية ، مما يجعلها غامضة بل يشوبها الاضطراب .

ومع ذلك فيمكن القول أن الملك القوطى اجيكا Egica ، الذى تولى فيما بين عامى ٦٨٧ – ٧٠٠ م (٢) ، كان يخشى على نفسه وعرشه من تطلعات الأخوين فافيلا Favila وثيودوفريد Theudofredus الى استعادته الى اسرتهما ، فرأى أن يشغلهما عن التفكير فى مثل هذا الأمر ، بابعادهما عن العاصمة القوطية طليطلة Toledo

(١) Quadrado, Op Cit, p 18 ; Velasco, Op Cit,pp 179-180 ; Altamira, A History of Spain, p 101 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 115-117 ; Danham, Op Cit, 2 p 121 ; Williams, Op Cit, 10 p28 ; Pidal, Op Cit, 4 p 41 ; Lévi-Provençal, Histoire, 1 p 66 ; Setton, Op Cit, 1 p 32 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 pp 77-78 ; Watts. Op Cit. p 23 ;Urbel, Op Cit, pp 24-25 ; Coppée, Op Cit, 1 p 399 ; Bleye, Op Cit, 1 p 477, Perez de Cao, Op Cit, p 172.
عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ ، دوروثى ، اسبانيا شعبها وأرضها ، ص ٥٩ .

(٢) أنظر : Chron. Regum Vvisigothorum, Op Cit, p 188.

والتفريق بينهما ليسهل عليه الايقاع بكل منهما على انفراد ، فابعد ثيودوفريد Theudofredus – والد رذريق وعم بلاجيوس – الى قرطبة Cordoba ، حيث فقئت عيناه هناك(١) . فى حين أبعد أخاه فافيلا Favila – والد بلاجيوس – الى مدينة توى Tuy بجليقية ، حيث كان وتيزا (غيطشة) Witiza ابن اجيكا – والذى أصبح الملك السابق على رذريق – موكولا اليه مهمة حفظ النظام هناك(٢)، فعاش فافيلا بجليقية تحت أعين غيطشه وحراسته حينا، متصيدا له سببا للايقاع به ربما حسب تعليمات من أبيه اجيكا ، ولأن فى ايقاعه بفافيلا سيخلو له الجو ليخلف أباه على العرش القوطى دون متاعب من فافيلا .

ولما لم يكن قد بدر من فافيلا ما يستدعى هذا الاضطهاد والتربص ، ولم يتعد الأمر مكيدة من مكائد الملك اجيكا وابنه غيطشة للايقاع به وتامينا لشخصهما ، فقد اشفقت زوجة غيطشة على فافيلا ، وتدخلت فى الأمر لدى زوجها محاولة اقناعه بالعدول عن اضطهاد فافيلا او ايذائه ، ولكنها أخفقت

(١) قارن : Cron. Alfonso III, pp 105-106 ; Cron. Rotense, pp 611-612 ; Velasco, Op Cit, p 180 ; quadrado, Op Cit, p 18. وان أشار السيد سالم أن غيطشة هو الذى فقأها بنفسه ، أنظر . تاريخ المسلمين ، ص ٥٨ .

(٢) رأى المؤرخون مثل Saavedra, Danham, Caveda, Williams ومؤنس أن فافيلا كان دوقا لكنتبرية بشمال أسبانيا ، معتمدين فى ذلك على مدونتى Don Rodrigo و Aifonso X ، الا أن هاتين المدونتين متأخرتان فى التدوين ، وتنفردان بهذه الرواية ، ولذلك لا نطمئن الى روايتهما كل الاطمئنان ، وفضلا عن ذلك فان دوق كنتبرية آنذاك كان بدرو Pedro (Petri) الذى تولاها عام ٦٨٧ م وظل مستقلا بها عن حكم المسلمين فيما بعد ، وعندما توفى خلفه ابنه الفونسو الاول ، الذى تولى حكم أشتوريس أيضا فيما بين عامى ٧٣٩ – ٧٥٧ م / ١٢١ – ١٤٠ هـ . وعن ذلك قارن : Cabal, Op Cit, pp 232-233 ; Cotarelo, pp 31-32; Chron. Silense, p 276 No. 26 ; Chron. Sebastiani, p 481 No. 13 ; Cron. AlfonsoIII ,pp 67-68.
وعلى ذلك نستبعد أن يشغل فيها فافيلا نفس المنصب فى ذات الوقت ، والأقرب الى الصحة انه كان صاحب مقام رفيع فى بلاط اجيكا ، وأحد الدوقات الذين كانت أروقة البلاط تغص بهم ، وكانت مهمتهم التصديق أحيانا على قرارات مجلس طليطلة . انظر . Barrau-Dihigo, Recherches, p 116 ; Sànchez Albornoz, Origenes, 2 p 80.

وذهبت محاولاتها ادراج الرياح ، اذ لم يصغ لها زوجها(١) ، وانما ازداد تصميما على ما يدور بخلده تامينا لعرشه المرتقب ، وربما ايضا غيرة منه على زوجته ، ولذا فلم يتردد فى وضع نهاية لحياة فافيلا ، وضربه بطريقة اودت بحياته اذ مات متاثرا بجراحه(٢) .

كان بلاجيوس Pelagius ، عندما قتل أبوه ، مقيما فى القصر الملكى بطليطلة ، يعمل عضوا فى الحرس الملكى Spatarius (٣) فى بلاط غيطشة ،

---

(١) فسر البعض ومنهم Barrau-Dihigo و Albornoz وحسين مؤنس ، أسباب الخلاف بين غيطشة وفافيلا بحب الاول لزوجة الثانى ، واعتمدوا اما على مدونة الفونسو العاشر أو على مدونة اميليانز Emilianense التى أوردت عبارة غير واضحة فى تحديد ما اذا كانت الزوجة زوجة لغيطشة أم زوجة لفافيلا ، ونصها : « Quaden Occasione Uxoris » (انظر Esp. Sagr., 13 p 449) . الا أن مدونة توى Tudense أوردت العبارة التالية : « Uxore Witizae Instigante » (انظر عنها ، Quadrado, Op Cit, p 18 No. 1 ; Caveda, Op Cit, p 50) وهى اكثر وضوحا وتحديدا فى جعلها زوجة لغيطشة ، وبالتالى فلا تصدق رواية حب غيطشة لزوجة فافيلا ، ولا أنها كانت السبب فيما نشب بينهما من خلاف ، ولم يتعد الأمر محاولة زوجة غيطشة اثنائه عن فكرة اضطهاد او قتل فافيلا .

(٢) عن هذه الأحداث بتفصيل ، أنظر . Emilianense Codice, p 449 ، وأنظر رواية مدونة توى التى يوردها Cavede ، فى مقاله ص ٥٠ ، ورواية الفونسو العاشر التى يرويها مؤنس ، فجر ، ص ٣١٩ ، انظر أيضا . Barrau-Dihigo, Recherches, pp 115-116 ; Risco, Esp. Sagr., 37 p 56.

(٣) اختلف المؤرخون المحدثون فى تفسير ما تعنيه هذه الكلمة ، فجعلها البعض « حامل سيف » ، انظر . مؤنس ، فجر ، ص ٣١٨ ، ٣٣٣ Bleye, Op Cit, 1 p 476 ، وجعلها عنان « أحد خاصة الملك وقادته » انظر . دولة الاسلام ، ص ٢٠٥ ، وفسرها Barrau-Dihigo بأنها « رئيس الحرس الملكى » أنظر . Op Cit, p 117 ، وفسرها آخرون بأنها « صاحب مقام رفيع » أنظر . Saavedra, Invasion, p 138 على أنه لما كان منصب Spatarius ، ومنصب Comes Spatariorum معروفين بأسبانيا منذ العصر الرومانى ، ويعنى أولهما عضو فى الحرس الملكى ، وثانيهما رئيس الحرس الملكى ، انظر King, Op Cit, p 54 ; Thompson, Op Cit, p 60 ، فانا نعتقد ان مؤلفى المدونات اللاتينية كانوا يعرفون الفرق بين المنصبين، وان بلاجيوس كان مجرد عضو فى الحرس ، والا لأشاروا اليه على أنه Comes Spatariorum

الذى اعتلى العرش القوطى فى عام ٧٠٠ م . وكان من الطبيعى أن يستاء بلاجيوس منه بسبب ما حل بابيه على يديه ، ومن ثم فقد رضاه وابعده هو الآخر عن العاصمة ، ربما ليواجه نفس مصير ابيه وعمه ، وما كان من بلاجيوس الا ان مضى الى اشتوريس ملتجأ (١) ، وظل مقيما هناك حتى وثب رذريق – ابن عمه – على غيطشة واعتلى الملكة ، فانضم – بدافع القرابة – للحزب الذى أيد رذريق فى اعتلائه وربما لأنه وجد فى ذلك فرصة مواتية للانتقام من ابناء غيطشة Witiza وأفراد حزبه ، وأصبح من اتباع رذريق ومؤيديه ، فكوفىء على ذلك – فضلا عن قرابتهما – باعادته الى منصبه السابق فى القصر عضوا فى الحرس الملكى Spatarius (٢) ، وبذلك استعاد بلاجيوس مكانته ، ولم يلق مصير ابيه أو عمه الذى كان قد اراده له غيطشة .

واغلب الظن أن بلاجيوس ظل شاغلا منصبه هذا حتى شرع المسلمون فى فتح شبه الجزيرة الايبيرية ، ودارت بين جيشهم وبين جيش القوط معركة وادى لكة فى ٢٨ رمضان – ٥ شوال ٩٢ هـ / ١٩ – ٢٦ يوليو ٧١١ م . ومن وصف المصادر الاسلامية لموكب الملك رذريق Roderigo حينما ذهب لملاقاة المسلمين فيها وهو محمول على سريره ومصحوب بخيار العجم وأهل ملة النصرانية وأملاكها وملوكها وفرسانها وجميع أهل قوة مملكته (٣) ، يتضح أن افراد الحرس الملكى ورجال القصر القوطى كانوا

---

(١) Chron. Albeldense, p 450 No. 50 ; Huici, Op Cit, 1 p 158 ; Moreno, Op Cit, p 601. ورغم وضوح نص مدونة البلدة ، فقد ترجمه مؤنس على أن رذريق هو الذى نفى بلاجيوس من طليطلة على اثر خلاف بينهما ، أنظر . فجر ، ص ٣١٨ .

(٢) عن هذه الأحداث قارن : Chron. Albeldense, p 450 ; Cron. Alfonso III, p 108 ; Cron. Rotense, p 612 ; Chron. Silense, p 273 ; Velasco, Op Cit, p 179 ; Riso, Op Cit, 37 p 56 No. 77.

(٣) قارن : ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ، ابن الكردبوس، الاكتفاء ، ص ٤٧ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٦٠ ، المقرى عن ابن حيان وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ – ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ابن خلدون ، العبر، ، ٤ ص ١١٧ ، ابن عذارى عن الرازى ، البيان ، ٢ ص ٧ – ٨، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٠٦ .

يصاحبون الملك فى حروبه وتنقلاته . ولما كان بلاجيوس Pelagius بين هؤلاء الفرسان باعتباره عضوا فى هذا الحرس ، كما تشير المدونات اللاتينية ، التى يفهم منها أيضا أنه كان ملازما للملك رذريق فى الجنوب الايبيرى أثناء فتح المسلمين لها وتقدمهم باراضيها (١) ، فلا بد أن بلاجيوس ، فى نطاق أداء واجبه كجندى وقرابته للملك ، كان مرافقا له فى هذا الموكب الذى خرج به لملاقاة المسلمين على وادى لكة ، ومن ثم يكون قد شهد المعركة معه(٢) ، ولا نميل الى الشك فى مشاركته فيها مثلما يذهب بعض المؤرخين(٣) .

وعندما انهزم الجيش القوطى فى المعركة ، وتسامع بذلك الأرستقراطيون القوط من النبلاء والحكام فى مدن ايبيريا تسارعوا الى عاصمتهم طليطلة Toledo ، ومنها اتخذوا طريقهم الى أشتوريس تاركين المدينة خالية ، فى ذات الوقت الذى ظل فيه فل الجيش القوطى وأعضاء الحرس الملكى ملازمين لرذريق ، الذى أفلت من المعركة ، متنقلين فى ركابه من مكان لآخر بمنطقة الغرب الايبيرى ، حتى تلاقوا مع المسلمين فى معركة السواقى فى عام ٩٤ هـ / ٧١٣ م وانهزموا ثانية ، ولقى رذريق حتفه ، فتشتتت فلولهم آنذاك فى أقصى نواحى هذا الغرب الايبيرى ، وتسارعوا الى

---

(١) Chron. Albeldense, p 450 No. 50 ; Chron. Sebastiani, pp478-479 ; Cron. Alfonso III, pp 62,108 ; Cron. Rotense, p 612 ; Huici, Op Cit, 1 p 158, 2 p 44.

(٢) Sànchez Albornoz, Origénes, 2 p 882 ; Velasco, Op Cit, p 180 ; Coppée, Op Cit, p 399 ; Bleye. Op Cit 1p476 ; Barrau- Dihigo, Recherches, p117 . وانظر أيضا . عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢٠٥ ، محمد دياب ، ١ ص ٩ ، دوروثى ، اسبانيا شعبها وأرضها ، ص ٥٩ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) أنظر . Saavedra, Pelayo, p 24 ; Quadrado, Op Cit, p 19 ; Risco, Esp. Sagr., 37 pp 56-57 No. 77. Somoza, Op Cit, p 494 ; Caveda, Op Cit, p 57 ; ويبدو أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا فى ذلك على ما ذهبت اليه مدونة الفونسو العاشر بأن بلاجيوس كان مقيما باشتوريس حينذاك . وسنناقش ذلك فيما بعد .

التهارب الى أشتوريس أيضا دون أن يعرجوا على العاصمة القوطية طليطلة Toledo اذ كانت قد وقعت فى أيدى المسلمين .

ولما كان بلاجيوس - كما أسلفنا - واحدا من أعضاء الحرس الملكى الذين واكبوا رذريق ، ثم تفرقوا بعد مصرعه ، فانه من المنطقى اذن أن يلتجىء بلاجيوس الى أشتوريس مع افراد هذا الحرس بعد معركة السواقى ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، وليس مع القوط من النبلاء وحكام المدن الذين اتخذوا طريقهم اليها عقب هزيمة وادى لكة مباشرة عام ٩٢ هـ / ٧١١ م(١)، خاصة وان مدونة سيلوس Silense (٢) تصف طبيعة اقامة بلاجيوس فى البلاد فيما بين هزيمتى وادى لكة والسواقى (٩٢ - ٩٤ هـ / ٧١١ - ٧١٣ م) قائلة انه كان يتنقل من مكان لآخر غير معلوم أمام ضغط المسلمين وزحفهم على البلاد ، وتكمل مدونة البلدة Albeldense (٣) الصورة محددة وقت وصوله الى أشتوريس بعد أن سيطر المسلمون على البلاد ، ثم تحسم الأمر مدونتا سباستيان Sebastiani (٤) والفونسو الثالث Alfonso III (٥) حينما تذكران انه التجأ الى أشتوريس التى كان قد فر اليها النبلاء القوط ، وبالتالى فلم يكن لبلاجيوس Pelagius أن يبدأ رحلته الى أشتوريس الا بعد هذه الأحداث وبرفقة المجموعة الثانية .

---

(١) اذا كان **Caveda** يرفض أن يكون بلاجيوس برفقة هؤلاء ، قائلا أنه لم يجد أى اشارة أو معلومة تجعله يتعرف عليه ضمن هذه المجموعة أنظر . Restauracion, pp 56-57 . فانه يعرض نفسه للمساءلة فيما اذا كانت قد وقعت يداه على أى معلومات جعلته يتعرف على افراد هذه المجموعة دون أن تحوى معلومات عن بلاجيوس ، فى نفس الوقت الذى يعترف فيه المؤرخ نفسه أنه لم يرد فى الروايات اللاتينية أو الاسلامية شىء من هذا القبيل ، أو حتى قوائم بأسماء هؤلاء الفارين . ولماذا يتوقع أن يخصه مؤلفو الروايات اللاتينية بذكر معلومات أوفى ، أو التركيز على أخباره بالذات فى نفس الوقت الذى لم يكن يعلو فيه على أحد من رفاقه ، ولم يكن ذا شأن كبير فى هذه الفترة .

(٢) Ed. Florez, 17 p 273 No. 20.

(٣) Ed. Florez, 13 p 450 No. 50.

(٤) Ed. Florez, 13 p 478.

(٥) Ed. Villada, Op Cit, p 62.

وما كان من سكان أشتوريس اللاتين الا أن استقبلوا افراد المجموعتين القوط فى ترحاب ، مساندين لهم فى بأسهم ، معتبرين القضية امرا مشتركا معهم،وتناسوا طغيانهم بهم عندما كانوا بالأمس القريب حكامهم، وكان على هؤلاء القوط أيضا أن يتناسوا ـ ولو الى حين ـ الفوارق المرتبطة بالثروة الواسعة والجاه او الأصل العريق والسلطان ، ليعيشوا مع سكان اشتوريس اللاتين على قدم المساواة ، ومن ثم فقد اجتمع الطرفان وعاشا سويا ، واختلطا بحكم البيئة التى ما كانت تتسع اوديتها الضيقة الا لشعب واحد .

فلما امتدت موجة الفتح الاسلامى الى أشتوريس واستولى المسلمون عليها، ثم عقدوا المعاهدات مع سكانها من الأشتوريين اللاتين والقوط الآوين بينهم ، الذين التزموا بتنفيذ نصوصها ، كان بلاجيوس Pelagius واحدا منهم ، اذ انه ـ على حد تعبير المصادر اللاتينية ذاتها ـ قد خضع بالفعل للمسلمين فى أشتوريس ، ودفع لهم الجزية(١) .

ويلاحظ أن هذه السلسلة المتصلة من الاحداث فى حياة بلاجيوس وهى السلسلة التى بدأت باعتلاء غيطشة Witiza العرش القوطى حوالى عام ٧٠٠ م ، وانتهت باستيلاء المسلمين على أشتوريس أواخر عام ٩٥ هـ / منتصف ٧١٤ م وخضوع بلاجيوس لهم ، قد ساهمت المدونات اللاتينية بتزويدنا بها ، ولم تتجاهلها سوى مدونة الفونسو العاشر Alfonso X ـ التى نقلها الى العربية المؤرخ الاسلامى ابن الخطيب ـ ووجهتها وجهة اخرى ، اذ جعلت بلاجيوس (بلاى) يفارق كنتبرية الى أشتوريس Asturias على اثر خلاف له مع بعض الرؤساء ، ويقيم بها دون ان يغادرها حتى أقدم المسلمون على فتحها ، فيتصدى لهم ويدافع عنها هى وما يجاورها من نواح مثل ليون Léon وبرتقال Portucale (٢) .

---

(١) Cron. Rotense, p 612 ; Cron. Alfonso III, p 108 ; Chron. Léonaise, p 387 .

(٢) Antuna, Una Version Arabe, pp 116,129. ، ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

ولان هذه المدونة انفردت بذلك عن غيرها من المدونات اللاتينية الأقدم ، فضلا عن انها كتبت فى فترة بلغ فيها الشعور القومى الاسبانى ذروته ، فنعتقد ان كتابها لم يتحللوا من هذا الشعور ، خاصة وانهم كانوا يكتبون بتكليف من الملك الفونسو العاشر Alfonso X نفسه ، ولذلك ربما شاءوا ان يبعدوا بلاجيوس Pelagius الى اشتوريس ، ولا يشركوه فى اعمال انهزم فيها القوط ، ولا أن يشيروا الى حقيقة خضوعه للمسلمين عندما فتحوا اشتوريس ، لأنهم أرادوه منقذا لها فنسبوا له دورا بطوليا فى حمايتها والدفاع عنها ، هى وما يجاورها من مناطق ، حتى رد المسلمين عنها .

اما المؤرخ الاسبانى الحديث سابدرا Saavedra ، فلم يجعل من بلاجيوس Pelagius مدافعا وحاميا لاشتوريس وما يجاورها فقط ، وقت اقتحام المسلمين لها فى عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، وانما جعله ملكا على أشتوريس ومدافعا عنها حتى اعجزهم رغم قلة اتباعه (١) ، فاضطر المسلمون الى مصالحته على استقلاله بحكم أشتوريس ، على أن يدفع لهم جزية سنوية ، مثلما فعلوا مع رؤساء بعض نواحى جنوب شرق وشمال شبه الجزيرة الايبيرية(٢) . وقد سبق أن ذكرنا أن المسلمين فتحوا اشتوريس اواخر عام ٩٥ هـ / منتصف ٧١٤ م ، دون ان يتركوا بها أجزاء لم تفتح آنذاك ، وأن ظهور بلاجيوس على المسرح السياسى كان بعد عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، وفضلا عن ذلك فان المؤرخ السابق يفسر النصوص بحرية ، فيستخدم ما يشير منها الى احداث فى فترة لاحقة ليطبقها على فترة سابقة ، وينتقى من المصادر حقائق معينة لتأييد رايه ويتجاهل غيرها التى من شانها دحض رايه كلية وهو منهج عابه عليه المؤرخ الفرنسى باراو ديبجو Barrau-Dihigo (٣) ولذلك تتضاءل الثقة فيما اوردته مدونة الفونسو العاشر Alfonso X ، وما ذهب اليه سابدرا

---

(١) Invasion, pp 117 -118 , 138.

(٢) Pelayo, p 9. ، ويحدد المؤرخ هذه النواحى بمرسية Murcia واوريوله Orihuela بالجنوب الشرقى ، وألبة Alava ، وبنبلونة Pamplona ، وسردانية (شرطانية) Cerdana بالشمال .

(٣) Recherches, p 315.

Saavedra ، وتعجز روايتهمــا عن نفى ما سبق أن أثبتنــاه من واقع المصادر اللاتينية والاسلامية ، بشأن خضوع بلاجيــوس للمسلمين هو وسكان أشتوريس اللاتين والقوط الجرمان اللاجئين بها .

بيد أننا نجهل مكان اقامة بلاجيــوس Pelagius بأشتوريس وقتذاك ، وان كان أقصى الجزء الشرقى منها الواقع به الصخرة ، أو صخرة بلاى Pena de Pelayo – كهف ســانتاماريا Cova Sanctae Mariae او كهف أونجا Covadonga – قد صار مكانا لاقامته منذ عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م فصاعدا ، وبالمثل لا نعلم بالضبط كم من الوقت أمضاه فى أشتوريس منذ خضوعه للمسلمين أواخر عام ٩٥ هـ / منتصف ٧١٤ م حتى ايفاده الى قرطبة عاصــمة الأندلس ، أو وقت هــذا الايفاد وأسبابه .

فقد اكتفت المصادر اللاتينية بالقول أن منيــذر – منوزا Munuza – أمير أشتوريس المسلم قد أوفده الى قرطبة فى مهمة خاصة ، وأن منيذر هذا أحب أختا لبلاجيــوس وتزوجها أثناء غيابه بقرطبة ، فلما علم بلاجيــوس بأمر هــذا الزواج ، رفض مباركته ، وثارت ثائرته ، فهرب من قرطبــة ، لأنه أراد انقــاذ الكنيسة ، ولاحقتــه القوات الاسلامية للقبض عليه(١) .

أما المصادر الاسلامية فقدمت بلاجيــوس فى قرطبة أثنــاء ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفى ، رهينة وضمانا لطاعة سكان أشتوريس للمسلمين ، وأنه هرب منهــا فى ولاية نفس الــوالى ، فى الســنة الســادسة من فتــح الأندلس أى فى عام ٩٨ هـ(٢) / ٧١٧ م على وجه التحديد .

---

(١) Cron. Rotense, pp 612-613 ; Chron. Léonaise, pp 387, 389. وانظر أيضا : Cron. Alfonso III, pp 108-109 ; Quadrado, Op Cit, pp 19-20 ; Caveda, Op Cit, p 54. No. 5, p 71 No. 2 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 117-118 ; Valdeavellano, Op Cit, 1 p 370.

(٢) أنظر · المقرى ، نفح ، ٦ ص ٨٢ · وهو ينقلها عن بعض المؤرخين المسلمين القــدامى دون أن يذكر أســماءهم ، وهم ممن فقــدت كتاباتهم ·

وكما هو واضح فلا تحدد الروايتان السابقتان وقتا بذاته لارســال بلاجيــوس الى قرطبة ، فيمــا بين فتح المسلمين أشتوريس أواخر عام ٩٥هـ / منتصف ٧١٤ م ، وهروبه من قرطبة عام ٩٨ هـ / ٧١٧ م · على أنه لمــا كان على سكان أشتوريس ، تنفيذا لشروط الصلح مع المسلمين ، أن يقدموا رهائن من بعض شخصــياتهم ، ربما من ذوى الشــأن ، وكل مــدة معينــة · فى نفس الوقت الذى ربمــا أيضــا اتبع الأمراء المســلمون بأقاليم شــبه الجزيرة الايبيرية – ومن بينهــا أشتوريس – تقليد ارســال وفد من وجهاء سكان أقاليمهم الى العاصمة الاسلامية قرطبة ، لتهنئة ولاتهــا الجــدد من ناحية ، ولتأكيد طاعة ســكانها من ناحية أخرى ، فنعتقد أن قــدوم الحر ابن عبد الرحمن لولاية الأندلس ، فى ذى الحجة ٩٧ هـ(١) يوليو ٧١٦ م ، كان مناســبة لأن يرســل منيــذر – منــوزا Munuza – أمير أشــتوريس وفد ســكانها للتهنئــة ، خاصــة وأن الحر بن عبد الرحمن كان أول من يفد من خارج شبه الجزيرة الايبيرية لولايتها منذ اتمــام فتحها(٢) · وكان وقت ارسال هــذا الوفد فى بداية العــام الهجرى ٩٨ / أغســطس – ســبتمبر ٧١٦م يتفق مع وقت ارسال رهائن أهل أشتوريس فجعلهما منيذر وفدا واحدا ، لتهنئة الوالى ورهينــة عن طاعة أهل أشــتوريس · ولمــا كان بلاجيــوس نبيل المنبت ، وأحد أفراد الأسرة القــوطية المــالكة ، التى قام جيشها القوطى – ومن بين أفراده بلاجيــوس نفسه – بمقاومة المســلمين حــين فتحهــم لايبيريا ، فكــان فى ارســال بلاجيــوس الى قرطبة – من وجهة نظر منيــذر أمير أشتوريس – برهانا لوالى الأندلس الجديد على ولاء من تبقى من هــؤلاء القــوط ، فاختــاره ليكــون واحدا من أفراد هذا الوفد ·

ولعل ازدواج مهمــة هذا الوفد هى التى تســببت فى عدم وضــوح الرؤية أمام مدونى المدونات اللاتينيــة فجعلوها مهمــة خاصــة دون أن يتبينــوا بالضــبط نوعيتها ، وهى طبيعة لم تخف على المــؤرخين المســلمين ، فأشاروا صراحة الى وجــود بلاجيــوس بقرطبة كرهينــة ، وليس كمــا ذهب المــؤرخ

---

(١) أنظر · المقرى عن الرازى ، نفح ، ٤ ص ١٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥ ويخطىء فى جعل التاريخ عام ٩٩ هـ ، وكذلك يجعله زامباور عام ٩٨ هـ ، أنظر · معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، ١ ص ٨٥ ·

(٢) أول من تولى ولاية الأندلس بعــد فتحها هو عبد العزيز بن مــوسى ابن نصير ، ومن بعده أيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى ، فيما بين عامى ٩٥ – ٩٧ هـ / ٧١٤ – ٧١٦ م · وعندما توليا ولايتهــا كانا بالأندلس منذ أن قدما اليهــا وقت الفتح ·

الاسبانى الحديث سابدرا Saavedra بأنه استدعى الى قرطبة بهدف تعديل نصوص المعاهدة التى عقدها المسلمون لسكان اشتوريس ، لتماثل تلك التى عقدوها لتدمير Theudimer ، صاحب تدمير Tudmir (مرسيه Murcia) (١) . كما انه فى اتفاق الرواية الاسلامية مع اللاتينية على هروب بلاجيوس من قرطبة ، وما انفردت به الرواية اللاتينية فى القول بتتبع القوات الاسلامية له للقبض عليه واعادته الى قرطبة ، ما ينفى ما ذهب اليه نفس المؤرخ .

وعلى كل فقد ظل بلاجيوس Pelagius مقيما فى مدينة قرطبة حتى هرب منها فى نفس عام ٩٨ هـ / ٧١٧ م ، دون أن تطلعنا المصادر الاسلامية السابقة على دوافع هذا الهرب ، وهى دوافع حصرتها المدونات اللاتينية فى انتهاز منيذر - منوزا Munuza - فرصة غياب بلاجيوس فى مدينة قرطبة للزواج من أخته التى أحبها (٢) ، فرفض بلاجيوس مباركته عندما علم بامره ، وثارت ثائرته ، واراد انقاذ الكنيسة .

---

(١) Invasion, p 140.

(٢) وجدير بالذكر ان Isidore Pacense ينسب قصة زواج أخرى لمنيذر الذى يسميه منوز Munnuz ، فيقول انه كان بربريا ، ولأن اخوانه من البربر كانوا يعانون الظلم على أيدى العرب ، فقد صاهر أودو Eudo دوق أكتيانيا Aquitania وتحالف معه ، ووثب بالعرب وصار فى حرب دائمة معهم ، حتى نهض اليه عبد الرحمن الغافقى والى الاندلس ، وتتبعه فى خوانق الجبال وممراتها ، ووضع نهاية لحياة منوز هذا عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م . أنظر Esp. Sagr., 8 pp 309- 310 No. 58 وقد نقل عنه هذه القصة صاحب مدونة دون رود ريجو Don Roderigo ، وتابعهما فيها معظم المؤرخين المحدثين ، وعلى سبيل المثال ، أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٣١٥ _ ٣١٧ والمراجع المعطاه ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٤١ وحاشية ٢ ، ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٥١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٨٦ ، أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٧ _ ٨٩ ، ٩٨ . على أن المدونات اللاتينية الاخرى التى كتبت فى شمال اسبانيا أو فى غالة لم تشر الى هذه العلاقة ، وانفرد ايزيدور الباجى بها ، وكان يكتب فى جنوب أسبانيا بعيدا عن الشمال . ثم ان نزاع العرب والبربر لم يبدأ الا بعد حوالى عشرة سنوات من الوقت الذى يحدده ايزيدور ، كما كان منيذر عربيا ، وقتل فى أشتوريس ذاتها بأيدى سكانها عام ١٠٣ / ٧٢٢ ، ولهذا لا ننفى كلية قصة ايزيدور ، وانما نرجح أن الامر اختلط عليه فنسب القصة الى ابنة أودو ، أو الى منوزا وكانت تخص أميرا غيره ربما خليفة له .

ولا بد من وقفة اولا عند قصة هذا الزواج الذى اعتبره بعض المؤرخين المحدثين(١) مجرد قصة رومانتيكية لا توجد الا فى القصص الشعرية ، واستبعدوا اى تاثير له على مصائر البلاد . وان كان لا توجد دوافع قوية تدعونا الى نفيه كلية ، اذ لم يكن الأول من نوعه فى تاريخ ايبيريا ذاتها ، فقد تزوج الوالى عبد العزيز بن موسى بن نصير من اخيلونا Egilona ارملة رذريق ، التى تكنيها المصادر الاسلامية بأم عاصم (٢) ، وكذلك تزوج زياد بن نابغة التميمى من احدى أسبانيات الأسرة المالكة القوطية(٣) ، ولا بد وان كثيرا من المسلمين قد حذوا حذوهما ، لا سيما انهم لم يصطحبوا نساءهم ، فاختلطوا بالايبيريات أهل البلاد .

كذلك فلا نستبعد أن تؤثر مثل هذه الأمور - وان بدت صغيرة - على مصائر البلاد ومستقبلها ، فقد حدث ايضا فى تاريخ ايبيريا ما كان قريب الشبه من ذلك مع اختلاف قليل ، كقصة اغتصاب رذريق لابنة يوليان Julian حاكم مدينة سبتة ، مما دفعه الى الانتقام منه بارشاد المسلمين

---

(١) Caveda, Op Cit, p 55, 63 ; Quadrado, Op Cit., p 20. ; Saavedra, Pelayo, pp 28-29 ; Barrau-Dihigo, Recherches, p 117 ; Somoza, Op Cit, pp 493-494.

(٢) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٦٣ ، أخبار مجموعة ، ص ٢٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣ ، Isidore Pacense, Op Cit, p 302 ، وانظر أيضا . الحجى ، اندلسيات ، ص ٧٦ - ٧٧ ، مؤنس ، فجر ، ص ٥٠٢ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١١٣ ، ١٢٨ ، جمال الرمادى ، فتوح العرب فى اوربا ، دائرة معارف الشعب رقم ٦٤ ص ٢٢٥، Perez de Cao, Op Cit, p 171.

(٣) انظر . أخبار مجموعة ، نفس الصفحة ، ابن عذارى ، نفس المكان والصفحة .

ومعاونتهم فى فتح ايبيريا (١) ، فتغير مصير ايبيريا ومستقبلها لقرون بعد .

ومن ثم فلا نستبعد قصة منيذر – منوزا Munuza – وزواجه من أخت بلاجيوس ، وان كان وجه الاعتراض ينصب على ما تشير اليه المدونات اللاتينية من استغلال منيذر الفرصة للزواج منها فى غياب أخيها ، اذ يتنافى ذلك مع أخلاق المسلمين وتعاليم الدين الاسلامى ، وكان منيذر من بيت علم وصلاح وتقوى ، فابيه من فقهاء المحدثين ، وهو ذاته من أصاغر الصحابة الأمر الذى نستبعد معه أن يكون منيذر قد أقدم على مثل هذا العمل . وربما أبدى منيذر لبلاجيوس رغبته فى الزواج من أخته ولم يكونا قد أقرا الأمر حتى وقت ارسال بلاجيوس الى قرطبة ضمن أفراد وفد رهائنها ، وهى مهمة اختلط أمرها على بلاجيوس فاعتقد أنها لتهنئة والى الأندلس ، فلما طالت به الاقامة بقرطبة ، استبانت له الرؤية وتأكد أن مقامه بها ليس الا رهينة ، ثم بلغته أنباء زواج منيذر بأخته واعتقد أن منيذر قد دبر أمر ابعاده ليسهل عليه اتمام الزواج منها ، فوجد فى ذلك امتهانا لشخصه ولأخته ، واجتمعت لديه بذلك عوامل شخصية اثرت فى نفسيته ودفعته لأن يضع خطة الهرب من قرطبة ، للانتقام من منيذر فى شخص المسلمين ، فهرب منها بالفعل عام ٩٨ هـ / ٧١٧ م لهذا الهدف وليس كما تدعى المدونات اللاتينية التى أضفت على مهمته طابعا دينيا فجعلتها لتخليص الكنيسة !

ومع أن الرواية الاسلامية – التى يوردها المؤرخ العربى المقرى – حددت وقت هروب بلاجيوس من قرطبة فى أيام الحر بن عبد الرحمن ، فى

---

(١) انفرد المؤرخون المسلمون دون اللاتين بايراد هذه القصة ، وعنها ، انظر . أخبار مجموعة ، ص ٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٧ (= فى نفح ، ١ ص ٢١٧) ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٦ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٩ – ١٠ ، ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٥ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٣ – ٣٤ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٤٢ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٣٣ – ٣٤ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٤٢ ، ٨ ، الخانجى ، المستدرك على كتاب المعجم لياقوت ، ١٠ ص ٦٨ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٤ – ٣٧ .

السنة السادسة من افتتاح الأندلس ، عام ٩٨ هـ (١) / ٧١٦ – ٧١٧ م ، وهو تحديد غير قاطع ، الا أنه يمكن أن نتخذه أساسا لنحدد به تاريخ هذا الهرب خلال عام ٩٨ هـ السابق . فقد بدأت سنة ٩٨ هـ فى الخامس والعشرين من أغسطس ٧١٦ م ، وانتهت فى الثالث عشر من نفس الشهر عام ٧١٧ م(٢) ، ولا بد وان تاريخ الهرب كان فى وقت يقع بينهما . ولما كان المؤرخ العربى السابق قد حدد ايضا وقت هذا الهرب فى السنة السادسة من افتتاح الأندلس ، فانه اذا حددنا العام الميلادى الموازى لهذه السنة السادسة (٩٨ هـ) ، لعرفنا فى شىء من التحديد التقريبى تاريخ الهرب خلال العام الممتد بين ٢٥ من اغسطس عام ٧١٦ م و ١٣ من اغسطس عام ٧١٧ م .

ونعتقد ان المؤرخ العربى لا يقصد بعام افتتاح الأندلس تاريخ دخول القوات الاسلامية اليها ، وانما بالأولى تاريخ انتصارها على القوات القوطية ، وهو ما تم فى معركة وادى لكة فى الخامس من شوال عام ٩٢ هـ / ٢٦ يوليو ٧١١ م ، اذ بهزيمة القوط فيها يكون قد تحدد تقريبا مصير البلاد ، وتكون قد فتحت بالفعل ، على الأقل من وجهة النظر الاسلامية ، وهو ما أكده نفس المؤرخ العربى فى مكان آخر ، بقوله : « ان الفتح كان لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين(٣) » . وبذلك تكون السنة

---

(١) انظر . نفح ، ٦ ص ٨٢ ، وانظر Sànchez Albornoz, La Espana Musulmana, 1 pp 76-77 ; Urbel, Op Cit, p 23. هذا وقد نسب مؤنس للمقرى خطأ تحديد تاريخ هذا الهرب بعام ٩٩ هـ ، وان عاد بنفس المكان فصححه بعام ٩٨ هـ ، وان جعله موازيا لعام ٧١٨ م ، انظر . فجر ، ص ٣٢٨ . كما ان على حبيبة قد جعله عام ٩٩ هـ ، انظر . مع المسلمين فى الأندلس ص ٤١٧ .

(٢) قارن : زامباور ، معجم الأنساب ، ٢ ص ٥٢٣ ، محمد مختار ، التوفيقات الالهامية ، ص ٤٩ ، ويستنفلد ، جدول السنين ، ترجمة ماجد وعبد المحسن رمضان ، ص ١٦ .

(٣) انظر . نفح ، ٤ ص ٥٣ – ٥٤ ، وقد اكد ذلك أيضا ابن حيان برواية المقرى ، انظر . نفح ، ١ ص ٢٨٠ ، وان أشار المراكشى أنها فتحت فى رمضان عام ٩٢ هـ ، انظر . المعجب ، ص ٩ ، ٣٦٦ ، أما الحميدى فقد اكتفى بالقول اجمالا بان أول أوقات افتتاحها عام ٩٢ هـ ، انظر . جذوة المقتبس ، ص ٥ .

السادسة لهذا الفتح قد بدات فى الخامس من شوال عام ٩٨ هـ / ٢٢ مايو عام ٧١٧م ، ولما كانت سـنة ٩٨ هـ تنتهى – كما اسلفنا – فى ١٢ اغسطس عام ٧١٧ م ، فيكون هروب بلاجيوس من قرطبة قد حدث بالتحديد فيما بين ٢٢ من مايو و ١٣ اغسطس عام ٧١٧ م / ٥ شوال – آخر ذى الحجة عام ٩٨ هـ . ويكون بلاجيوس قد أمضى بقرطبة اقل من عام بقليل حتى هرب منها .

ولم يكن من الحر بن عبد الرحمن ، والى قرطبة ، الا ان اصدر تعليماته واوامره للحاق هذا الهارب وتعقبه ، والقاء القبض عليه ، واعادته الى قرطبة حيا كان أو ميتا(١) . وبالفعل فقد بدات مجموعة من القوات الاسلامية تلك المهمة ، وكل أملها ان تضع أيديها على هذا الهارب حتى ولو عن طريق الحيلة والخديعة(٢) ، اذ كان أفرادها يعلمون ان الرحلة فضلا عن أنها مضنية طويلة فى غيبة وسائل سريعة من قرطبة الى الشمال ، فهى صعبة لتعقد تضاريس منطقة خط سير الرحلة ، واختراق الجبال لها من الشرق الى الغرب ، وكثرة الغابات بمناطق الشمال ، مما كان يجبرهم على مضاعفة الجهد ، وضرورة استخدام الحيلة . أما بلاجيوس Pelagius فقد كان عليه هو الآخر ان يبذل جهدا مضاعفا لجهد هؤلاء ، ليصل الى الشمال قبل ان تقع عليه ايديهم ، كما كان عليه أن يلتزم جانب الحذر ليتحاشى الوقوع فى المصاعب والأخطار ، وهو فى هذه الحالة النفسية السيئة .

كادت القوات الاسلامية المطاردة أن تظفر ببلاجيوس Pelagius فى احدى مدن أشتوريس ، التى تسمى بريس Brece (٣) ، الا أن المقادير ساعفته ، حينما حذره بعض العارفين له ليتدبر حاله وأمر افلاته من

---

(١) Chron. Léonaise, p 387 ; Cron. Rotense, p 613 ; Cron.- Alfonso III, pp 108-109. وان جعلوا والى قرطبة آنذاك طارق بن زياد بدلا من الحر بن عبد الرحمن .

(٢) انظر . Sànchez Albornoz, Origenes, 2 pp11, 89

(٣) توجد حاليا باشتوريس مدينتان بنفس الاسم ، احداهما Brezin والاخرى Santa Cruz de Brez اللاتينية وعنهما ، ولا نعلم أيا من المدينتين تعنيها المدونات ، انظر . Sànchez Albornoz, Origénes, 2 p 89 No. 88

ايدى المسلمين ، فعبر نهرا يسمى بيانون Pianoni (Fianoniae) وهو احد فروع نهر سلا Sella (١) ، متخذا طريقه الى وادى كانجاس Canicas الكثيف بالغابات ، ومنه اختفى عن اعين مطارديه كلية فى جبال قمم أوربا Los Picos de Europa المجاورة ، التى يصعب فيها البحث عمن يختفى بها وذلك لوعورتها وتعقدها ، فعادت القوات الاسلامية الى قرطبة دون أن تحقق مهمتها (٢) .

ونعتقد انه لو لم يكن بلاجيوس Pelagius حقيقة شخصية فذة ذكية لما استطاع اكثر من أن يهرب ويختفى عن اعين مطارديه ، مقتنعا بتوقفهم عن تتبعه ، وبما آل اليه مصيره . ويبدو ايضا انه لم يكن بالشخص الذى يرضى بالقليل او بما تفرضه عليه الأمور ، ناسيا ما عقد عليه العزم من اثارة سكان أشتوريس – اللاتين والقوط على السواء – وتعبئة مشاعرهم ونفوسهم ضد المسلمين ، وذلك انتقاما من منيذر – منوزا Munuza – امير أشتوريس المسلم ، بسبب اعتقاده أن ارساله الى قرطبة كان كرهينة ، وأن زواج هذا الأمير من أخته فى غيبته كان امتهانا من المسلمين – فى شخص منيذر – له ولأخته . وهو وان لم يكن لديه أيضا فى ذلك الوقت أدنى فكرة لاستعادة أو لاحياء المملكة القوطية البائدة ، ولا اى امل فى ان يكون قائدا او مرموقا ، فان الأقدار قد شاءت له أن يرتفع نجمه ، فى وقت لن يكون بعيدا ، من مجرد عضو سابق فى الحرس الملكى القوطى ، الى زعيم للمقاومة المسيحية ضد المسلمين فى أشتوريس .

فقد وافته المقادير بفرصة طيبة لم يتردد فى اغتنامها والاستفادة منها ، اذ قابل وهو فى طريق اختفائه بجبال قمم أوربا Los Picos de Europa بعض سكان المنطقة الأشتورية ، وهم فى طريقهم الى حضور

---

(١) Ibid

(٢) عن هذه الأحداث انظر . Cron. Rotense, p 613 ; Cron. Alfonso III, pp 108-109 ; Chron. Léonaise,p 389 ; Sànchez Albornoz, Otra Vez Guadalete y Covadonga, pp 85-86.

اجتمـاع oncilium) (١) لا ندرى اسبابه او نوعيته ، فتحدث اليهـم
حديثا اثارهم ، حيث استغل فيهم طباعهم الجبلية سهلة الاثارة ، كما انه
أثار الحمية فى قلوب القـوط الجرمان الآوين بينهم ، وربمـا أحيى حيثه
فيهم الآمـال الكامنة لاستعادة ماضيهم ، باحياء مملكتهم البائدة ، او على
حد تعبير المؤرخ الاسلامى الكبير ابن حيان ، فانه الهب حماستهم ، وانكر
قرائحهم ، وعاب عليهم طول الفرار والاستسلام ، حتى سـما بهم الى طلب
الثـار(٢) .

ولا بد وان بلاجيوس قـد ادخل فى روع الأشتوريين اللاتين والقـوط
الجرمان أنهم سيدافعون عن قضـيـة عامـة مشـتركة تهم كلا منهـم ، ولم
يفته ايضـا ان يستفيـد من الوازع الدينى فى دفـع هؤلاء واولئك للدفـاع
عن المسيحيـة وعقيدتهـا ، التى كانت على وشـك التلاشى فى هـذا الركن
القصى من ايبيريـا ، ولذلك ظهـر بلاجيوس فى اعينهم ملاكـا زائرا ورجـل
الساعة ، مشجعـا لهم فى حالتى باسهم ويأسهم ، منقـذا لصليب المسيح
ومحبا له ، فاقتنعوا به وبندائه ، وآتى حديثه ثمرته ، اذ قرروا على الفـور
ارسـال ممثلين عنهم الى انحـاء اشتوريس لجمـع الجمـوع وحشـدها ،
داعين الى عقـد اجتمـاع موسـع عـام ليضعوا فيـه خطتهم وينـاقشـوا
اسلوب عملهم ضد المسلمين .

وتدفق الناس من كل صوب فى اشتوريس ، الى المكـان الذى تحـدد
فى الكهف ـ الذى عرفه المسلمون بصخرة بلاى Pena de Pelayo ـ الكامن بجبل
اوسبة Auseva ، احـد الجبال المعروفة بقمم أوربا Los Picos de Europa
حيث انعقـد الاجتماع ، وانتهوا فيـه من وضع خطتهم ، وقرروا بالاجمـاع
اختيار هـذا الداعى بلاجيوس Pelagius قائدا لهـم ينضـوون تحت
زعامته ، يوحد صفوفهم ، ويكون مرجعهم ، على ان تكون مدينة كانجـاس
Canicas ـ وهى كانجاس دى اونيس Cangas de Onis الحالية ـ

(١) Chron. Alfonso III, p 159 ; Chron. Rotense, p 613 ; Cron. Léonaise, p 388 ; Valdeavellano, Op. Cit., p 371 ; Urbel, Op Cit, p 23.

(٢) أنظر . المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، وانظر ايضـا . مؤنس ، فجر ، ص ٣٣٤ .

مركزا لهم ومستقرا (١) . وبذلك اسـتطاع بلاجيوس Pelagius بالفعل
ان يوحـد كلا من القـوط الجرمان والأشتوريين اللاتين ، ويعبىء نفوسهم ضد
المسلمين ، ويثير اهتمامهم فرضوا به زعيمـا ، وبدات تتشـكل فى اشتوريس
بالشـمال الايبيرى منـذ ذاك الوقت ملامح حركـة تمـرد ضـد المسلمين ،
سيكون لهـا اهميـة كبرى فى السنوات القليلة القادمة .

واذا كانت مدونات كمبوستلا Compostellanum (٢) ، وكمبلوتى
Complutense (٣) ، ولوزيتانيا Lusitanum Chronicon (٤) ، لم تحدد
تاريخ اختيـار بلاجيوس زعيما للأشتوريين اللاتين والقوط الجرمان ، واكتفت
بالقول انه تولاهـا لمـدة تسع عشرة سـنة . وكانت مدونات سباستيـان
Sebastiani (٥) والفونسو الثالث Alfonso III (٦) ، وروتنسـى
Rotense (٧) ، وليـون Léonaise (٨) ، اكثـر تحديدا حينمـا
اكدت انه توفى فى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، بعد زعامة دامت تسع عشرة سـنة
كاملة . فقـد انفردت مدونة بروفتيكـا Profetica (٩) بتحـديد عـام
٩٩هـ/٧١٨ م عاما لاختياره ، وكانت اكثـر دقـة من المدونات السـابقة ،
حينما اشـارت انه تولى الزعـامة لمدة ثمانى عشرة سنة وتسـعـة اشهر
وتسعة عشر يوما . يضـاف الى ذلك أن شـاهده مقبـرة بلاجيـوس
Pelagius ذاته (١٠) والنقش الخاص بتأسيس ابنه فافيلا ـ الـذى

(١) عن هذه الأحداث ، انظر . Cron. Rotense, p 613 ; Cron. Alfonso III pp 62, 109-110 ; Chron. Léonaise, pp 387-388 ; Chron. Sebastiani, p 479 No. 8 ; Chron. Silense, p 273 No. 20. وعن تصوير الشعر الأسبانى الحديث لطريقـة الاختيار ، الـذى حمـل فيه بلا جيوس على الأعناق ، انظـر . Danham, Op Cit, 2 Apen. B, p 294

(٢) Ed. Florez, Esp. Sagr. 23 p 325 ; Huici, Op Cit., 1 p 82.

(٣) Ed. Huici, Op Cit, 1 p 52.

(٤) Ed. Florez, Op Cit, 14 p 402.

(٥) Ed. Florez, Op Cit, 13 p 481 No. 11.

(٦) Ed. Villada, Op Cit, p 67, 115.

(٧) Ed. Moreno, Op Cit, p 615.

(٨) Ed. Cirot, Op Cit, p 390.

(٩) Moreno, Op Cit, 2 p 482.

(١٠) عنه انظـر الملاحق ، وانظـر ايضـا . Somoza, Op Cit, 2 p 482

الذى خلفه فى الزعامة ـ لاحدى الكنائس باشـــتوريس(١) ، تخليدا لذكرى والده ، يدلان بصفة لا تقبل الجدال على ان بلاجيوس قد توفى فى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م وانه لم يعد على قيـد الحيـاة بعد هـذا العام . وهو نفس العام الذى قدمته المدونات اللاتينيـة السـابقة تاريخـا لوفاتـه ، وبالتالى فلا نشك فى التحـديد الذى تقدمه نفس المدونـات بشـان مدة زعامة بلاجيوس بحوالى تسـع عشرة سـنة (٢) ، ويكون اختياره قد تم فى اواخر عام ٩٩ هـ / منتصف ٧١٨ م .

ومن ناحية اخرى ، فكمـا ذهبنا قبلا بان هروب بلاجيوس من قرطبة الى اشتوريس قـد تم بالتحديد فيما بين ٢٢ من مايو و ١٣ من اغسطس عام ٧١٧ م / ٥ شوال ـ آخـر ذى الحجة ٩٨ هـ ، فانه مع احتساب المـدة التى استغرقتها الرحلة لوصوله الى اشتوريس ، وفى اثارته لسكانها من القـوط والأشتوريين حتى اقتناعهم به ، فلا بد ايضا ان اختياره للزعامة فى اشتوريس قد

---

(١) عنه انظر الملاحق ، وانظر ايضـا . Velasco, Op Cit, p 214

(٢) أصاب الاضطراب نسختى مدونة البلدة اللتين نشرهما Florez و Moreno فتظهر وفاة بلاجيوس فى نسخة Florez فى السـنة التاسـعة عشرة من زعامته ، دون أن تحدد ما اذا كانت كاملة ام لا . امـا فى نسخة Moreno فيظهر انه توفى عـام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، وهو ما تتفقـان فيه مـع المدونـات الأخرى . الا أن نسـخة Moreno تضيف انـه توفى بعـد حكم دام ثمـانى عشرة سنة فقط ، وتشايعها فى ذلك الحوليـات الطليطليـة الثالثة . قارن : Chron. Albeldense, Ed. Florez, p 450 No. 50 ; Ed. Moreno, p 601 ; Anales Toledanos III, Ed. Florez, 23 p 415.

حدث فى اواخـر عام ٩٩ هـ / منتصف ٧١٨ م (١) . اى بعـد ان مضى على هروبه من قرطبة ما يقرب من عـام .

ولعل فيما سبق ينفى ما ذهب اليـه المؤرخ الأسبانى الحديث سـابدرا Saavedra (٢) من ان اختيار بلاجيـوس كان فى عـام ٩٥ هـ / ٧١٤ م . او ما يراه بعض آخر من المؤرخين ، ومنهم Pellicer و Mariana و Masdeu بان هـذا الاختيـار لـم يحدث قبـل عـام ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م (٣) ، معتمدين على ان ايزيدور الباجى Isidore Pacense الذى أنهى كتابة مدونته فى عام ١٣٧هـ/٧٥٤ م ـ لم يذكر على الاطلاق شيئا عن بلاجيوس ، وعلى ما أشارت اليه مدونة البلدة Chron. Albeldense (٤) من أن بلاجيوس كان أول من ثار على المسلمين باشتوريس فى السـنة السـابعة من ولايـة يوسـف بن عبد الرحمن الفهرى للأندلس ، أى فى عام ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م .

---

(١) يوافق معظم المؤرخين المحدثين على هذا التاريخ بدايـة لاختيار بلاجيوس ، وعلى مدة زعامته بتسـع عشرة سـنة ، وعلى وفاته عـام ٧٣٧ م / ١١٩ هـ ، انظر . Velasco, Op Cit, p 20 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 114, 136 ; Urbel, Op Cit, pp 24, 29-31 ; Danham, Op Cit, 4 p 44 ; Sànchez Albornoz, Otra Vez, pp 86-87 ; Coppée, Op Cit, p 412 ; Williams, Op Cit, 10 p 40 ; peers, Spain, p 39 ; Hannay, Spain, p 28 ; Bleye, Op Cit, 1 p 475 ; Livermore, A History of Spain, p 69 . عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢١٠ .

(٢) انظر . Invasion, pp 116-117, 138-139. ، ويشايعه فى هذا الرأى Setton (Ed.), History of The Crusades, 1 p 32 ; The Camb Med. Hist., 3 p 409. ويعتمدون فى ذلك على أن بلاجيوس يظهر فى المدونات اللاتينيـة بعـد مصرع الملك رذريق مباشرة ، على ان السبب فى ذلـك ان مؤلفى المدونـات اللاتينيـة يعتبرون بلاجيوس خليفـة لرذريق وان لـم يشيروا الى اختياره بعـد مصرع رذريق مباشرة .

(٣) عن مناقشـة آرائهم بتفصـيل ، انظر Risco, Op Cit, 37 pp 61-62.

(٤) Ed. Florez, Op Cit, 13 p 450 No. 50

ويهمنا فى هذا المجال ايضا ان نتعرف على نوعية الشخصيات التى اختارت بلاجيوس لهذا المنصب ، هل كانت اشتورية لاتينية صرفة ، ام قوطية جرمانية ، ام من العنصرين معا ، اذ لم يقتصر الخلاف حول ذلك فيما بين المدونات اللاتينية بعضها وبعض ، بل انه شمل نسخ المدونة الواحدة .

فمن ناحية نسبت مدونات روتنسى Rotense (١) ، والفونسو الثالث Alfonso III (٢) ، وليون Léonaise (٣) ، والفونسو العاشر AlfonsoX (٤) ، الدور كله لأهل تلك الناحية اى الأشتوريين ، ولم تذكر الأرستقراطية القوطية على الاطلاق . كما يظهر من مرسوم (٥) اصدره الفونسو الثانى Alfonso II – ملك اشتوريس – فى عام ٨١١ م ، ان بلاجيوس قد تصدى للمسلمين لصالح الأشتوريين وليس لصالح القوط ، الذين لا توجد كلمة واحدة فى المرسوم تشير الى مؤازرتهم لبلاجيوس .

ومن ناحية أخرى نجد نفس مدونة الفونسو الثالث Alfonso III السابقة فى طبعة أخرى(٦) وكذلك مدونة سباستيان Sebastiani (٧) ، تتركان ذلك كله لتمدحا القوط وحدهم ، وتعزيا الدور الأول والأساسى لهم اذ تقدمان القوط يتولون اختيار بلاجيوس للزعامة دونما ذكر للاشتوريين .

وربما كانت بعض المصادر الاسلامية على هذا الراى ايضا ، فيشير المؤرخ المقرى (٨) ، ان بلاجيوس كان اول من جمع فل النصارى بالأندلس ، ولما كان هذا الفل قوطيا ، فيكونون هم الذين التفوا حول

---

(١) Ed. Moreno, Op Cit, p 613.
(٢) Ed. Villada, Op Cit, pp 109-110.
(٣) Ed. Cirot, Op Cit, pp 387-388.
(٤) انظر . ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ ، Antuna, Una Version Arabe, p 130.
(٥) عن نص الوثيقة ، انظر . Risco, Op Cit, 37 p 311 Sqq
(٦) Ed. Villada, Op Cit, p 62.
(٧) Ed. Florez, 131 pp 478-479.
(٨) انظر . نفح ، ٦ ص ٨٢ .

بلاجيوس . كما ان ابن خلدون (١) والقلقشندى (٢) ، يشيران ايضا الى انه بعدما اجفلت امم النصرانية امام المسلمين الى سيف البحر من جانب الجوف – اى الشمال – وتجاوزوا الدروب وراء قشتالة ، فانهم قد اجتمعوا بجليقية – اشتوريس – وملكوا عليهم بلاجيوس . الأمر الذى يوحى بان هذا الاختيار قد قام به هؤلاء الجافلون ، وقد كانوا قوطا جرمانا .

اما مدونة سيلوس Silense ، فهى وان اشارت فى لمحة خاطفة الى ان الأشتوريين قد قرروا بالاجماع اختيار بلاجيوس زعيما لهم ، الا ان هذا القول لا يفسر على انه استبعاد للقوط ، اذ لم يغرب عن بال مؤلف المدونة خلال روايته ان يشير ويشيد دوما بالقوط وحدهم ، دون ذكر لأى اسهام من جانب الأشتوريين سوى الاشارة السابقة(٣) .

وقد اسهم غموض واختلاف المدونات اللاتينية السابقة على النحو المشار اليه فى انقسام المؤرخين المحدثين على انفسهم فى هذا الشان ايضا ، واتخذ المؤرخ سانشيث البرنوث Sànchez Albornoz موقفا جد متطرف حينما اكد دون ان يبرهن ، ان الأشتوريين وحدهم هم الذين اختاروا بلاجيوس لزعامتهم ، وانكر اى اسهام فى ذلك للقوط ، معللا ما ذهب اليه بان القوط كانوا حينذاك ضعفاء لاحول لهم ولا قوة ، منهزمين مغلوبين على امرهم ، اغرابا فى ارض ليست لهم فكانوا جهلاء بها وبسكانها ، ولذا فلم

---

(١) انظر . العبر ، ٤ ص ١٧٩ .
(٢) انظر . صبح ، ٥ ص ٢٦٣ .
(٣) على سبيل المثال ، اشار ان امة القوط وجيشها سوف يستعيدان قوتهما رغم ما حل باسبانيا من دمار وما نتج عن استيلاء المسلمين على اسبانيا من تحطيم جيشها ، وان بلاجيوس كان يثق فى ان جنس القوط سينمو سريعا ويتكاثر من فئة قليلة الى اعداد كثيرة ، وعندما اشار الى الصدام بين قوات بلاجيوس وقوات المسلمين ، ذكر ان الشعب القوطى كما لو كان قد استيقظ من غفوته . انظر . Florez, Op Cit, 17 pp 273- 274, 276 ; Huici, Op Cit, 2 p 44 Sqq.

يباشروا ادنى تاثير عليهم ، بل لم يفكروا فى اختيار زعيم لهم او قائد(١) . على ان ذلك تعليل لا يقوى للنقـد ، وليس لـه سوى تفسير واحـد ، هو رغبة المؤرخ فى نسبة كل انجاز للأشتوريين وحدهم ، مغمطا دور القوط ، مجردا لهم من اسهامهم ، مدفوعا فى ذلك بنزعة وطنية متعصبة ليس الا ، وهو ما نلمسه فى كل كتاباته .

فى حين نرى فريقا آخر على العكس من ذلك ، ينسب للقوط وحدهم الدور الأكبر والأساسى ، جاعلين اياهم يختارون بلاجيوس زعيما لهم كخطوة اولى فى سبيل التخلص من السيطرة الاسلامية (٢) .

على اننا لا نشارك هذا الفريق او ذاك فيما ذهب اليه ، وليس باستطاعتنا ان نجرد ايا من القوط الجرمان او الأشتوريين اللاتين اسهامه فى هذا الاختيار ، فاذا كان الأشتوريون قد التفوا وتجمعوا لاختيار بلاجيوس ، فلنا ان نقبل ايضا ان القوط ما كانوا يقتنعون ابدا بان يقفوا موقف المشاهد المتفرج ، ويقبلوا انفراد الأشتوريين دونهم بمثل هذا العمل ، وبالتالى فلا يجب ان نستبعد اشتراك الفريقين ، بل ولا بد ان نقبل انه قد وقع على القوط العبء الأكبر والأول فى تهيئة عقول الأشتوريين لفكرة تقويد بلاجيوس ،وبخاصةأنهمهم الذين يعلمون جيدا جدارته واحقيته لمثل هذا المنصب لانتسابه الى اسرة قوطية لم تكن نبيلة فقط وانما من العائلة الملكية ايضا ، او كما اشار ابن الخطيب « لاستحقاقه ذلك بنفسه وبيته» (٣) .

ومن ناحية اخرى ، فاذا كانت روايات الجانبين الاسلامى واللاتينى قد تارجحت – كما اوضحنا – فى اشارتها فيما بين القوط الجرمان والأشتوريين اللاتين ، او ما عبرت عنه بعضها باهل تلك الجهات – اى

---

(١) انظر · آرائه بتفصيل ، فى كتابه : . Origénes, 2 pp 9, 20, 106
وفى مقاله : La Sucesion Al Trono en Los Reinos de Léon y Castilla, pp 38-39,45-46.

(٢) Barrau- Dihigo, Recherches, Quadrado, Op Cit, p 12 ; Saavedra, Invasion, p 114 ; Peers, Op Cit, p 39 ; Watts, Spain, P 23 ; Lévi-Provençal, Histoire, 1p 66 ; p 138; Velasco, Op Cit p 200 ; Hannay, Op Cit, p 28.

(٣) انظر · تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣

اشتوريس – فانا يجب الا نتوقع من هذه الروايات ان تهتم بالتفرقة الدقيقة او الفصل الواضح بين الفريقين ، وبخاصة انها كتبت جميعها فى وقت كان الاندماج والاختلاط بينهما قد بدا بالفعل منذ اكثر من قرن على الأقل واصبحا فى نظر مؤلفى هذه الروايات عنصرا او بالأحرى شعبا واحدا .

وعلى كل فانه باختيار القوط الجرمان والأشتوريين اللاتين لبلاجيوس القوطى زعيما لهم اواخر عام ٩٩ هـ / منتصف ٧١٨ م ، تكون قد تكونت ملامح اولية لحركة تمرد ضد المسلمين فى اشتوريس ، وهى حركة اشترك فيها كل من القوط والأشتوريين ، وكان الدافع اليها اساسا ظروف شخصية حاقت ببلاجيوس على ايدى المسلمين ، اساء فهمها واراد الانتقام لها منهم ، ولما كان بلاجيوس يوقن بضعفه وعجزه عن تحقيق ذلك وحده، فقد كانت مهارته لا تكمن فقط فى استغلاله للآمال الشخصية عند عنصرى سكان المنطقة – قوط واشتوريين – لتحفيزهم واثارتهم ضد المسلمين ، وانما ايضا فى استغلاله حجة اعم واشمل ، هى الثار من المسلمين فضلا عن الدفاع عن المسيحية وعقيدتها لانقاذها وخلاصها . ومن ثم توحد الطرفان لتضحية اعتبرها كل فرد فيهم تمس آماله الشخصية اولا ، ونظروا اليها جميعا فى ذات الوقت على أنها صالح وطنى ودينى عام ، وبدأت على هذا النحو حركة التمرد ، التى سيصبح لها شان كبير فى السنوات القليلة القادمة .

الفصل الثانى

تطور المقاومة ضد المسلمين فى أشتوريس
حتى عــام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م

راينـا كيف ساهم سكان اشتوريس اللآتين والقوط الجرمان الآوين بينهم فى اختيار بلاجيوس زعيما لهم فى اشتوريس اواخر عام ٩٩ هـ /منتصف ٧١٨ م ، بعد ما نجح فى اثارتهم وتعبئة مشاعرهم ضـد المسلمين ، ممـا شكل نواة لحركـة تمـرد ضدهم فى اشتوريس ، ولم يكن قـد مضى سوى سنوات قليلة على فتحهم لها ، وهى الحركة التى بدات بها صفحة جديدةفىتاريخ العلاقـات بين المسلمين من جهـة وبين سكان اشتوريس اللاتين والجرمان من جهـة أخـرى ٠

وقد حددت الروايـة الاسلاميـة - التى ينقلهـا المؤرخ المقرى عن غيره من المؤرخين المسلمين الأوائل - وقت بدء هذا التمرد فى فترة ولاية الحـر بن عبد الرحمن الثقفى ، بعـد ما وصل بلاجيوس الى أشتوريس ، اذ يقول : « فهرب - أى بلاجيوس - من قرطبة أيـام الحر بن عبد الرحمن ٠٠٠ سنة ثمان وتسعين من الهجرة ، وثار النصارى معه على نائب الحـر » (١) أى عى المنيذر نائبه المقيم فى اشتوريس ٠

وبسبب أن المؤرخين المسلمين الأوائـل كانوا يكتبون بعيدا عن أشتوريس ، وفى فترة متأخرة نسبيـا ، فانهم يضغطون الأحداث فى رواياتهم السـابقة ضغطا واضحـا ، ولم يحددوا وقت بداية التمـرد خـلال عـام ٩٨ هـ/٧١٨م ، واكتفوا بجعله فى نفس عهـد والى الأندلس الحر بن عبد الرحمن المقيم فى قرطبة ٠

---

(١) أنظر ٠ نفح ، ٦ ص ٨٢ ٠

اما مدونى المدونات اللاتينيــة الذين كانوا يكتبون فى اشتوريس ذاتها ، بعيدا عن العاصمة الاسلاميــة قرطبة ، فلم يعرفوا فى دقـة مطلوبة اسماء ولاة قرطبة المسلمين وتتابعهم ومـدة ولايــة كل منهم (١) ، واختلط عليهم الأمر فيمن كان واليا بها حينما اندلع التمرد فى أشتوريس . فجعله بعضهم اثناء تواجد طارق بن زياد Taric (Tarech) فى الأندلس (٢) ، ويمكننا استنتاج هذا الخطـأ اذ اشـاروا ان المنيــة قـد وافت بلاجيوس Pelagius فى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م بعـد زعامة دامت تسـع عشرة سـنة (٣) ، اى ان اختياره تم أواخر عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، وهو ذاته التاريخ الذى يجعلونه بداية لتمرده ، وهو تاريخ لا يتفق مع وقت وجود طارق بالأندلس ، اذ كان قد غادرها قبل ذلك بنحو اربع سنوات .

---

(١) يظهر ذلك واضحـا من قوائمهم التى يوردونهـا ، فيسقطون بعضهم ويختلط عليهم تتابعهم ومـدة ولاية كل منهم . قارن Chron. Albeldense, pp 460-462 ; Cron. Profetica, pp 626-627 ; Huici, Op Cit, 1 p 184 Sqq. وهو امر يعترف به المؤرخون الأسبان المحدثون أنفسهم ، انظر . Govantes, Op. Cit., p. 8. وقد وقع المؤرخون المسلمون الأوائـل فى هذا الاضطراب ، قارن : ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٥ ـ ٢١٧ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسـة ، ٢ ص ٨٤ ، الحميـدى ، جذوة المقتبس ، ص ٦ ـ ٧ ، المقرى عن ابن حيان والحجارى وغيرهما ، نفح ، ١ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ، ٤ ص ١٣ ـ ٢٦ ، أخبار مجموعـة ، ص ٢٢ ـ ٢٥ ، ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ٢٥ وما بعدهـا ، ابن القوطية ، تاريخ افتتـاح الأندلس ، ص ٣٨ وما بعدها ، عبد الملك بن حبيب ، ص ٢٣٦ ، الرازى برواية غزيرى Casiri انظـر . Bibliotheca, 2 pp 325-326

(٢) Cron. Alfonso III, pp 108-109 ; Cron. Rotense, pp 613,615 ; Chron. Silense,p 273.

(٣) انظر اعـلاه .

اما مدونة البلدة Albeldense فقد ارخت بدء هـذا التمرد فى السنة السابعة من ولايـة يوسف بن عبد الرحمن الفهرى (١) الذى بـــدا ولايته للاندلس فى ربيـع الآخر عام ١٢٩ هـ (٧٤٦ م) ، ولأن هـذه المدونـة تتفق مع المدونات السـابقة فى تحديدهـا لتاريخ وفـاة بلاجيوس ، وفى تـاريخ بدء زعامته وتمرده ، فتكون قد ابرزت هى الأخرى خطأها بتحديـد بـدء التمرد بعـام ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، فى وقت لـم يشـهده بلاجيوس على الاطلاق ، اذ كان قـد توفى قبـل ذلك بحوالى سبعـة عشر عاما .

واشتطت مدونة سباستيان Sebastiani اكثر ، حينما اخـــرت التمرد حتى عـام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م (٢) ، اى فى السنة الأخيرة من ولايـــة يوسف الفهرى ، وكان عصر الولاة يلفظ فيهـا انفاسـه الأخيرة لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ المسلمين هناك ، بقيـام الدولة الأمويـة . ونظرة فاحصـة الى عبارات المدونة نجـد تحديدها لبدايـة التمـرد قـد ورد اثنـاء روايتها عن فترة الفتح الاسـلامى لايبيريـا عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، والسنوات القليلة التى تلته ، وبدهى الا يكون عـام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ضمن هـذه السـنوات القليلة . ومن ناحيـة اخـرى ، فقـد اتفقت نفس المدونـة مـع المدونـات

---

(١) Ed. Florez, 13 p 450 No. 50 : Moreno, Op Cit p 601 ، وهـو يوسـف بن عبد الرحمن بن ابى عبيـدة بن عقبـة بن نـافـع الفهـرى ، آخـر الولاة بالأندلس ، وهو الذى هزمه عبد الرحمن بن معـاوية ـ الملقب بالداخل ـ واستولى منه على مقاليـد الأمـور بالأندلس ، مؤسـسا الدولة الأمويـة هناك عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م . وعن يوسف ، انظـر . ابن الأبـار ، الحلة ، ٢ ص ٣٤٧ وما بعدهـا . وعن فترة ولايته وعلاقته بعبد الرحمن فى تفصـيل ، انظـر . اخبار مجموعـة ، ص ٥٧ وما بعـدهـا ، المقـرى عن الرازى ، نفـح ، ٤ ص ٢٤ وما بعـدهـا ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ، ابن الأبار ، الحلة، ١ ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ٦٨ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٠ وما بعدها ، ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ٣٥ وما بعدهـا .

(٢) Ed. Florez, 13 pp 478-479 No. 8, 11. وقد شايع قولها بعض المؤرخين المحدثين ، دون أن يتعرضوا لمناقشتها واخذوا بظاهر روايتهـا ، ومنهم Pellicer و Masdeu ، وعن آرائهمـا بتفصيل ، انظـر . Risco, Op Cit, 13 pp 72-73 هذا وقـد نسب الدكتور مؤنس رواية هـذه المدونة الى مؤلف مدونـه البلدة ، انظـر . فجر ، ص ٣٣١ حاشية ١ .

السابقة فى تحديد تاريخ وفاة بلاجيوس ، وفى مدة زعامته وتاريخ بعثها ، ولا يعقل ان يتأخر تمرده حتى عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، اذ كان التراب قد وارى رفاته منذ حوالى تسع عشرة سنة مضت .

والخلاصة ان المدونات اللاتينية السابقة قد اتفقت على ان بلاجيوس قد بدا تمرده على المسلمين فى اشتوريس بعد وصوله اليها مباشرة ، واختياره زعيما فى اواخر عام ٩٩ هـ / منتصف ٧١٨ م ، اى فى اواخر ولاية الحر بن عبد الرحمن للاندلس ، مثلما ذهبت الرواية الاسلامية التى اشرنا اليها . ويؤيد ذلك ايضا وثيقة لاتينية — صدرت فى اشتوريس ذاتها فى ٣١ اكتوبر عام ٧٤٠ م (١) / ٥ ذى الحجة ١٢٢ هـ — حددت تاريخ هذا التمرد فى الأول من اغسطس عام ٧١٨ م / سلخ ذى الحجة عام ٩٩ هـ .

ويلاحظ ان المؤرخين المسلمين واللاتين على وجه الاجمال لم يميزوا بين كيفية بدء التمرد فى اشتوريس ووقائعه الأولى ، وبين تطوراته اللاحقة حتى اقدم المسلمون على التصدى له . فتجنب المؤرخون المسلمون — ربما عن عمد — التاريخ له كلية ، واكتفوا بالاشارة الى ان النصارى فى اشتوريس قد ثاروا مع بلاجيوس على نائب الحر بن عبد الرحمن (٢) . اما المؤرخون اللاتين فلم يعتبروه تمردا او ثورة مثل المؤرخين المسلمين ، وانما اعتبروه حركة قومية اسبانية تنشد التخلص من المسلمين فى اشتوريس وايبيريا كلها ، وتخطوا بدورهم الحديث عن بدايتها ومراحل تطورها الى دورها الأخير ، الذى تمثل فى وقائع الصدام بين جيش المسلمين واتباع بلاجيوس فى اشتوريس ، حتى بدت الأحداث فى روايتهم — وايضا فى الوثيقة التى اشرنا اليها سابقا — وكأنها حدث واحد وقع اواخر عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م .

لكن بناء على ما اوضحناه من احداث منذ هروب بلاجيوس من قرطبة يمكن ان نتصور ان مظاهر التمرد قد بدات برفض المتمردين الالتزام بتنفيذ شروط

---

(١) عن نصها ، انظر . Risco, Op Cit, 37 pp 303-304 ; Floriano, Op Cit, 1 pp 34-35.

(٢) انظر . المقرى ، نفح ، ٦ ص ٨٢ .

الصلح الذى كان قد عقده المسلمون مع سكان اشتوريس ، وشجعهم فى ذلك تواجد والى الأندلس الحر بن عبد الرحمن على رأس جيوشه خارج الأندلس منذ ربيع عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، فى غزو غالة النربونية Galiam Narbonensem (١) . ثم امتنعوا فى بداية العام الهجرى ١٠٠/٧١٨ م عن دفع الجزية المفروضة على رؤسهم ، والخراج على أرضهم الزراعية ، وعن تقديم الرهائن المقررة عليهم لضمان ولائهم وطاعتهم للمسلمين.

ولا بد ان أخبار هذا التمرد ، فضلا عما حدث وقتذاك من اضطرابات فى قرطبة العاصمة الاسلامية ذاتها ، قد وصلت الى سمع الحر بن عبد الرحمن وهو يجاهد فى غالة ، عن طريق نائب له فى الأندلس ، فأنهى حملته وعاد مسرعا الى قرطبة ، ليوطد بنفسه الأمن فيها ، باعتبارها العاصمة ، ولأن فى اضطراب أمورها ما يشكل خطرا مباشرا على المسلمين . وذلك على عكس التمرد فى اشتوريس ، الذى كان مجرد بؤرة لفئة قليلة يسهل القضاء عليها ، فاكتفى الحر بتفويض المنيذر نائبه هناك فى أمر اخضاعها والقضاء عليها .

---

(١) سميت بغالة لوقوعها فى غالة من أراضى الفرنجة ، وبالنربونية نسبة الى عاصمتها اربونة (نربونة) Narbonne ، الواقعة على ساحل البحر المتوسط بأقصى الشمال الشرقى لأسبانيا ، وكانت اقصى ثغر الأندلس ، وبينها وبين ساحل قرطبة الف ميل . وعرفت غالة النربونية ايضا بولاية سبتمانيا Septemania ، اى المدن السبع ، وامتدت شمال جبال البرتات بحذاء ساحل غالة الجنوبى . قارن : الحميرى ، صفة ، ص ١٩ — ١٢ ، ياقوت ، معجم ، ١ ص ١٧٦ ، الهمذانى ، البلدان ، ص ٨٢ ، طوخان، المسلمون فى أوربا ، ص ١٠٢ . وعن حملة الحر اليها ، قارن : Chron. Isidore Pacense, Ed. Florez, 8 pp 303-304 ; Conde, Op Cit, 1 pp 92-93 ; Valdeavellano, Op Cit, 1 p 371. وانظر ايضا . أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ١ ص ٣٣ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٧٢ — ٧٣ ، مؤنس ، فجر، ص ٢٤٤ ، ويشير الى انه لا يعول على رواية ايزيدور الباجى كثير .

وبيدو أن المنيذر ، نائب الحر فى حكم اقليم أشتوريس ، قد فشل فى مهمته ، اذ يذكر المقرى أن النصارى قد « طردوه وامتلكوا البلاد(١) » ، وربما كانت هذه العبارة بالذات سببا لما دفع بعض المؤرخين المحدثين الى التاريخ للصدام بين قوات المسلمين واتباع بلاجيوس المتمردين ، فى عهد الحر بن عبد الرحمن ، وبالتخصيص فى عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م (٢) . على انه تحديد لا يتفق مع تسلسل الأحداث السابق الاشارة اليها ، فضلا عن ضغط المقرى فى روايته لأحداث عدد من السنين فى كلمات معدودات ، لا يستبين معها انه يقصد عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م بعينه ، وانما عاما بعده ، وبخاصة ان المقرى نفسه قد أورد روايات أخرى عن الرازى (٣) وابن حيان (٤) تشير صراحة الى تيام بلاجيوس وجماعته فى وقت لاحق فيما بين عامى ١٠٣ - ١٠٧ هـ / ٧٢٢ - ٧٢٦ م . ولو صدق امتلاك النصارى وقتذاك للبلاد كما يشير المقرى ، لكان الأمر خطيرا وما كان الحر بن عبد الرحمن توانى عن ان يتصدى له مهما كانت مشاغله . ونعتقد أن الأمر لم

---

(١) انظر . نفح ٦ ص ٨٢ .

(٢) منهم : Saavedra, Pelayo, p 10 ; Barrau-Dihigo, Recherches, p 121. حسن خليفة ، تاريخ المسلمين ، ص ٤٨ ، محمد حسونة ، الجغرافية التاريخية ، ١ ص ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢٠٨ ،دوروثى،اسبانيا شعبها وارضها ، ص ٦٠ . ورغم ان المؤرخ الانجليزى Danham وافق المؤرخين السابقين فى تحديدهم هذا ، انظر A History of Spain, 2 p 121 ، فانه يذكر صفحة ١٢٣ حاشية ٣ ان اضطراب وغموض المصادر الاسلامية واللاتينية جعل من الصعب عليه تحديد تاريخ معين فيما بين عامى ٧١٨ - ٧٣٧ م/٩٩ - ١١٩ هـ . ثم يعود فى صفحة ١٢٢ حاشية ٣ ويستخدم أحداثا وقعت فى أواخر عهد الوالى يوسف الفهرى عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ ، اوردها غزيرى Casiri فى معجمه Bibliotheca . بالجزء الثانى صفحة ٣٣ ، لينسبها الى عام ٩٩ هـ / ٧١٨ م مبررا ذلك باحتمال خطأ Casiri فى تاريخ النص ، وقد شايع Danham فى هذا الراى كل من Caveda, Op Cit., pp 61, 75-76 ; Velasco, Op Cit, pp 182-183 . 189. 191. 196 ; Perez de Cao, Op Cit, pp 172-173

(٣) انظر . نفح ، ٦ ص ٨٣ .

(٤) انظر . نفسه ، ٤ ص ١٥ .

يخرج عن كون المنيذر لم يوفق فى اقناع المتمردين بالحفاظ على التزام ، والالتزام بطاعتهم للمسلمين . وانما على العكس ، فقد انسحب مدونهم ، المتمردون الى ماواهم الحصين وهو كهف سانتا ماريا - كوبادونجا - يحتمون به ، ويدافعون فيه عن انفسهم فيما لو اقدم المسلمون على مهاجمتهم ، وربما ظل المتمردون على هذا الحال حتى عزل الوالى الحر بن عبد الرحمن وخلفه السمح بن مالك الخولانى (١) ، على ولاية الأندلس فى رمضان عام ١٠٠ هـ / ابريل ٧١٩ م .

ولا نعرف على وجه الدقة مدى تطور حركة المتمردين فى اشتوريس خلال ولاية السمح بن مالك ، اذ تصمت المصادر الاسلامية واللاتينية عن ذلك ، وان كنا نعلم ان السمح قد صرف نشاطه خلال العامين الأولين من ولايته (١٠٠ - ١٠٢ هـ / ٧١٩ - ٧٢١ م) الى اكمال التنظيم الداخلى للاندلس (٢) ، بناء على تكليف الخليفة عمر بن عبد العزيز له ، مثل حصر الأراضى ، والتمييز بين ما خضع منها صلحا أو عنوة ، وتخميسها وتقسيمها بين المسلمين ، واخضاعها للضرائب المستحقة ، وتقدير موارد البلاد المالية وتنظيم دخلها ، ثم محاولته التوفيق بين جنده وجند

---

(١) عنه ، انظر . الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٣٠٣ رقم ٨٣٩ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ١ ص ١٩٥ رقم ٥٨٦ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٢٠ رقم ٤٩٨ ، المقرى عن ابن حيان ، نفح ، ٤ ص ١٣ - ١٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٨ ، اخبار مجموعة ، ص ٢٣ ، مؤنس ، فجر ، ص ٢٤٥ وان جعل عام ١٠٠ هـ موازيا لعام ٧٤٠ ميلادية ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٣٥ ، Lafuente, Ajbar Machmuâ, Apen-2, pp 196-197.

(٢) عنها بتفصيل ، انظر . اخبار مجموعة ، ص ٢٣ - ٢٤ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٦ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، مؤنس ، فجر ، ص ١٣٥ وما بعدها ، عبدالجليل عبد الرضا ، العلاقات السياسية ، ص ٤٣ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٣٥ - ١٣٧ ، حسن خليفة ، تاريخ العرب ، ص ٢٨ .

سابقيه من الولاة ، الذين كانوا يرفضون مشاركة جنده لهم فيما كان بايديهم من اراضى(١) بالاضافة الى ما قام به من اعمال معمارية كتجديد قنطرة قرطبة(٢) ، لتسهيل الاتصال بها وتقوية الدفاع عنها باعتبارها العاصمة .

ولم يكد السمح يفرغ من هذه المهام التى اتت على وقته فى العامين الأولين من ولايته ، حتى بدأ الجهاد فيما وراء جبال البرتات ، فغزا غالة النربونية Galiam Narbonensem (٣) ، وذلك فى ربيع عام ١٠٢ هـ / ٧٢١ م ، وهى الغزوة التى انهزمت فيها الجيوش الاسلامية لأول مرة فى غالة ، واستشهد فيها الوالى السمح نفسه فى ذى الحجة عام ١٠٢ هـ / يونيو ٧٢١ م(٤) .

ولذلك نعتقد ان انصراف السمح خلال ولايته الى تنظيماته الداخلية فى الأندلس ، ثم الى غزوته لغالة ، قد أدى الى انشغال المسلمين عن المتمردين فى اشتوريس لمدة عامين على الأقل ، فاطمانوا على أنفسهم ، وازدادوا ثقة واملا فى نجاح تمردهم حينما انهزمت الجيوش الاسلامية فى غالة ، لا سيما وقد اضطربت احوال الأندلس ذاتها نتيجة الهزيمة ، فتشجع المتمردون وخرجوا من كهفهم الذى يحتمون به ، وربما اقدموا ايضا على مهاجمة

---

(١) انظر بتفصيل ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، Chron., Isidore Pacense, Op Cit, 8 p 305 No. 48.

(٢) عن وصفها ، انظر . الادريسى ، نزهة ، ص ٧٥٩ ، وان جعل Condé ، الوالى عنبسة بن سحيم خليفة السمح هو الذى قام بتجديدها ، دون أن يشير الى مصادره ، انظر . A History of Spain, 1 p 99.

(٣) عن الحملة بتفصيل ، انظر . Chron. Isidore Pacense, p 305 No. 48 ; Continuador del Biclarense, ed. Lafuente, Apud. Ajbar Machmuâ. p 146 ; Chron. Moissiacense. ed. Lafuente, Op Cit,p 165. مؤنس ، فجر ، ص ٢٤٥ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، ارسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، ٧١ ، طرخان ، المسلمون فى اوربا ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) انفرد صاحب اخبار مجموعة بالقول أن والى افريقية بشر بن صفوان عزل السمح وولى مكانه عنبسة بن سحيم ، ونعتقد أن الأصح ما اجمعت عليه المصادر الاسلامية بأنه استشهد فى غزوته ، انظر . ص ٢٤ .

بعض الحاميات الاسلامية العسكرية المقيمة فى اشتوريس ، فى بداية ولاية عنبسة بن سحيم الكلبى(١) ، الذى خلف السمح فى صفر عام ١٠٣ هـ / يوليو ـ اغسطس ٧٢١ م ، وبخاصة ان المؤرخين المسلمين الأوائل كالرازى(٢) وابن حيان(٣) وصاحب فتح الأندلس(٤) يشيرون الى قيام ـ اى هجوم ـ بلاجيوس فى ايام عنبسة هذا .

وعلى هذا النحو تطورت حركة التمرد فى اشتوريس ، واخذت ـ بنص المؤرخ المقرى ـ طابع ثورة (٥) ، ازداد خطرها ، ووقف على تطورها الوالى عنبسة ، الذى ما كان له ان يغفل عنها بل وجب عليه التصدى لها . ويبدو انه لم يفكر فى امكانية مقاومة بلاجيوس وجماعته مقاومة جدية ، او انه كان على ثقة كبيرة فى احراز نصر سريع عليهم ، يمكنه من انعاش حماسة جنده ورفع معنوياتهم ، استعدادا للانتقام لهزيمة سلفه السمح واستشهاده فى غالة ، ومن ثم اصدر اوامره بتحرك جمع اسلامى ضد هذه الشرذمة الثائرة .

ويتفق المؤرخون المسلمون الذين سبقت الاشارة اليهم مع بعض المؤرخين اللاتين(٦) فى أن بلاجيوس وجماعته هم الذين بدأوا هذا الهجوم، وتضيف مدونة سيلوس Silense (٧) أن بلاجيوس بدأ بالهجوم عندما تاكد من معاونة الرب ، ومؤازرة رفاقه له ، ومع ان مدون مدونة سباستيان Sebastiani (٨) قد اظهر المسلمين بمظهر المعتدين ،

---

(١) عنه ، انظر . ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ١ ص ٣٤٤ رقم ١٠١٣ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٤٢٠ رقم ١٢٥٩ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٣٠١ رقم ٧٤٠ ، المقرى وابن بشكوال ، نفح ، ١ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، ٤ ص ١٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٥٤ ، الخانجى ، منجم العمران ، ١٠ ص ٦٩ .

(٢) برواية المقرى ، نفح ، ٦ ص ٨٣ .

(٣) برواية المقرى ، نفسه ، ٤ ص ١٥ .

(٤) برواية مؤنس ، فجر ، ص ٣٢٧ .

(٥) نفح ، ٦ ص ٨٢ .

(٦) Chron. Albeldense, p 450 No. 50 ; Cron. Rotense, p 613.

(٧) Ed. Florez, 17 p 273 No. 20.

(٨) Ed. Florez, 13 p 497 No. 8.

لالقاء التبعة عليهم ، حينما ذكر انهم ما ان علموا بنبأ اختيار بلاجيوس زعيما للمسيحيين فى أشتوريس حتى أرسلوا اليهم جيشا ضخما، فلا ينفى ذلك ما أجمعت عليه وجهات النظر الاسلامية واللاتينية ببدء الثائرين للهجوم فضلا عن أنه يتفق مع كونهم ثائرين .

واذا كان المؤرخون المسلمون الأوائل ـ الرازى وابن حيان وصاحب فتح الأندلس ـ لم يحددوا تاريخا معينا خلال ولاية عنبسة لتحرك البعث الاسلامى ضد الثائرين باشتوريس ، سوى القول بانه كان فى ايامه (١) . فيمكن تحديد تحرك هذا البعث بعام ١٠٣ هـ ، اذ اشار ايزيدور الباجى Isidore Pacense الى نبا انتصار حاسم لعنبسة على الاسبان عام ١٠٣ هـ (٢) / ٧٢١ ـ ٧٢٢ م ، ولما كان هذا المؤرخ يميز دائما فى روايته بين الاسبان والفرنجة سكان غالة ، فانه يقصد انتصار عنبسة على الاسبان ، وعلى الأرض الاسبانية ذاتها ، وليس خارج حدودها ، ويؤيده ايضا ان المصادر الاسلامية واللآتينية على السواء لم تذكر أخبارا عن اى معركة خاضتها الجيوش الاسلامية فى غالة خلال هذا العام .

وربما يبدو تضارب بين ما يذكره ايزيدور الباجى من انتصار عنبسة، وبين ما يشير اليه المؤرخون السابقون ـ الرازى وابن حيان وصاحب فتح الأندلس ـ من انتهاء الحملة فى غير صالح المسلمين ، الا انه يبدو من روايتهم أيضا أن الجيش الاسلامى قد ألجأ بلاجيوس وجماعته الى صخرة بلاى Peña de Pelayo ـ وهى فى ركن قصى من جبال قمم أوربا Los Picos de Europa باشتوريس ـ وربما كانت أنباء هذا الالجاء هى التى وصلت الى سمع ايزيدور فدونها ، وظلت نهاية الحملة خافية عليه . ولذلك فاغلب الظن ان يكون الجمع الاسلامى الذى ارسله عنبسة قد اتجه الى الثوار فى أشتوريس خلال عام ١٠٣ هـ / ٧٢١ ـ ٧٢٢ م ، كما يشير ايزيدور الباجى .

---

(١) انظر . المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، ٦ ص ٨٣ ، مؤنس ، فجر ، ص ٣٢٧ .

(٢) Ed. Florez, Op Cit, 8 p 306 No. 52.

ومن ناحية اخرى ، فقد أورد الحميدى(١) ، والضبى(٢) ، وابن الابار (٣) ، فى تراجمهم نبا استشهاد شخص يدعى نعيم بن عبد الرحمن ابن معاوية على يد الروم بالأندلس ، فى يوم عرفه ٩ من ذى الحجة عام ١٠٣ هـ / مايو ٧٢٢ م (٤) . ولأن هؤلاء المترجمين ـ وغيرهم من المؤرخين المسلمين ـ كانوا يستخدمون لفظ الأندلس احيانا ليدل على غالة أيضا(٥) ، مما يجعلنا نشك فى انهم يقصدون بالأندلس هنا أرض شبه جزيرة ايبيريا لا سيما وان الأندلس مقرونة فى رواياتهم بكلمة الروم . الا انهم لما كانوا يؤكدون ان نعيم قد استشهد فى ذى الحجة ١٠٣ هـ / مايو ٧٢٢ م ، فى الوقت الذى لم تورد فيه المصادر التاريخية الاسلامية اخبار اى حملة الى غالة خلال هذا العام او بعده ، وانما فى السنة الخامسة من هزيمة السمح بن مالك اى فى عام ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م (٦) ، ولذلك تكون

---

(١) انظر . جذوة المقتبس ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ رقم ٨٤٧ .

(٢) أنظر . بغية الملتمس ، ص ٤٦٤ رقم ١٤٠٢ .

(٣) انظر . التكملة ، ٢ ص ٧٥٦ رقم ١٨٧١ .

(٤) خالف Condé هذا التحديد ، قائلا انه توفى فى حملة السمح ابن مالك لغالة عام ١٠٢ هـ / ٧٢١ م ، أنظر . Condé, Op Cit, 1 p 96

(٥) على سبيل المثال ، أنظر . الضبى ، نفسه ، ص ٣٠٣ رقم ٨٣٩، الحميدى ، نفسه ، ص ٢٢٠ رقم ٤٩٨ حين ترجمتهما للسمح ، ويذكران انه استشهد فى قتال الروم بالأندلس . وايضا الضبى ، نفسه ، ص ٣٥٣ رقم ١٠٢١ ، الحميدى ، نفسه ، ص ٢٥٦ رقم ٦٠٣ ، حين ترجمتهما لعبد الرحمن الغافقى ويشيران انه أشتشهد فى قتال الروم بالأندلس . اما ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ١ ص ٢٥٦ رقم ٧٧٢ ، فيذكر انه قتلته الروم بالأندلس . ويذكر ابن بشكوال براوية المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٤ ، انه استشهد فى قتال العدو بالأندلس ، وانظر ايضا . الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ٤ ص ٨٧ ، الذى يذكر العبارة الخاصة باستشهاد السمح وان جعل ذلك عام ١٠٣ هـ . وابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٧ حين الحديث عن حملة عنبسة لغالة ، فيقول أنه خرج غازيا للروم بالأندلس . ولما كان السمح وعبد الرحمن قد استشهدا فى ارض غالة فيكون المؤرخون المسلمون ومن بينهم الضبى والحميدى يستعملون لفظ الأندلس ليدل ايضا على غالة .

(٦) أنظر . Chron. Moissiacense, Op Cit, p 165.

القائد الاسلامى فى كتاباتهم باشكال متعددة أبرزها ما يلى : Alkama (١) وايضا Aloamane (٢) و Alchaman .

وليس بمقدورنا تقدير اعداد هذا الجيش الاسلامى تقديرا دقيقا ، ولا قبول التقدير الخيالى للمدونات اللاتينية السابقة ، اذ فى الوقت الذى لم يجهز فيه المسلمون سوى سبعة آلاف مقاتل لفتح شبه الجزيرة الايبيرية كلها فى عام ٩٢هـ/٧١١م،فليس من المعقول ان يجردوا عشرات اضعافه لمجرد القضاء على بؤرة ثورية صغيرة هناك . لا سيما وانه اذا قدرنا اعداد كل الجنود المسلمين الذين دخلوا شبه الجزيرة منذ فتحها عام ٩٢ هـ / ٧١١ م حتى عهد عنبسة بن سحيم عام ١٠٣ هـ / ٧٢١ م ، ودون احتساب من استشهد منهم فى داخل ايبيريا او فى غالة ، فانها لا ترقى الا الى حوالى ستين الفا (٣) ، فانى للمسلمين بمثل هذا العدد الرهيب ؟ يضاف الى ذلك انفراد المدونات اللاتينية بهذا التقدير ، ولذلك يقتضينا الامر عدم الاعتماد

---

(١) p 479 No. 8, p 480 No. 10 ; Cron. Chron. Sebastiani. p 273 No. 20 ; Chron. Silense, Chron. Léonaise, Rotense, pp 613,614 ; Chron. Albeldense, Ed. Moreno, p 601. p 388 Sqq ;

(٢) Chron. Albeldense, Ed. Florez, Op Cit., p. 450 No. 50
وانفردت هذه الطبعة بايراد الاسم بهذا الشكل ، ويبدو انه خطا فى النسخ او الطبع لسهولة تحريف حرف الـ C الى O .

(٣) رافق طارق فى حملته الى اسبانيا اثنا عشر الف مقاتل ، ورافق موسى ثمانية عشر الفا ، ورافق الحر بن عبد الرحمن اربعمائة من وجوه افريقية ، وان كنا لا نعرف عدد الذين رافقوا السمح وعنبسة ، يضاف اليهم جميعا من هاجر الى الأندلس بعد فتحها ونفترض ان اعدادهم تساوى الأعداد المذكورة اعلاه . قارن : المقرى وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٤ ص ١٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٧ ، اخبار مجموعة ، ص ٦ ـ ٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٦ ـ ١٣ ، ٢٥ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٤٢ .

على رواية جانب واحد ، او الاطمئنان كلية الى صحتها(١) .

واذا وضعنا فى الحسبان ايضا روح العصر الدينية ، وان مدونى هذه المدونات اللاتينية كانوا رهبانا ورجال دين ، اتضح السر فى مغالاتهم ، التى ارادوا بها اظهار مدى تدخل العناية الالهية فى صف مسيحيى اشتوريس القلائل ، والتضخيم فى قيمة انتصارهم ، او ليظهروا انه اذا كان المسلمون قد فتحوا ايبيريا فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م وعاونهم فى ذلك كثرة اعدادهم ، فان مسيحيى اشتوريس القلائل قد ردوا جيشا هائلا ـ ١٨٧ الفا ـ على اعقابه ، حتى يخيل للقارئ انهم استطاعوا اكثر مما استطاع المسلمون فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م .

ويبدو ايضا ان طبيعة العصر كانت مغالاة المنتصر فى تقدير اعداد الخصم المنهزم ، اذ اتخذت المصادر الاسلامية نفس الموقف ، وذلك حينما قدرت الجيش القوطى الذى انهزم فى معركة وادى لكة فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، بستمائة الف (٢) وبمائة الف (٣) ، او بسبعين الف (٤) ، واقل تقدير بأربعين الف (٥) . ولذلك وقف ابن خلدون من تقدير المؤرخين فى العصور الوسطى

---

(١) يرفض معظم المؤرخين المسيحيين المحدثين ـ متطرفين ومعتدلين ـ تقدير المدونات اللاتينية لأعداد هذا الجيش الاسلامى ، معترفين بما فيها من مغالاة وبعد عن الحقيقة ، قارن Quadrado, Op Cit, p 26 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 133-134 ; Saavedra, Pelayo, p 14 (قدره بحوالى ١٨٧٠) ; Urbel, Op Cit, p 26 ; Danham, Op Cit, 2 p 122 ; Velasco, Op Cit, p 192 ; Watts, Op Cit., p 26 ; Scott, Op Cit, 1 p 351 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 p 26 (قدره بحوالى الف مقاتل) Perez, de Cao, Op Cit, p 172.

(٢) انظر : الحميرى ، صفة ، ص ١٠ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٤٢ .

(٣) انظر : ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٤٧ ، اخبار مجموعة ، ص ٧ ، ٨ ، المقرى عن ابن حيان والرازى ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢٤١ .

(٤) انظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٥ .

(٥) انظر : ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٧ .

لأعداد الجيوش موقف الرفض (١) .

ومن ناحية أخرى ، فلا نملك تقديرا لأعداد الثائرين مع بلاجيوس اذ لم تفصح المصادر اللاتينية أو الاسلامية عن ذلك ، وان أشارت الأخيرة أنه وصل فى أقصى حالات ضعفه الى ثلاثمائة مقاتل (٢) ، فانها لم تقصد حصر كل أعداده بقدر ما تشير الى عدد الذين التجأوا مع بلاجيوس داخل الكهف واحتموا به ، وبالطبع فلم يزد عن ذلك كثيرا نظرا لصغر مساحة الكهف (٣) ، أما باقى أعداد قواته ، وكانوا معظمها ، فقد كمنت على قمم الجبل المؤدى الى مدخل الكهف (٤) ، وقدرها بعض المؤرخين الاسبان المحدثين أمثال Velasco (٥) Saavedra, (٦) باكثر من الف رجل بقليل . واذا أضفنا هذا العدد الى عدد من كانوا بالكهف مع بلاجيوس مائة يقل قليلا عن الفى مقاتل وهم كانوا عدد جيش بلاجيوس ، الذى نعتقد أن يكون تقريبا من عدد الجيش الاسلامى أيضا .

---

(١) انظر : المقدمة ، ص ١٤ . هذا وقد رفض كثير من المؤرخين المحدثين مغالاة المدونات اللاتينية فى هذه الأعداد وفى وقائع المعركة ، وعلى سبيل المثال انظر . Urbel, Op. Cit, pp 26-28 ; Cayetano, Op. Cit, وعن أسباب Barrau-Dihigo, Recherches, pp 127-135 ; p 10, pp 17-18 ; هذه المغالاة التى ترجع لطبيعة العصر انظر ، Sànchez Albornoz, Origénes, 2 pp 50-52 ; Caveda, Op Cit, pp 70-71

(٢) قارن : المقرى عن الرازى وابن حيان ، ٤ ص ١٥ ، ٦ ص ٨٣ ، أخبار مجموعة ، ص٢٨ ، ابن عذارى عن مؤلف كتاب بهجة الأنفس ، البيان، ٢ ص ١٢ - ١٣ .

(٣) تدرت بعض المدونات اللاتينية عدد ما يمكن أن يحويه الكهف بألف رجل ، انظر . Chron. Silense, Op Cit, p 273 No. 20 ، وأنظر أيضا رواية مدونة الفونسو العاشر التى يوردها كل من : Huici, Op Cit, 2p 44 No. 4 ; Velasco, Op Cit, pp 193-194.

(٤) انظر . Cron. Rotense, Op Cit., p 613 ، ونص مدونة الفونسو العاشر التى يوردها Velasco, Op Cit, p194 ، ونص مدونة رودريجو التى يوردها Sànchez Albornoz, Origénes, 2p 147

(٥) Guadalete y Covadonga, p 189.

(٦) Pelayo, p 12.

أما قائد الجيش الاسلامى الذى أشارت اليه المدونات اللاتينية على أنه Alchaman—Alkama باشكاله المختلفة التى ذكرناها ، فيبدو أنها الصيغة الأوروبية للاسم العربى علقمة ، وهو وان لم يرد اسمه الا فى كتاب الحميرى (١) ، باسم علقمة بن عامر كأحد التابعين الذين دخلوا الأندلس ، فقد حفظت المصادر الاسلامية الأخرى اسمى ابنيه من بعده ، وأولهما عبد الرحمن بن علقمة اللخمى ، الذى لعب دورا هاما فى الصراعات بين العرب البلديين - الذين دخلوها حوالى عام ١٢٣ هـ / ٧٤٢ م - وكان يلى ثغر أربونة (نربونة) Narbonne وبعد فارس اهل الأندلس ، ثم اغتيل على أيدى اتباع الوالى يوسف الفهرى حوالى عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م(٢) . أما الابن الآخر فهو تمام بن علقمة ، ويكنى بأبى غالب ، الذى عاون عبد الرحمن ابن معاوية - الداخل - فى اقامته للدولة الأموية فى الأندلس ، وظل على قيد الحياة حتى توفى فيما بين عامى ١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٨٩ - ٧٩٦ م (٣) . فوجود ابنين يؤيد وجود أبيهما علقمة بالأندلس اثناء الفتح الاسلامى لها (٤) ، وكان - مثلما تشير المدونات اللاتينية - من أعوان طارق بن زياد أو مصاحبا له (٥) ، وبخاصة أن جيش طارق حوى قلة من كبار جند ووجوه

---

(١) انظر . صفة ، ص ٤ . ويورد هذا عن عبد الملك بن حبيب .

(٢) عن ذلك قارن بتفصيل : أخبار مجموعة ، ص ٤٣ - ٤٤ ، المقرى ، نفح ، ٤ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٣٢ ، ٣٨ ، ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٢ - ٤٣ ، مؤنس ، فجر ص ٢٩٥ وما بعدها و ص ٢٨٧ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ١٨٨ .

(٣) عن ذلك قارن بتفصيل : أخبار مجموعة ، ص ٧٤ - ٧٥ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٣٠٧ ، ٤ ص ٣٠ ، ٤٤ - ٥٠ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ٤٥ - ٤٦ ، ٤٨ ، ابن القوطية ، نفسه ، ص ٤٨ ، مؤنس ، فجر ، ص ٦٧٣ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٨٢ ، حسن خليفة ، تاريخ العرب ، ص ٥٣ .

(٤) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٣٢١ حاشية ١ .

(٥) Chron. Sebastiani, p 479 No. 8 ; Cron. Alfonso III, p 62 ; Chron. Silense, p 273 No. 20. وجعله بعض المؤرخين بربريا ، أنظر . Sànchez Albornoz, Origénes, 2 p 23. Risco, Op Cit, 37 p 76 No. 110 ;

العرب(١) ، ولأن ايزيدور الباجى Isidore Pacense يذكر أن عنبسة قد أناب عنه فى قيادة الحملات قوادا يسميهم Satrapas (٢) أى نوابا ، فنرجح ان يكون علقمة واحدا منهم ، وانه هو الذى قاد البعث الاسلامى الى اشتوريس .

وإذا كانت المعركة بين المسلمين والثوار فى أشتوريس قد حدثت عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، واستشهد فيها قائد البعث الاسلامى – كما سيأتى بيانه – فمن المستبعد اذن أن يكون قائده عبد الرحمن بن علقمة أو أخيه تمام ، مثلما اشارت احدى الدراسات الحديثة (٣) ، اذ ظل أولهما على قيد الحياة حتى عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، وثانيهما فيما بين عامى ١٧٢ – ١٨٠ هـ / ٧٨٩ – ٧٩٦ م ، وعلى افتراض صحة قيادة أى منهما ، نكان من المنطقى أن تشير المدونات اللاتينية اليه باسمه وليس باسم والده .

كذلك نان بعض المؤرخين المحدثين (٤) – الذين يحدون تاريخ المعركة بعام ٩٩ هـ / ٧١٨ م فى عهد الحر بن عبد الرحمن – ذهبوا الى القول بان الاسم الذى تقدمه المدونات اللاتينية لقائد البعث الاسلامى ليس الا السمح ابن مالك والى الأندلس ، واستطردوا اكثر من ذلك فعارضوا اجماع هذه المدونات بان ذهبوا الى القول بانه لم يمت فى المعركة لأنه خلف الحر بن عبد الرحمن على ولاية الأندلس . وتكمن مجانبة هذا الرأى للصواب فى ان السمح

(١ كان جيش طارق بربريا باستثناء قلة من العرب اختلف فى عددهم . انظر . ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠٤ ، أخبار مجموعة ، ص ٦ ، المقرى عن ابن بشكوال وغيره ، نفح ، ١ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، الحميرى ، صفة ، ص ٩ . وانظر أيضا ، مؤنس ، فجر ، ص ٦٨ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٧١ – ٧٢ ، وقد اثبتا اسم علقمه ضمن جند طارق دون ان يشيرا الى مصدرهما .

(٢) انظر . Ed. Florez, Op Cit, 8 p 306

(٣) انظر . السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٦٩ .

(٤) Velasco, Op Cit, p 191 ; Danham, Op Cit, 2 p 122 No. 3 ; Caveda, Op Cit, pp 60-61 ; Somoza, Op Cit, p 453.

لم يقدم الى الأندلس الا عندما اختير واليا لها فى رمضان سنة ١٠٠ هـ / ربيع ٧١٩ م(١) . وفى الوقت الذى يتمسك فيه المؤرخون السابقون بعام ٩٩ هـ / ٧١٨ م لتحديد تاريخ المعركة بين المسلمين والثوار فى أشتوريس ، فانهم يستعيرون نصا من غزيرى Casiri يشير فيه بوضوح الى حملة ارسلها يوسف الفهرى أواخر عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، بقيادة الحصين بن الدجن وسليمان بن شهاب ، ضد بعض المسيحيين بالأندلس دون أن يحدد مكانهم (٢) ، وينسبون أحداث النص لعام ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، مع أنها محددة بأواخر عام ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م وفى ولاية يوسف الفهرى ، واقحموا على النص أيضا اسم السمح بن مالك بدلا من الحصين بن الدجن ، وفسروا الحقائق بذلك تفسيرا يتلاءم مع اهوائهم دونما اتباع للمنهج التاريخى .

وعلى كل فقد قاد علقمة اللخمى البعث الاسلامى وقصد بؤرة الثورة ومركز نشاطها بمدينة كانجاس (Cangas de Onis) Canicas

---

(١) كان السمح مقيما بافريقية ، وعندما وفد على الخليفة سليمان بن عبد الملك مع وفد افريقية بجباياتها ، عاين عمر بن عبد العزيز فضله وأعجب به فضمه الى نفسه ، واستبقاه معه ، حتى اعتلى الخلافة الاموية فولاه الأندلس ، أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٢٢ – ٢٣ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٩ حيث يشير صراحة الى أن الخليفة بعثه واليا على الأندلس .

(٢) انظر . Bibliotheca, 2 p 23 ، وعن الحملة بتفصيل ،
انظر . أخبار مجموعة ، ص ٧٦ – ٧٧ ويجعلها الى بلاد البشكنس ببنبلونة
فى شمال شرقيى الأندلس ، ويبدو أن ذلك صحيحا اذ يشير أن فلول الجيش
التجات الى مدينة سرقسطة وهى أقرب الى بنبلونة منها الى أشتوريس ،
وأنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٦٧٥ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص
١٨٣ ، وجعلها مرة الى البشكنس ومرة أخرى الى جليقية ، وعذره أن ابن عذارى
يشير فى بيانه (٢ ص ٤٤) الى بعثين أحدهما الى جليقية والآخر الى
البشكنس دون تحديد لأسماء قوادهما ، ومع ذلك فنص صاحب أخبار مجموعة
أوضح ، وأنظر أيضا . Condé, Op Cit, 1 pp 145-146 ، والحصين
سيد جند قنسرين ، أما سليمان فسيد جند دمشق وكلاهما من القيسية
من الحجاز ، أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٦٥ ، مؤنس ، فجر ، ص ٢٣٧ .
وقد استشهد سليمان ونجا الحصين بفلوله الى سرقسطة وكان ممن عاون
عبد الرحمن بن معاوية ضد يوسف الفهرى ، أنظر . المقرى ، نفح ، ٤
ص ٥٢ – ٥٣ .

الحالية) فى اشتوريس ، وكان على ثقة اكيدة ، ان لم يكن باستسلام هذه الحفنة الثائرة - فبانتصاره عليها اذا رفضت الاستسلام وحاولت المقاومة .

ولما كانت اهداف البعث الاسلامى لا تقتصر على اخضاع الثورة وقمعها ، وانما أيضا رفع معنويات الجند المسلمين لكى يستعيدوا ثقتهم بعد الهزيمة التى حلت بهم فى غالة منذ عام سبق ، فقد كانت خطة علقمة تحقيق ذلك باقل الخسائر ، ودون حرب أو قتال اذا ما تمكن من ذلك ، فاصطحب معه أسقفا ، عرف للمسلمين باسم ابه أو عباس (١) Oppas - وكان قد انضم لهم عندما فتحوا ايبيريا (٢) . وكان يعرف بلاجيوس

(١) قوطى الأصل ، واختلف فى نسبه ، فجعلته المصادر الاسلامية اما ابنا لغيطشة الملك القوطى قبل رذريق ، أو من أحفاده . قارن : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٨ ، ٣٠ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، اخبار مجموعة ، ص ٥ ، ٨ . أما معظم المدونات اللاتينية فقد جعلته ابنا لغيطشة وان اختلف فيما اذا كان أسقفا لطليطلة أم لاشبيلية ، قارن : Chron. Sebastiani, p 479 No. 8 ; Chron. Albeldense, p 450 ; Chron. Silense, p 273 ; Cron. Rotense, p613 ; Cron. AlfonsoIII, No. 50 ; p 62. وقد انفرد Isidore Pacense و Alfonso X بالقول أنه ابن للملك القوطى اجيكا أى أخ لغيطشة ، أنظر . Huici, Op Cit, 8 p 299 ; Florez, Op Cit, 1 p 2o6 N0. 7 وقارن أيضا . مؤنس ، فجر ، ص ٣٢٢ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٥٩ حاشية ٤ ،حسن خليفة ، تاريخ العرب ، ص ١٩ ، Valdeavellano, Cp Cit, 381 ; Saavedra, Pelayo, p 11 ; Velasco, Op Cit, pp 199-200 ; Barrau-Dihigo, Recnerches, 129 ; Cavda, Op Cit, p 64 Sqq.

(٢) تشير المصادر الاسلامية الى انتزاع رذريق العرش من أبناء غيطشة ومنهم ابه ، لصغرهم أو لعدم تراضى أهل اسبانيا عليهم فكانوا ممن اداروا عليه الهزيمة بانضمامهم للعرب ، قارن : أخبار مجموعة ، ص ٥ ، ٨ ، المقرى عن ابن حيان وغيره ، نفح ، ١ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٤٢ . وتكتفى المصادر اللاتينية بالقول أنهم خانوا رذريق فى العالم الثالث من حكمه باستدعائهم للعرب لغزو البلاد ، قارن : Cron. Rotense, pp 611-612 ; Cron. Alfonso III, pp 60, 105-106 ; Chron. Léonaise, pp 385-386 ; Chron. Silense, Ed. Huici, Op Cit, 2 pp 34-36 ; Chron. Sebastiani, Ed. Huici, 1 p 204.

Pelagius من قبل فى بلاط العاصمة القوطية طليطلة(١) - بهدف اقناع بلاجيوس بالاقلاع عن فكرة مقاومة المسلمين سادة البلاد الجدد ، واصحاب الجيوش الجرارة التى لا تقاس معها جماعة بلاجيوس فى عدد او عدة . اما اذا فشلت هذه الخطة فكان على علقمة أن يستخدم القوة اسلحة ليخمد انفاس الثائرين وتكبيل قائدهم بالسلاسل واحضاره الى قرطبة العاصمة الاسلامية (٢) .

وصلت انباء تقدم علقمة مع قواته من القواسين والنشابين والفرسان والراجلة ، الى سمع بلاجيوس واتباعه ، وهم بمدينتهم كانجاس Cangas de Onis ولما كانت اعدادهم قليلة وعدتهم هزيلة ، فانهم - على حد تعبير مدونة الفونسو العاشر Alfonso X - قد ارتعدوا خوفا (٣) ، وادركوا خطورة مقاومة المسلمين او التصدى لهم فى مكان مكشوف مثل وادى كانجاس ، ولذلك اعملوا الفكر ليهديهم الى مخرج من مازقهم هذا ، والا كان هلاكهم محتوما ، بل يقال انهم تضرعوا الى الرب حينذاك ليهيىء لهم من أمرهم رشدا(٤) .

وحينذاك اهتدوا الى فكرة الانسحاب الى منطقة يكونون فيها آمنين على انفسهم ، وقادرين على التصدى لهجوم المسلمينورده ان لم يكن احباطه ورده . وعاونتهم فى ذلك معرفتهم بالمنطقة وطبوغرافيتها ، فكان انسب الأماكن هو كهف سانتاماريا أى كهف أونجا Covadonga (٥) الذى لا يبعد عن مدينة اقامتهم ومركز ثورتهم بمدينة كانجاس الا بفرسخين - أى حوالى

(١) Saavedra, Pelayo, pp 11-12 ; Caveda, Op Cit 1p 66.

(٢) عن مهمة أوباس هذه ، أنظر . Chron. Silense, p 273No. 20-21 ; Huici, Op Cit, 2 p 46 ; Cabal, Op Cit, pp 287-288.

وان كان نفر قليل من المؤرخين المحدثين ومنهم Pellicer و Masdeu يشككون فى مرافقة عباس للجيش الاسلامى ، وعن أرائهم ، أنظر Danham, Op Cit, 2 p 123 No. 1 ; Caveda, Op Cit, pp 65-66.

(٣) عن نصها ، أنظر . Velasco, Op Cit, p 194

(٤) أنظر . Saavedra, Pelayo, p 11

(٥) عن كيفية تطور اسم الكهف ، حتى استقر على هذه الصورة فى الوقت الحاضر ، أنظر . Cabal, Op. Cit., pp 15-25

سنة اميال (١) ـ ناحية الشرق ، ويعرفونه حق المعرفة اذ كان ماواهم فى محنهم من قبل .

ويقع الكهف فى جوف صخرة مائلة شديدة الانحدار(٢) بجبل اوسبة Auseva الضخم (٣) ، الذى تعلو هامته الى حوالى اربعة آلاف قدم ، وهو احد الكتل الغربية لجبال قمم اوربا Los Picos de Europa، التى تشكل بدورها امتدادا غربيا لسلسلة جبال كنتبرية .

ويبدأ الطريق ما بين وادى كانجاس Canicas فى الغرب الى جبل اوسبة Auseva فى الشرق (٤) ، بواد ضيق ، محفوف بتلال عالية ، مغطاة بأشجار كثيفة ، ومحاذ فى نفس الوقت لمجرى نهر سلا Sella (٥) ـ Buena الحالى ـ وعندما يتحد هذا النهر على بعد نصف فرسخ من مدينة كانجاس مع نهر ديبا (Devae) Deva (٦) فان الــوادى ينحنى تجـاه الجنوب مع اتجاه منبع النهر الأخير ، ولمسافة فرسخ آخر تكـاد التلال تبدو جبالا على ضفتى النهر ، ويزداد ارتفاعها مع التقدم فى السير ، ويختنق الوادى أيضا ويضيق حتى يصل الى منطقة تلية تسمى

---

(١) يقدر ياقوت طول الفرسخ بحــوالى ثلاثة أميـال ، وعن ذلك واشتقاق اللفظ لغويا ، أنظر . معجم ، ١ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) عن وصفها ومناعتها الطبيعية بتفصيل ، أنظر . Chron. Silense, p 273 No. 20 ; Risco, Op Cit, 37 p 98 No. 149 ; Morales, Op Cit, 3 Fol. 3-4 ; Perez de Cao, Op Cit, pp 172-173. وأنظر أيضا القصيدة الشعرية التى تتناول ذلك فى أسلوب شعرى ، وينقلهـا المؤرخ كابال فى كتابه Covadonga ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٣) يكتب بصيغ مختلفة منها : Asseua و Aseuua و Ascuna والشائعة التى ذكرناها ، أنظر . Cron. Rotense, p 613 ; Cron. Alfonso III, pp 62,109 ; Chron. Silense, p 273 No. 20

(٤) عن وصف الطريق بتفصيل ، قارن : Risco, Op Cit, 37 pp 97-99 ; Quadrado, Op Cit, pp 23-24, 30-32 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 pp 24-26 ; Saavedra, Pelayo, pp 10-11 ; Morales, Op Cit, 3 Fol. 3-4.

(٥) يسمى ايضا نهر كانجاس ، اذ يصب فى بحر كنتبرية بالقرب من مدينة كانجاس ، أنظر . Sànchez Albornoz, Op Cit, 2 p 13

(٦) عنه انظر . Chron. Silense, p 275 No. 24 ; Chron. Sebastiani p 480 No. 10.

La Riera ، ومنها الى الصخرة نصف فرسخ آخر ، اكثر وعورة وتعقيدا ، اذ لا يرى خلاله الا قمما عالية متراصة ، تحيط بالوادى من كل جوانبه ، يتخيلها المرء فكا مفترسا يطبق على فريسته ، ويضيق الوادى وينكمش حتى لا يبقى فيه اتساع أكثر من عرض نهر ديبا ذاته ، ويبدو الوادى فى النهاية عميقا عند أقدام الكهف ـ الصخرة ـ الذى يرتفع الى حوالى ثلاثين مترا ، وبه ينغلق الوادى تماما وينتهى دون مخرج الى ما وراءه من كتل جبال قمم اوربا Los Picos de Europa بسبب المنحدرات الصخرية الشاهقة المحيطة ، التى لا تترك سوى منحدر واحد ـ وهو وان كان شاقا أيضا ـ فانه أقل صعوبة فى تسلقه من غيره ، ويؤدى الى مدخل الكهف Cova Sanctae Mariae ، الذى يطل على الوادى بفتحة طبيعية ، وينفتح الى الداخل بفجوة لا يمكن لها ـ على حد تعبير المصادر اللاتينية ـ أن تحوى فى أقصى حالات تكديسها اكثر من ثلاثمائة رجل ، وان انفردت مدونتا سيلوس Silense (١) والفونسو العاشر Alfonso X (٢) بتقديرهم بحوالى الف .

وفى هذا الكهف انتهى المطاف ببلاجيوس وجماعته المسلحة الذين اتسعت بهم مساحة تلك الفجوة ، فى حين تسنمت باقى قواته التى كانت معظم جيشه قمم الجبال المطلة على جانبى الوادى المؤدى الى مدخل الكهف(٣) . وبذلك اصبح بلاجيوس وجماعته فى مأمن ، واخذوا يترقبون وصول القوات الاسلامية، واستعدوا لملاقاتها ، بعد أن صار كل شيء تقريبا لصالحهم ، وقد صور الأدب الاسبانى الحديث كيفية استعداد رجال بلاجيوس بالأسلحة ، وكيفية تسنمهم لقمة الجبل فى أسلوب شعرى قصصى تكثر فيه المبالغة (٤) .

حقيقة لقد كان هؤلاء الثائرون خائفين مرتجفين ، الا أن علقمة الذى وصل بجيشه الى وادى كانجاس ، قد فسر تقهقرهم بأنهم لا محالة

---

(١) أنظر . Ed. Florez, Op Cit, p 273 No. 20

(٢) أنظر . Velasco, Op Cit, pp 193-194

(٣) Chron. Sebastiani, p 479 No. 9 ; Cron. Rotense, p 631 ; Velasco, Op Cit, pp 193-194 ; Danham, Op Cit, 1 p 249.

(٤) عن نصهـا ، أنظر . Danham, Op Cit, 2 Apen. C, pp 295-297.

مستسلمون دون قتال ، او انه لم يقـدر الموقف حق قدره ، فتملكته ثقة زائدة ، واندفع وراءهم مقتحما الطريق الذى بدا له فى بدايته وكانه لا يختلف فى شىء عن غيره من الطرق التى تعبر اشتوريس ، فتقدم ربمـا دون تعقل او حـذر وتدبـر ، ودون ان يفطن الى الشرك الـذى نصب له ولقواته فى منطقة وعرة موحشـة (١) .

ولا بد ان علقمة قد تنبه الى مخـاطر هذا الطريق ووعورته لكن بعدما قطع فيه شوطا بعيدا ، وربما تحرج موقفه ايضا حينما وصل الى اقدام جبـل اوسبة Auseva ، وتوقف وجها لوجه أمـام بلاجيـوس وجمـاعته ، وعاين على الطبيعة مـدى وعـورة الطبيعة الجغرافية للمنطقة وتعقدها بصـورة يصعب عليه فيها مواجهة خصـمه الا بجبهة محدودة ، هى جبهة الملتجئين داخل الكهف ، تاركا جناحى جيشه مكشـوفين لهجـوم من أى اتجـاه ، وبخـاصة من الكامنين على قمم الجبل من الجانبين ، وهم الذين لم يكن علقمة يعلم عنهم شيئا .

كذلك فربمـا أحس علقمـة بالشرك الذى أعد له ولرجـاله ، وبتحرج موقفه العسـكرى ، وفكر فى أن يعـود أدراجه ليتحاشى ما قد يجره عليـه هـذا الموقف من كوارث . بيد أن الوقت كان متأخرا ، ولم يكن يمنحه خصمه تلك الفرصة دون ان ينال منه ، ولذا فلم يكن امام علقمة سوى ان يجرب اولا أسلوب المفاوضات مع الخصـم لعله ينجح فى اقناعة والعدول عن المقاومة ، فيحل السلم محـل الحرب وسـفك الدمـاء وبالتـالى تغيير الموقف لصالحه .

حينئذ جاء دور الأسـقف عبـاس نتقـدم من بين صـفوف الجيش الاسـلامى حتى اسـتوى على ربوة تعلو قليلا فى مواجهة الكهف قريبا

---

(١) انظر . Williams, Op Cit, 10 p 39 ; Scott, Op Cit, 1 p 349
وانظر تصوير الأدب لهـذه الحالة فى القصـيدة الشعرية السـابقـة ، ويتعجب المؤرخون لاقتحـام المسـلمين لهـذه المنطقة التى لا يجدى فيهـا قتـال ، اذ تقـدم طبيعة الأرض تسـهيلات للمـدافعين عنهـا دون المهاجمين ، بل ويرى البعض انه اذا كانت هنـاك معجـزة فى القتـال الذى دار بين المسـلمين والمسيحيين هنـاك ، فهى معجزة اقحام المسلمين أنفسـهم فى هذه المنطقة . انظر . Caveda, Op Cit, p 84

لبلاجيوس ، واستفتح الحديثمعه(١) بأن اسبانيا (ايبيريا) التى كانتمتحدة ايام القوط ، ومن المع اقطار العالم بعلومهـا وتعاليمهـا الدينية ! ، فانها لـم تستطع مقاومة المسلمين او دفعهم ، ولـم يقـو جيشهـا على الدفاع عنهـا فتحطم تحت ضرباتهم . ثم أضـاف عبـاس Oppas ، رغبة منه فى تخـويف بلاجيوس وجماعته ، وتحطيم معنوياتهم واحباطها ، وتبيـان عدم جـدوى مقاومتهم ، قائلا : فهل بامكانك انت وجمـاعتك القليلة القيـام بهـذا العبء من صخرتكم هذه ! . وفى النهـاية اسدى لبلاجيـوس نصيحته مرغبا له فى الاستسلام ، قائلا له ان يتدبر الأمر جيدا ، فيثوب الى رشده ، ويتخلى نهـائيا عن فكرة المقاومة ، ليكون صديقا للعرب ، فينال منهم التقـدير ، ويحظى بثروات وممتلكات تتمناها كل نفس .

وكان من المنتظر ـ على الأقل من وجهة نظر عبـاس والمسـلمين ـ ان تجد هـذه الاغراءات والوعود ، المنطوية على التهديد والوعيد ، سبيلا الى نفسـية بلاجيوس ، وتثنيه عن عزمه ، الا أنها على العكس زادته اصرارا وعـنادا ، بل واتهم عباس بانه ممن سـاهم ـ بخضوعه للعرب ـ فى هزيمة الجيش القـوطى ، وضياع اسـبانيا ، وأضاف أنه على الرغم من هزيمة امة القـوط وتبديد جيشها ، فانه يثق فى تجدد هـذا الجيش ، ونمـو تلك الأمة القـوطية وتكاثرها حتى تصير امة كبـيرة ، وانه بمعـاونة الرب وفضلـه فسـوف تتحرر أسـبانيا كلها من هذه الصخرة الصغيرة ، ومن ثم فلن يتخذ

---

(١) عن نص الحديث بينهما ، انظر الملاحق ، وانظر ايضا . Chron. Sebastiani, pp 479-480 No. 9-10 ; Cron. Alfonso III, pp 63-64, 111-113 ; Cron. Rotense, pp 613-614 ; Chron. Silense, p 274 No. **21-22** ; Chron. Léonaise, pp 388-389. ويبدو من تفاصيل هذا الحديث أنه يشكل فى مجموعه تجميلات خطابية بلاغية ، من وضع مدونى المدونات اللاتينية ، على ان ذلك لا ينفى محاولات عبـاس مـع بلاجيـوس لاغرائه بالتخلى عن المقاومة لعـدم جـدواها ، وهـذا رأى كثير من المـؤرخين المحـدثين ، انظر : Barrau-Dihigo, Recherces, p 317 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 pp47-49 , Valdeavellano, Op Cit, 1 p 381 ; Cayetano, Op. Cit. p 17.

العرب اصدقاء ، ولن يخضع لهم ، ثم اختتم حديثه الى عباس بانه لا يهاب المعركة ضد المسلمين .

عند ذلك ايقن عباس ان حديثه لم يجد نفعا مع بلاجيوس ، وانه لا امل فى اثنائه عن قصده سلما ، فتبددت امنيته وفشلت مساعيه ، بل فاضت نفسه بالأسى من اتهامات بلاجيوس له ، ولذا فلم يكن منه الا ان استدار لنجيش الاسلامى حاثا افراده على الحرب ، قائلا : انه لمن المستحيل التوصل الى سلام مع مثل هؤلاء الا بالسيف وحده .

وربما كانت كلمة واحدة من بلاجيوس كافية لاحلال هذا السلام المنشود لو انه اراد ، ولعاد الأشتوريون اللاتين والقوط الجرمان الى طاعة المسلمين ، الا ان التاريخ كان على وشك ان يسطر لاسبانيا المسيحية فى هذا الركن القصى من ايبيريا اتجاها آخر مستقلا عن المسلمين ، الذين كتب عليهم ان يحاربوا فى يوم عرفة عام ١٠٣ هـ / مايو ٧٢٢ م ، ويشتعل فيه اوار المعركة بينهم وبين الثوار فى اشتوريس .

بدات المعركة (١) بأن أعطى علقمة اشارة البدء لجيشه ، ومع ضيق المكان الذى حال دون اشتراك كل جنده فى المعركة ، فقد تقدم منهم حملة المقاليع والسهام والرماح (٢) ، وقصدوا من بالكهف ، وامطروهم بوابل متصل

---

(١) عن المعركة وأحداثها ، أنظر Cron. Alfonso III , pp64, 113-114 Chron. Sebastiani, p 380 No 10 ; Cron. Rotense, pp 614-615 ; Chron. Silense, p 274 No. 22-23 ; Chron. Léonaise, p389.

(٢) Chron. Silense, p 274 No. 22 ; Velasco, Op. Cit, pp 194-195 ; Saavedra, Playo, p 12.

كثيف ، نال منهم وكاد ان ياتى عليهم ، فظهر تفوق المسلمين واضحا (١) . الا انه عندما ايقن المتسنمون لقمم الجبل - على جانبى الوادى المؤدى الى مدخل الكهف - بهلاك رفاقهم ظهروا من مكمنهم وفاجاوا جناحى المسلمين بالحجارة وجذوع الأشجار التى اعدوها من قبل فتمكنوا منهما ، اذ كانوا فى موقع اعلى وكان المسلمون مكشوفين لهم دون ان يتمكنوا من تحاشى ما امطروهم به ، فانشلت حركتهم فى الدفاع عن انفسهم ، كما ضنت عليهم المنطقة بمكان يستترون فيه ، أو بممرات يتسلقونها للوصول الى قمة الجبل لمواجهة المتسنمين مواجهة مباشرة كانوا يخشونها ويعملون على تحاشيها (٢) ، وبذلك بدت طبوغرافية المنطقة وكأنها قد ارادت للمسلمين ان يسوء موقفهم أمام خصومهم .

حينئذ اصبح على افراد الجيش الاسلامى ان يدافعوا عن انفسهم فى جبهتين ، كل منهما أقسى من الأخرى ، الأولى أمامية يحتمى اصحابها داخل الكهف ، والثانية جانبية وخلفية مكنها ارتفاعها من أن تنال من المسلمين باكثر مما ينال الأخيرون منهم ، فتحرج موقف المسلمين ، وبدا ميزان القوى ينقلب لصالح المسيحيين ، الذين أحسنوا اختيار مواقعهم فى أرض وعرة حالت دون اعطاء المسلمين الفرصة ليظهروا مقدرتهم وكفاءتهم ، وهى حقيقة لا ينكرها مؤرخو اسبانيا المحدثون حين وصفهم لظروف البيئة

---

(١) يظهر ذلك واضحا من روايات المدونات اللاتينية ، وتضيف أن العناية الالهية وحدها هى التى أنقذت المسيحيين . أنظر Cron.Silense, pp 274-275 ; Cron. Rotense, Loc. Cit, ; Chron. Sebastiani, Loc. Cit,. Barrau-Dihigo, Recherches, p 122. هذا ويذكر المؤرخ الاخير فى تعليقاته على مدونة سباستيان انه يبدو من اولها حتى نهايتها أن الله وحده هو الذى انقذ المسيحيين ، وان تحرر اشتوريس كان نتيجة الرحمة والعناية الالهية وحدها بهم (انظر . ص ١٢٨) ، وانظر ايضا تعليقاته على مبالغة المدونة السابقة ، وعدم شكه فى مقدرة وتفوق المسلمين (ص ١٣٤ - ١٣٥) . واذا كان Sànchez Albornoz من بين الذين سايروا الروايات اللاتينية فى تهويلها ومبالغتها ، الا أنه يعترف فى ذات الوقت بأن العناية الالهية وحدها هى التى حققت انتصار المسيحيين ، أنظر . Origénes, 2 p 37 . هذا ويشيد المؤرخ الاسبانى Caveda بشجاعة المسلمين واقدامهم ، أنظر . Restauracion, p 86

(٢) أنظر . Scott, Op Cit, 1 p 351

الجغرافية وتعقدها فى أرض المعركة(١) .

حمى وطيس المعركة واشتدت رحاها ، وبدا لأصحاب الكهف ساعتئذ تفوق اخوانهم الكامنين على قمم الجبل نخرجوا منه ، وانضموا اليهم حتى صاروا جميعا الى اعلى ، والمسلمون فى أعماق الوادى يصوبون سهامهم ورماحهم اليهم فيرتد اغلبها دون أن تصل الى أعدائها بأعلى ، وهى ظاهرة رأى فيها مدونو المدونات اللاتينية ارادة الله ومعاونة من السماء ، فأطلقوا لأنفسهم عنان الخيال اذ قالوا ان المسلمين قتلوا أنفسهم فسهامهم ورماحهم كانت ترتد الى صدورهم ، وهى مبالغة واضحة ، اذ أن ارتدادها كان امرا طبيعيا (٢) حيث كانت تنطلق فى اتجاه راسى ، ولكنها لم تصل الى مداها ، الى مكان المسيحيين الذين تمكنوا بفضل مواقعهم من النيل من المسلمين ، فاستشهد منهم كثير قدرتهم المدونات اللاتينية بمائة وأربعة وعشرين الفا(٣) ، وان قللتهم مدونتا الفونسو العاشر Alfonso X (٤) ، ودون رودريجو Don Rodrigo (٥) الى ما يزيد عن عشرين الفا ، وهى اعداد رفض الأخذ بها بعض المنصفين من المؤرخين المحدثين(٦) . وعلى كل فقد كان علقمة من بين الشهداء أما عباس فانه أسر ثم قتل فيما بعد المعركة .

ولقد اضطرب المسلمون باستشهاد قائدهم أمام أعينهم ، ولم يتمكنوا من الانتقام له ، أو أن ينظموا أنفسهم حينما شرعوا فى

---

(١) Velasco, Op Cit, pp 191, 196 ; Valdeavellano, Op Cit, 1p 381 ; Urbel, Op Cit, p 27 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 p 27 ; Risco Op Cit, 37 p 78.

(٢) Caveda, Op Cit, p 84.

(٣) Cron. Sebastiani, p 480 ; Chron. Silense, p 275 ; Cron. Rotense, p 614 ; Cron. Alfonso III, pp 65, 113.

(٤) انظر . Huici, Op Cit, 2p 50 No. 9

(٥) Caveda, Op Cit, pp 74-75 No. 2.

(٦) Saavedra, Pelayo, p 14 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 133-134 ; Caveda, Op Cit, pp 74-76 ; Coppée. Op Cit, 1p 408.

الانسحاب من ميدان المعركة ، فتقهقرت مؤخرتهم نحو الغرب الى الطريق الذى اتت منه فى اتجاه مدينة كانجاس Cangas de Onis اما مقدمتهم فقد حال المسيحيون بينها وبين نفس الطريق ، واضطر افرادها بشق الأنفس الى تسلق منحدرات جبل أوسيبة Auseva الوعرة ، وهبطوا من الناحية الأخرى ، ثم اتخذوا طريقهم عبر ممرات جبل اموزا Amosa (١) ، فى غابات ليبانا Liebana ، حتى وصلوا الى شواطىء نهر ديبا Deva ، بالقرب من مدينة كاسجوديا Casegodia (Casgaya) ، حيث تذكر المدونات اللاتينية ان جبلا آخر يسمى سوبييدز Subiedes قد انهار بهم من الناحية المشرفة على النهر ، فاكتسح معظمهم او ان الجبل قد طمرهم جميعا فيه ، وكانوا الثلاثة والستين الفا الباقية ، وبذلك ارادت المدونات اللاتينية لأفراد القوة الاسلامية كلهم أن يموتوا دون أن يبقى منهم واحد حيا ، وهو أمر لم يتحرج معه أحد المؤرخين المحدثين ان يتهكم من مبالغة هذه المدونات(٢) .

وتضيف نفس المدونات ـ وهى التى دون أقدمها بعد ما يقرب من قرنين على تاريخ هذه الأحداث ـ أن عظام هؤلاء المسلمين كانت لا تزال تظهر عندما تنحت المياه المتدفقة الى النهر فى سفح الجبل(٣) ، وكانها بالضرورة عظام المسلمين ، وهى قصة نكاد نجد أشباهها فيما تورده المصادر الاسلامية عن قتلى القوط فى معركة وادى لكة بينهم وبين المسلمين عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، اذ أشارت أن عظام القوط قد ظلت بأرض المعركة دهرا طويلا (٤) . وهما قصتان لا تبرهنان الا على طبيعة العصر فى تضخيم مؤرخى المنتصرين فى تقدير حجم انتصارهم ليبقى ذكراه حيا على مر الأيام .

---

(١) انفرد Caveda من بين المؤرخين المحدثين بالقول ان هذا الجبل هو نفسه جبل أوسيبة Auseva . انظر . Restaurcion, p 33 ، فى الوقت الذى تتحدث فيه المدونات اللاتينية عنهما كجبلين مختلفين ، وان كانا يقعان فى نفس سلسلة جبال قمم أوربا ، قارن : Chron. Sebastiani, P 480 No 10 ; Cron. Alfonso III, pp 65, 113, Cron. Rotense P 614.

(٢) Saavedra, Pelayo, p 13 ; Caveda, Op Cit, pp 83-84

(٣) Cron. Silense, p 275 No 24 ; Cron. Rotense pp 614-615 ; Chron. Sebastiani, p 480 ; Cron. Alfonso III PP 65-66

(٤) انظر . الحميرى ، صفة ، ص ١٦٩ ، المقرى عن الرازى ، نفح ، ١ ص ٢٤٣ ، ابن عذارى عن الواقدى ، البيان ، ٢ ص ٧ .

لـم تنته المعركة ـ من وجهة نظر مدونى المدونات اللاتينيـــة ـ عند هذا الحد ، وانما تضيف أن منوزا Munuza ـ منيذر ـ امير أشـتوريس المسلم ما ان علم بانباء هـذه الهزيمة حتى بادر باخـلاء مدينة خيخون مقر اقامته ، وفر هاربا مع اتباعه فتتبعه الأشتوريون وطاردوه فى الجبـال حتى ظفروا به فى مدينة أولاليس Olaliense (Olalies) فاسروه وقتلـوه هو ورجاله (١) · وبمقتله ينهى المؤرخـون اللاتين وقائع المعركة التى انهزمت فيهـا القـوة الاسـلامية بقيـادة علقمة امام بلاجيـوس وجماعته القلائل، وهى المعركة التى عرفت فى التاريخ بكوبادونجا La Batalla de Covadonga نسـبة الى ذلك الكهف الذى اتخذت فيه وحوله مسرحها .

هذا وقد اتفقت المدونات اللاتينية فيما بينها على تقديم بلاجيـوس يحارب المسلمين فى هذه المعركة مع الأشتوريين اللاتين والقـوط الجرمان ،

---

(١) Cron. Alfonso III, pp 66, 114 ; Cron. Rotense, P 615 ; Chron. Sebastiani, P 480 No 11 ; Chron. Silense, PP 275-276 No 25 ; Cron Albeldense, P 450 ; chron. Léonaise, PP 389-390

ويفهم من رواية بعض هـذه المدونات أن منيذر ـ منوزا ـ كمـا لو لم يعرف بامر ارسال هذا البعث الاسلامى الى أشتوريس ، مما يظهر معه أن منيـذر لم يشترك فى المعركة ، على أن بعضـها الآخر أشـار صراحة أنه كان يعلم بامره ، ولم تذكر لنـا من هم الذين قتلوه هل الأشتوريون ام المسـلمون . ولهذا الاختـلاف فضـلا عمـا صرحت به بعضها من أن الجيش الاسلامى الذى حارب فى كوبادونجا قد اتخذ طريقه اليها مارا بمدينة كانجاس ، وهى قريبـة من مدينة خيخون مقر الأمير منيذر ، فانا نرجح الا يرسـل والى قرطبة جيشـا للقتـال فى منطقـة دون علم اميرها ، او دون ترتيب سـابق معـه عـلى الأقل .

ويشير دوزى ان منـوزا لم يكن لديه قوات كافية ، وأنه ترك خيخون ، فى طريقه الى ليـون ، وفى الطريق هوجم ومنى بخسـائر فادحة ، وعندما ادرك ليـون رفض جنـوده العـودة الى اشتوريس مرة أخرى · ودوزى يلخص فى ذلك معركة كوبادونجـا ، ويفسر النصوص الخاصـة بمنـوزا بحرية بالغة ، انظر · Histoise, 2 P 129 (= Stoke, Spanish Islam, P 411) وانظر رد Barrau-Dihigo على تفسير رأى دوزى ، فى مقاله : Recherches, PP 310-311 ، وعن الطريق الذى اتبعه منوزا فى هربه ، وهو مجرد افتراض ، انظر .
Sànchez Albornoz, Origénes, 2 pp 35-37.

دونمـا تفرقة بين اسـهام أى من الفريقين(١) ، وان انفردت مدونة سيلوس Silense (٢) بتغليب دور القـوط فيهـا ، فانهـا لم تغفل ايضـا دور الأشتوريين اللاتين معهم · وفى نفس هـذا الاتجاه سار المؤرخون المحدثون دون تفرقة (٣) ، فيما عدا المؤرخين الاسبانيين سانشـيت البورنوث (٤) وكاسترو Castro (٥) ، اللذين اتخذا موقفا متطرفا حينما نسبا الدور كُله والفضـل للأشتوريين اللاتين ، وانكرا على القوط اى اسهام فيه ولو قليل ، دونما دليل قـوى فيمـا ذهبا اليه سـوى تفسـير أولهما لاحدى عبـارات مدونة البلدة Albeldense ، التى وردت فى نسـخة واحدة(٦) دون غيرها من النسـخ ، تفسيرا يخدم هذه الفكرة ·

ولمـا كان أتبـاع بلاجيـوس من القـوط الجرمان قد لازموه وعاونوه فى كل خطواته منذ اختيارهم له قائـدا ، وشاركوا الأشتوريين اللاتين حياتهم فى اشـتوريس منذ التجائهم اليها ، واعتبروا القضـية أمرا مشتركا معهم ، يضـاف الى ذلك انه بهزيمة القوط فى وادى لكة فى عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، وبانقضاء مملكتهم فانهم هم الذين اضيروا اكثر من غيرهم من سكان ايبيريا كلها،

---

(١) Chron. Albeldense, P 450 No 50 ; Chron. Sebastiani, PP 478 No 8-10 ; Cron. Alfonso III, PP 62-66. 108-114

(٢) Florez, Op Cit, 17 PP 273-275 No 20-24.

(٣) على سبيل المثال ، أنظر ; Altamira, A History of Spain, P 101 Watts, Op Cit, P 25 ; Chapman, Op Cit, P 53 ; Smith, Op. Cit., PP 52-53 ; Setton, Op Cit, 1 P 32 ; scott, Op Cit, 1 P 347 ; Coppée, Op Cit, 1 P 410.

(٤) Origénes, 2 pp 37-38, 92-94 ، وان كان يناقض نفسه بالقول أن الفضل يرجع الى بلاجيوس وحده ·

(٥) The Structure of Spanish History, P 61

(٦) طبعة Moreno ، انظر · Las Primeras Cronicas, P 601
وتقـول : «Pelagium filium Fafilanis qui Postea Saracenis Cum Astures Revellauit.» ونص العبارة واضـح فى تقـديم بلاجيـوس يحارب المسلمين متعـاونا مـع الأشتوريين ، ولا يفهم منها اطلاقا انهم قاموا وحدهم بعبء المعركة ، حسبمايرى المؤرخ سانشيث البورنوث ·

اذ فقدوا سلطانهم وامتيازاتهم وثرواتهم ، ولذلك لم يكن لهم فقط ـ كما تشير المدونات اللاتينية ـ دور فى هذه الأحداث ، وانما وقع عليهم العبء الأكبر فى اثارة السكان ، وفى تعضيد بلاجيوس فى كل اعماله (١) ، ومن ثم فان الرؤية الواقعية تعتبر هذا الانتصار ليس فقط ثمرة لتعاون القوط والأشتوريين ، وانما بالأولى نتاجا قوطيا فى اغلبه .

واذا كان القوط الجرمان قد شاركوا على هذا النحو فى المعركة ، وفى اكتساب النصر على المسلمين ، فهل يعنى ذلك ان انتصار المسلمين عليهم من قبل ، فى موقعتى وادى لكة عام ٩٢ هـ / ٧١١ م والسواقى عام ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، قد أودى بأمة القوط وأدى بها الى الانقراض كما ذهب مؤرخنا ابن خلدون (٢) ؟ . لا ننكر ان انتصار المسلمين فيهما كان حاسما حسما انهى السيطرة القوطية فى ايبيريا آنذاك ، الا انه لم يقض على الأمة القوطية ذاتها ، التى ظلت متمثلة ـ على الأقل ـ فى هؤلاء النبلاء القوط ، الذين كانوا قد اضطروا امام هزائمهم الى الخضوع للمسلمين فى أشتوريس ، وان ناتهم ماكانوا ينسون تلك الهزائم او ما فقدوه من ثروات واسعة وامتيازات وسلطان ، ومن ثم نعتقد انهم تربصوا بالمسلمين الدوائر ، وتحينوا الظروف المواتية للانتقام منهم ، وباتوا يأملون فى استعادة ما فقدوه ، او على الأقل استرداد جزء منه .

اما الأشتوريون الذين شاركوهم مقاومة المسلمين فى هذه الموقعة ، فما كانوا بدورهم ـ كما يذهب بعض المؤرخين الاسبان المحدثين(٣) ـ يهتمون على الاطلاق بايبيريا قدر اهتمامهم بأنفسهم ، اذ اثرت عليهم الطبيعة بانعزالهم فى هذا الركن القصى من شبه الجزيرة ، فضعف ارتباطهم بباقى انحائها جنوب جبال كنتبرية ، وأصبحت آفاقهم التاريخية محدودة

(١) وقد دفع ذلك مع عوامل أخرى بعض المؤرخين المحدثين أمثال Caveda, Bleye الى اعتبار الملكة التى قامت باشتوريس فيما بعد احياء واستمرار لمملكة القوط التى قضى عليها المسلمون عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، وان لم ينكروا فى ذات الوقت دور الأشتوريين فى هذه الأحداث .

(٢) انظر . العبر ، ٤ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٣) انظر . Caveda, Op Cit, P 86 ; Sànchez Albornoz, Origénes, 2 . P 38.

على منطقتهم ، ولم يشاركوا او يعرفوا ما يحدث فى تلك النواحى ، سواء فى عهد الرومان اللاتين او القوط الجرمان ثم المسلمين ، وما كانوا يرجون الا ان يتركوا وشانهم فى منطقتهم المنعزلة . ولذلك فلم يكن هؤلاء الأشتوريون او القوط ينظرون الى ايبيريا على انها وطن فقد او ضاع منهم ، ولم يفكروا فى استعادتها او استعادة اشتوريس على الأقل ، ولم يكن قد ظهرت لدى الايبيريين فكرة الوحدة الوطنية بعد (١) ، ومن ثم فانه من المغالاة الاعتقاد بأن مقاومة القوط والأشتوريين للمسلمين فى هذا الركن القصى من ايبيريا كانت مرتبطة او مصحوبة وقتذاك بشعور قومى أو وطنى يكنه هؤلاء أو أولئك لايبيريا .

واذا كانت بعض المدونات اللاتينية (٢) قد اشارت فى لمحة خاطفة الى أن بلاجيوس وأتباعه قد تلقوا مساعدة من الفونسو Alfonso ابن الدوق بدرو (بطرس Petrus) (٣) دوق منطقة كنتبرية المجاورة لأشتوريس من ناحية الشرق ـ فلنا أن نعترف انه فيما وراء هذه المساعدة التى لا نعرف نوعيتها أو مداها ، كان الانتصار المسيحى فى معركة كوبادونجا Covadonga عملا انبثق من داخل أشتوريس ذاتها ، دون مساعدة خارجية سواء من الأرض الايبيرية حيث المسيحيون الذين كانوا قد رحبوا بالحكم الاسلامى وانصاعوا له ، ولا من خارج حدود شبه الجزيرة الايبيرية اذ كانت حركة المقاومة ضد المسلمين فى طورها الأول ، دون أن يسمع بها ، ربما فى خارج حدود شبه الجزيرة ، ومن ثم فقد

(١) Chaytor, Op Cit, P 33 ; The Camb. Med. Hist., 3 P 438.

(٢) Cron. Rotense, P 615 ; Cron. Alfonso III, P 115 ; Chron. Sebastiani, P 276 No 26 ; Chron. Léonaise, P 390.

(٣) كان قائدا عاما للجيوش القوطية فى عهد الملك ايجيكا ثم فى عهد ابنه غيطشة ، وصار دوقا لكنتبرية منذ عام ٦٨٧ م . وعنه وعن أصله تارن : Chron. Silense, P 276 No 26 ; Cron. Alfonso III, PP 67-68 ; Chron Sebastiani, p 481 No 13 ; Anales Toledanos III. Ed. Florez, 23 p 415.

كان حتما على افراد هذه المقاومة ان يعتمدوا على سواعدهم وحدهم (١) ، وعلى امكانياتهم الذاتية المحدودة .

ومع ذلك ، فلا جدال انه كان لهذا الانتصـار المحدود ثمرته المباشرة التى افهمت المسيحيين فى أشتوريس بان خصومهم المسلمين غير معصومين من الهزيمة ، فقويت ارادتهم وعزيمتهم لمواصلة تحديهم لهم ، ولم يعـودوا يخشـون الاعلان عن معارضتهم الجدية وعدائهم الصريح لهم ، واثقين بهذا النصر فى انفسهم ، بعـد ما كانوا يحاولون التخفى والابتعـاد عن اثارتهم ، أو جذب الانتباه نحوهم ، خوفا من الاشتباك معهم ، ولم يتقاعسوا بعـد هـذا النصر - كمـا تشير المصادر الاسلامية ذاتهـا - عن حماية ما اكتسبوه من ارض ما كانوا يطمعون فيهـا ، ولا عن الدفاع عنها دفاع المستميتين (٢) . وهكذا بدا الاحسـاس يزداد بوجود عـداء بين المسلمين والمسـيحيين فى اقليم أشتوريس فانعدمت الثقـة بينهم .

---

(١) ذهب البعض الى أن كثيرا من اللاجئين انضموا لبلاجيوس قبـل المعركة ، وانه قام بهجمات على أرض المسلمين ، أنظر . Dozy, Histoire, 2 P 129 ، وذهب بعض آخـر الى أن الأنصـار والمـؤيدين تجـالبوا على بلاجيوس من كل مكان باسبانيا وغيرها بعد هذا النصر ، وأن بلاجيـوس تلقى مددا من غالة خلف جبال البرتات ، قارن : على حبيبة ، مع المسلمين فى الأندلس ، ص ٤٢٣ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٢٧٠ ولا نميل الى الأخذ بهذه الآراء .

(٢) قارن : المقرى عن الرازى ، نفح ، ٦ ص ٨٢ ، ٨٣ ، وعن ابن حيان، ٤ ص ١٥ .

الفصل الثالث

رد الفعل الاسلامى للمقـاومة فى اقليم أشتوريس حتى عـام ١٢١ هـ /٧٣٩ م

وهكذا قويت مقاومة القوط والأشتوريين بقيادة بلاجيوس فى أشتوريس ضد المسلمين حينما انهزمت قواتهم بقيادة علقمة فى موقعة كوبادونجا Covadonga ، فى عهد والى الأندلس عنبسة بن سحيم فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، وهى هزيمة لم ينكرها مؤرخو الاسلام الأوائل ، ولم يقللوا من أهميتها على المدى البعيد فى مستقبل المسلمين ومصيرهم بالأندلس(١) .

ومع ذلك فلم تكن تلك الهزيمة ناتجة فى حينها عن ضعف المسلمين أو تهاون منهم ، ولا عن كفاءة ومقدرة خصومهم المقاومين لهم ، وانما نتجت عن الدور الخطير للظروف الجغرافية المعقدة للمنطقة التى دارت عليها رحى المعركة(٢) ، فطبيعة الأرض فيها تخدم عمليات المقاومةوالدفاع، وهى حقيقة تبرز واضحة من وصف الرواة اللاتين الأوائل لحصانة المنطقة ووعورتها الطبيعية .

وحقيقة أيضا أن تلك المعركة لم تكن سوى مناوشة عسكرية خسرها المسلمون فكانت أهميتها العسكرية فى حينها محدودة ، الا أن اهميتها السياسية كانت خطيرة اذ انحسر النفوذ الاسلامى عن المنطقة التى دارت فيها وحولها المعركة فى أقصى شرقى أشتوريس ولم يعد اليها ثانية ، فقويت لذلك عزيمة الثائرين بانتصارهم المحدود فى مواصلة

---

(١) أنظر . المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، ٦ ص ٨٢ ، ٨٣ ، مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٣٦ .

(٢) أنظر . Caveda, Op. Cit., p. 32

تحديهم للمسلمين ، ولم يعودوا يخشون الاعلان عن معارضتهم الجدية للمسلمين ، وعدائهم الصريح لهم ٠

ولذلك فلم يتوان الوالى عنبسة بعد هزيمة قواته عن التضييق على بلاى وجماعته المسيحية ، فاقامت قواته تضرب الحصار على الداخل المؤدية الى المغارة الملتجئين اليها مدة تقارب أربع سنوات ، دون أن تمكنهم من الخروج منها ، حتى فنيت أزودتهم وهلكت منهم أعداد ليست بالقليلة ، بحيث ان من بقى منهم لم يجد ما يتقوت به سوى عسل النحل فى خروق صخور المغارة ٠ فلما رأى عنبسة ما آل اليه مصير تلك الجماعة من الضعف والقلة استقلهم واحتقرهم ، وقال : « ثلاثون علجا ما عسى أن يجئ منهم »(١) ، ورأى أنه من العبث اضاعة وقته وجهده معهم بعد ما حصروا انفسهم فى تلك البؤرة الصغيرة ٠ أو ربما رأى ألا خطورة منهم لو أجل مهمة اخضاعهم الى ما بعد عودته من غالة ، التى كان ينوى غزوها للانتقام لهزيمة سلفه السمح بن مالك فى أراضيها ، كما كان يأمل فى احراز نصر هناك يرفع به معنويات قواته ٠ وليس أدل على ذلك من أن غزوته اليها بنفسه فى ربيع عام ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م (٢) ، لا توصف الا بكونها غارة سريعة بعيدة المدى نشرت الرعب فى نواحى غالة(٣) ، عاد

---

(١) أعلاه ٠ هذا ونص المقرى واضح فى نسبة تلك الأحداث الى عنبسة ، فى حين نرى ابن عذارى (البيان ، ٢ ص ١٣ ، ٢٩) وأخبار مجموعة (ص ٢٨) ينسبانها الى الوالى عقبة بن الحجاج ١١٦ - ١٢١ هـ ٠ وقد نتج هذا الخلط فى روايتهما بسبب أنهما نقول وتجمع مختصر للأحداث من روايات اخرى ، فضلا عن عدم التزامها بالتسلسل الزمنى فى غالب الأحيان ، وبعدهما عن فترة وقوع الأحداث بعدا أوقعهما فى اضطراب وأدى الى التداخل فى روايتهما ، فنسبا بعض الأحداث الى غير صاحبها ، وذلك على عكس المقرى الذى ينقل أحداث روايته عن المؤرخين ابن حيان والرازى وهما أقرب الى الأحداث من ابن عذارى وصاحب أخبار مجموعة ٠

(٢) عن تلك الحملة بتفصيل ، انظر ٠ Cron. Isidore Pacense, Op Cit, pp 306-307 ; Chron. Moissiacense, Op Cit, p 165
مؤنس ، فجر ، ص٢٤٦ - ٢٥٠ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ٠

(٣) مؤنس ، نفسه ، ص ٢٤٨ ، السيد سالم ، نفسه ، ص ١٣٩ ٠

بعدها الى الأندلس وقواته فى غمرة حماستها بنية الانتقام من مسيحيى اشتوريس ، الا أن الموت عاجله فتوفى فى طريق عودته فى نفس العام وبالتحديد فى شعبان من عام ١٠٧ هـ / ديسمبر ٧٢٥ م(١) ، فاراح بذلك مسيحيى اشتوريس ، واتاح لهم فرصة للحياة كانوا فى أشد الحاجة اليها لالتقاط انفاسهم ، وتنظيم صفوفهم والاستفادة من نصرهم الهزيل ٠

ومن حسن حظ تلك الجماعة المسيحية أن ساهمت ظروف الأندلس فى انصراف مسلمى الأندلس عنهم نحوا من تسع سنوات متصلة ، اى طوال مدة حكم الولاة الذين خلفوا عنبسة(٢) ، منذ شعبان ١٠٧ هـ / ديسمبر ٧٢٥ م حتى شوال ١١٦ هـ / نوفمبر ٧٣٤ م ، فتحرك مسيحيو اشتوريس فى شىء من الأمن فى المنطقة المحيطة بصخرتهم ، واثقين من انشغال المسلمين الذين كفوهم جهد حرب أو قتال ، وهو ما تطلعت اليه تلك الجماعة المسيحية فى هذه الفترة المبكرة من تاريخها ، واعتقدت أن الله عاد يناصرها ضد المسلمين ٠

واول ما يلفت النظر خلال تلك السنوات التسع ، هو كثرة تغير ولاة الأندلس حتى بلغوا ثمانية ، بحيث لم يتهيأ لهم استقرار كاف ، اذ كان أمر تقليدهم واقالتهم موكولا لولاة افريقية تبعا لرغبة مسلمى الأندلس

---

(١) قارن : الضبى ، بغية ، ص ٤٢٠ رقم ١٤٥٩ ، ابن الفرضى ، تاريخ ، ١ ص ٣٤٤ رقم ١٠١٣ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٣٠١ رقم ٧٤٠ ٠ هذا وقد أوصى عنبسة قبيل وفاته لعدره بن عبد الله الفهرى بقيادة القوات الاسلامية فى العودة الى الأندلس ، انظر ٠
Chron. Isidore Pacense, Op Cit, p 307 No 53

(٢) هم على التوالى : عذرة بن عبد الله الفهرى ، يحيى بن سلمة الكلبى ، حذيفة بن الأحوص (أو الأبرص) الأشجعى ، عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ، الهيثم بن عبيد الكنانى ، محمد بن عبد الله (أو عبد الملك) الأشجعى ، عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ، ثم عبد الملك بن قطن ٠ قارن : ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ابن الخطيب ، تاريخ ، ص ٦ ، ابن قتيبة ، الامامة ، ٢ ص ٨٤ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٠ ، ٢٧٩ ، ٤ ص ١٦ - ١٧ ٠

ف تعيين من يشاءون وعزل من لا يرغبون فيه(١) . يضاف الى ذلك ، انغماس عرب الأندلس فى تصفية نزاعاتهم القبلية القديمة ، التى زادها اشتعالا محاباة ولاتهم كل لعصبيته التى ينتمى اليها سواء كانت قيسية (مضرية) من الحجاز أو يمنية (كلبية) من جنوبيها(٢) ، رغم أن أصحاب العصبيتين ما كانوا بحاجة الى من يوغر صدورهم او يحرك احقادهم ضد بعضهم البعض ، فاضطربت شئون الأندلس السياسية ، وأشيع حولها جو القلق والتوتر ، واختلت أحوال العرب الذين لم يترقبوا الأخطار وقتذاك الا من بين صفوفهم .

كذلك فقد ساءت علاقة العرب بشركائهم البربر فى الأندلس ، وثار عليهم البربر فى ناحية سردانية (شرطانية) Cerdana بأقصى شمال شرقيى ايبيريا الى الجنوب من جبال البرتات ، وتحالفوا ضدهم مع دوق أكويتانيا Aquitania من بلاد الفرنجة ، فاشتعلت نيران الحرب الأهلية بين العرب والبربر فى الأندلس فى عام ١١٣ هـ / ٧٣١م ، وهى حرب

(١) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٢٥ وقد أكد المؤرخون المسلمون الأوائل تلك الحقيقة ، فعندما استشهد السمح قدم أهل الأندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن بن عبد الله (المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٤) . كما ان والى افريقية أنفذ الى الأندلس يحيى بن سلمة عندما استدعى منه أهلها واليا بعد مقتل عنبسة (ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٨ ، المقرى ، نفسه ، ١ ص ٢٢٠) . وعندما استشهد عنبسة قدم أهل الأندلس على أنفسهم عذرة بن عبد الله (المقرى ، نفسه ، ٤ ص ١٦ – ١٧) ، ثم ان أهل الأندلس أقاموا على أنفسهم محمد بن عبد الله الاشجعى واليا (المقرى ، نفسه ، ٤ ص ١٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٦٨) .

(٢) تناول كثير من المؤرخين أصل وأسباب هذا العداء ، وانظر على سبيل المثال ، دوزى ، تاريخ مسلمى اسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١ ص ٧٦ – ٧٧ ، ٧٩ ، ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية، القاهرة ١٩٦٠ م ، ٢ ص ٩٢ – ٩٤ ، عنان ، دولة الاسلام ، ١ ص ٦٦ – ٦٨. هذا وقد كانت الفترة السابقة على عام ١١٠ هـ فترة سيادة اليمنية وتعصبها ضد القيسية فى الأندلس وهو ما ظهر واضحا فى ولاية كل من عذرة بن عبد الله ويحيى بن سلمة ، فى حين كانت الفترة التالية لعام ١١٠هـ انقلاب الآية وابتلى اليمنيون ببلاء شديد من جانب القيسية وخاصة فى ولاية كل من حذيفة بن الأحوص وعثمان بن أبى نسعة والهيثم بن عبيد الله حتى أنكر عليهم خليفة دمشق ذلك ، أنظر . Chron. Isidore Pacense, Op Cit, pp 308-309 No 57 ، مؤنس ، فجر ، ص ١٥١ وما بعدها ، دوزى ، تاريخ مسلمى اسبانيا ، ١ ص ١٣٤ وما بعدها :

استنفدت كل جهد والى الأندلس بحيث أنها كلفته عشرة حملات فى عام واحد(١) ، ولم تتوقف تلك الحرب الا بعد ما تاصلت كراهية البربر للعرب ، حتى انهم تسببوا فى جلب هزيمة فاحشة على العرب فى العام التالى ، حين غزوهم لبلاد غالة فيما عرف بهزيمة بلاط الشهداء لكثرة من استشهد فيها(٢) .

وقد امتدت آثار تلك الهزيمة الى الأندلس فاضطربت منطقة أودية جبال البرتات على المسلمين اضطرابا شديدا ، وعلى الأخص فى نبرة (بمبلونة) من بلاد البشكنس ، التى نقض سكانها تبعيتهم للمسلمين مثلما نستنتج من النصوص التى أشارت الى أن والى الأندلس وقتذاك ، وهو عبد الملك بن قطن ، قد اقتحم أراضيهم لاعادتهم الى الطاعة ، ولكنه منى بهزيمة ساحقة فى عام ١١٥ هـ / ٧٣٣ م (٣) ، فعمت الفوضى فى تلك الناحية الاستراتيجية الهامة التى كانت مفتاح طريق الجيوش الاسلامية الى غالة ، وقلعة متقدمة للمسلمين لردع أى هجوم قد تفكر فيه بلاد غالة على الأندلس . وفضلا عن ذلك فان مجاورة نبرة لكل من كنتبرية التى لم تكن قد خضعت للمسلمين حتى ذلك الوقت ، ولأقصى شرقيى أشتوريس الذى ظهر فيه بلاجيوس وأتباعه ، قد هدد بانفصال كل منطقة شمال ايبيريا عن السيطرة الاسلامية .

ومع ذلك ، فلم يفكر ولاة الأندلس وقتذاك فى درء الأخطار التى هددت وجودهم داخل الأندلس ، وانما صرفوا نشاطهم فى حركة الجهاد

(١) أنظر بالتفصيل . Cron. Isidore Pacense, Op Cit, 8 pp 309-310; Primera Cron. General, Op Cit, 2pp 331-332 ; Cron. De Espana Del Don Rodrigo, Op Cit, 105 pp 234-235, Historia Arabum, Ed. Sànchez, An. Uni. Hisp, Sevilla 1972, 21 pp 24-25.

(٢) عنها ، أنظر . Cron. Isidore Pacense, Op Cit, 8 p 310-311 ; Chron Moissiacense, ; Op Cit, p 166 ; Codera, Op Cit, 8 pp 312-319.

(٣) أنظر Cron. Isidore Pacense, Op Cit, 8 p 312 ; Cron. Del Moro Rasis, Ed. Gayangos, MRAH, Madrid 1850, 8 p 85 ; Historia Arabum, Op Cit, 21 p 27. فى حين تذكر غيرها من المصادر أن عبد الملك أوقع بالمشركين وغنم فى حملته ، أنظر . المقرى . نفح، ١ ص ٢٢٠ ، ٤ ص ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧١

ضد بلاد غالة(١) ، التى أوليت معظم الجهود ، واعطيت الدرجة الأولى فى الأهمية التى حجبت ما عداها ، ولم تثن المسلمين عن الاهتمام بها مشاغل اخرى ، فانشغلوا بها دون أن يتبقى لديهم وقت ليلتفتوا طويلا نحو المسيحيين فى أشتوريس ، الذين كانوا اهم وأولى بالعناية من الأمر فى داخل الأندلس ذاتها .

ومن ثم قاد الوالى عبد الرحمن الغافقى جيوشه فى ربيع عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م ، واخترق جبال البرتات ، مكتسحا أراضى غالة ، فاستولى على مدينة بوردو Bordeaux ـ التى يسميها مؤرخو المسلمين بردال أو برديل ـ الواقعة على مصب نهر الجارون Garonne ، بعد أن أوقع بدوقها هزيمة فادحة ، فر على أثرها بفلوله نحو الشمال ، فواصل عبد الرحمن زحفه وراءه حتى استولى على مدينة بواتييه Poitiers ومنها اتجه صوب مدينة تور Tours الواقعة على نهر اللوار Loire الا ان الجموع الفرنجية تصدت له قبل أن يدركها وادارت معه المعركة التى عرفت ببلاط الشهداء ، فاستشهد فيها عبد الرحمن نفسه وكثير من المسلمين ، وانسحب الباقون الى الأندلس فى رمضان ١١٤ هـ / أكتوبر ٧٣٢ م(٢) .

---

(١) انظر السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٤٠ ، أحمد مختار ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٧ ، مؤنس ، فجر ، ص ٢٦١ .

(٢) عن المعركة ووجهات النظر المختلفة فى تقييمها ، انظر . Chron. Isidore Pacense, Op Cit, pp 310-311 No 59 ; Chron. Moissiacense, Op Cit, p 166 ; Fredegarri Scholastici Continuatio II, Apud Ajbar Machmuâ, p 163 ; Lévi-Provencal, Histoire, 1 p 59 Sqq ; Condé Op Cit, 1 p 108 Sqq. المقرى ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٦٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٨ ، مؤنس ، فجر ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ، ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٤٢ ـ ١٤٦ ، أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٩ ـ ٩١ ، ٩٩ وما بعدها ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ١٩٣ ـ ٢٠٣ ، أحمد مختار ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٧ ـ ٩٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٨٨ وما بعدها

وجدير بالذكر أن بعض الأبحاث الحديثة(١) ، التى اعتمد مؤلفوها على رواية ايزيدور الباجى Isidore Pacense (٢) ، قد ذهبت الى القول بان الوالى عبد الرحمن قد أقدم قبيل خروجه فى تلك الحملة فى عام ١١٣ هـ / ٧٣٢م على قتل احد زعماء البربر المسلمين ، التى تجعله أمير اشتوريس أو حاكم الولايات الشمالية فى ايبيريا ، بسبب محالفته أودو Eudo دوق اكويتانيا Aquitania بغالة ، وثورته على العرب ، وأن البربر الذين كانوا معظم جيش الوالى عبد الرحمن استاءوا من العرب لقتل هذا الزعيم ، فبدأت الخصومة بينهم ، واختلفت أهواؤهم وتفرقت نفوسهم ، مما جلب على المسلمين الهزيمة فى غالة ، وأدى من ناحية أخرى الى تشجيع مسيحيى اشتوريس على الخروج من صخرتهم ومنازعة جيرانهم ، حتى بسطوا سيطرتهم على اقليمى أشتوريس وكنتبرية فى شرقها وعلى جزء من اقليم جليقية فى غربها .

ولمناقشة هذا الرأى نتناول أولا رواية ايزيدور نفسه باعتبارها المصدر الذى اعتمد عليه أصحاب هذا الرأى ، لنتبين مدى صحتها أو الاطمئنان اليها . ومجملها أن رجلا بربريا ـ هو منيز Munniz ـ شارك المسلمين فى فتح ايبيريا حتى أقصى شماليها ، وساهم معهم فى اخضاع شرطانية Cerdana) Cerritanensi الحالية) ، واجتهد فى نصرة الاسلام ، ولكنه ثار على العرب حينما علم بثورة اخوانه البربر عليهم فى افريقية ، وأصبح فى حرب دائمة معهم ، ثم حالف أودو Eudo وتزوج من ابنته ، وانهم أى المسلمين قد أرسلوا اليه نحوا من عشر حملات، نهض اليه بعدها الوالى عبد الرحمن وتتبعه فى مضايق الجبال ، حتى ضيق عليه الخناق وقتله ، وقبض على زوجته ونكل باتباعه فى هذه الناحية(٣) .

وواضح أن ايزيدور يجعل منيز Munniz بربريا ، وليس هناك ما يدل على أن ولاة قرطبة قد أنابوا عنهم نوابا بربر فى حكم أقاليم ايبيريا

---

(١) قارن : مؤنس ، فجر ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ ، ٣١٥ ـ ٣١٧ ، ٣٣٧ ، على حبيبة ، مع المسلمين فى الأندلس ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ ، ٤٢١ ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٤١ ، حاشية ٢ ، ارسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ، ٩٧ ـ ٩٨ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٨٤ وما بعدها ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) عنها ، أنظر . Florez, Op Cit, 8 pp 309-310 No 58

(٣) Ibid.

وأنحائها ، فى الفترة الأولى التالية لفتحها ، الا أنه يفهم من الرواية ان منيز Munniz هذا قد تولى أمر ناحيـة شرطانيـة وهى الواقعـة فأقصى الطرف الشرقى من جنـوب جبال البرتات ، وشـتان ما بين موقع هذه الناحية وموقع أشتوريس التى كان نائبها عربيا كمـا اشرنا آنفا ، ولا يعقل ان ينـاصر البربر وينضم اليهم فى الثورة على العرب .

اما قصـة تحـالف منيز Munniz مـع أودو Eudo دوق أكويتـانيا Aquitania وزواجه من ابنته ، فهى قصـة انفرد بهـا ايزيدور وحـده ، ثم شـايعه فيها فقط صـاحب مدونة دون رودريجو Don Roderigo المتأخرة ، اما المؤرخـون اللاتين الأوائل ، الذين اختصـوا بالتاريخ لأشـتوريس ، فقد امدونا بقصـة زواج نائب أشتوريس المسلم من أخت بلاجيوس ، وهى القصة التى ذكرناها من قبل ، ولو كان هنـاك نوع من أنواع الروابط بينه وبين أودو Eudo لمـا تحرج هؤلاء المؤرخون من الاشـارة اليهـا . واذا صحت قصة تحالف أودو Eudo مع أحد أمراء المسـلمين بايبـيريا ، وهى قصـة لا نملك ما ينفيها أو يؤيدها ، فالأقرب للمنطق أن يكـون أودو قد أقدم على ذلك مـع أمير منطقة قريبـة من دوقيته لتكـون خطا دفاعيا أماميا له ضـد العرب ، وهو ما يتحقق له فى منطقة شرطانية وليس فى أشتوريس .

وفى الوقت الذى يجعل فيه ايزيدور مقتـل منيز Munniz بأيدى الوالى عبد الرحمن والمسـلمين فى عام ١١٣ هـ / ٧٣٢ م ، فان المدونات اللاتينيـة الأخرى تجعل منيذر ـ منـوزا Munuza ـ نائب أشتوريس ، يلقى حتفـه بأيدى الأشـتوريين ذاتهم ، فى أعقاب موقعـة كوبادونجـا Covadonga التى حددناها بعـام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م . ونعتقد أن ايزيدور ـ وهـو الذى عاصر هاتين الحادثتين ـ ما كان يخطىء فى عشر أعوام كاملة ، لو انه يقصد نائب أشتوريس ، ولكنه تعمـد تجنب التاريخ لأشتوريس فى مدونته التى أورد فيها هذه القصـة ، حتى أنه لم يخص أشـتوريس أو نائبها فى المدونة باكملها بكلمة واحدة(١) .

ولذلك نعتقد ان القصة التى اوردها ايزيدور بشـأن مقتـل منيـز Munniz بأيدى الوالى عبد الرحمن لا تتعلق بنـائب أشتوريس ، وانمـا بنائب ناحية أخرى ، هى فى الغالب شرطانيـة Cerritanensi (Cerdana

(١) انظر ما سبق بفصل التعريف بالمصادر والمراجع .

الحالية) التى كانت احدى أقاليم المنطقة الواقعـة جنوب جبـال البرتات ـ البرينوه ـ وأن الاسم الذى يذكره لنائب هـذه الناحيـة ، ومشـاركته المسلمين فى فتح ايبيريا حتى أقصـى شـماليها ، وزواجـه بابنـة أودو Eudo أحد أمراء الفرنجـة ، انمـا هى عنـاصر تتشـابه مع بعض العنـاصر التى توردها المدونات اللاتينية الأخرى ـ التى اختصت بالتاريخ لأشتوريس ـ عن نائب أشـتوريس ومشـاركته المسـلمين أيضـا فى الفتح ، وزواجه من أخت بلاجيـوس القوطى ، وهى أمور ربمـا أوقعت المؤرخين المحـدثين ـ السـابق الاشـارة اليهم ـ فى الاعتقاد بأنها تتعلق بأشـتوريس وبنائبها .

وبغض النظر عن كون استشهاد منـوزا ـ منيـذر ـ عقب موقعـة كوبادونجا Covadonga مباشرة فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م كمـا أرادت له المدونات اللاتينية ، أو أنه قتل بأيدى الوالى عبد الرحمن والمسلمين فيما بعد فى عام ١١٣ هـ / ٧٣٢ م ، فنعتقد ان موته لم يكن يعنى افسـاح المجـال أمام بلاجيوس وجمـاعته ليمدوا سيطرتهم على أشتوريس . ذلك انه رغم صمت المصادر الاسلامية واللاتينية ، فاغلب الظن أن ولاة قرطبـة عينوا نائبا آخر لأشـتوريس بعـد مـوت نائبها منيذر ، دون أن يتركوا منصب هـذه الجبهة شاغرا ، ولا سيما انهم كانوا يعلمون بهزيمـة جيشهم فيهـا ، وبميلاد بؤرة للمقـاومة أخـذت تتربص الـدوائر بالمسـلمين المقيمين فى أشـتوريس ، وكان على هـذا النـائب الجـديد أن يلح على بلاجيـوس وجماعته بالحرب للقضاء عليهم ، او على الأقل ليلجئهم الى صخرتهم دون ان يتعدوها الى ما ورائها .

وفضـلا عن ذلك فمـا كان بلاجيـوس يستطيع التوسـع الى الشرق من اقليم أشـتوريس فى نواحى كنتبرية ،التى كانت قائمة فيها دوقيةمسيحية صـغيرة ـ لم تخضع للمسلمين ـ وعلى رأسـها الدوق بدرو(١) (بطرس Petrus) ، الذى كان من أسرة ملكية قوطية مثل بلاجيـوس ، وأعانه حين تصديه للمسـلمين فى موقعة كوبادونجا كمـا ذكرنا ، الأمر الذى نعتقد معـه انتفاء منازعة بلاجيوس له على دوقيته .

(١) يسميه المؤرخون المسلمون بطره أو بيطر . أنظر . ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ ، المقرى عن الرازى ، نفـح ، ٦ ص ٨٣ .

أما جليقية الواقعة الى الغرب من أشتوريس فكانت لا تزال ماهولة بالمسلمين عربا وبربر ، ولم يكونوا قد أقدموا على أخلائها ، وهو ما لم يتم الا بعد استشهاد الوالى عبد الرحمن بنحو عشرة أعوام(١) ، حينما تطور النزاع ثانية بين العرب وانشغلوا بتصفية نزاعاتهم بين بعضهم البعض من ناحية ، وبينهم وبين البربر من ناحية أخرى ، فضلا عما أصاب الأندلس من قحط فيما بين عامى ١٣٣ - ١٣٦ هـ(٢) / ٧٥٠ - ٧٥٣ م ، وهو ما سهل على مسيحيى أشتوريس منذ أواخر تلك الفترة اخراج باقى المسلمين منها ومن جليقية(٣) .

---

(١) سوف نتناول ذلك بتفصيل فيما بعد ، وان كنا نقتصر هنا على الاشارة بأن العرب أخلوا جليقية فى البداية وتركوها للبربر بعد أن انهزموا امامهم ، ولم يلبث البربر أن أخلوها بدورهم عندما حل القحط بالأندلس بصفة عامة ، ولذلك لم يكن اخلاء العرب والبربر لجليقية ناتجا وقتذاك عن ضغط من مسيحيى أشتوريس عليهم .

(٢) عن ذلك بتفصيل ، أنظر ٠ أخبار مجموعة ، ص ٣٨ - ٤٦ ، ٥٦ - ٦١ ، ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ٣٠ - ٣٨ ، المقرى عن الرازى وابن حيان ، نفسه ، ٤ ص ٢١ - ٢٣ ، مؤنس ، فجر ، ص ٢١٩ وما بعدها ، السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٦٠ ٠

(٣) أنظر ٠ ابن عذارى ، نفسه ، ٢ ص ٣٨ ، أخبار مجموعة ، ص ٦١ - ٦٢ ٠ وينسب صاحب أخبار مجموعة هذا العمل لبلاجيوس ، ويحدده بعام ١٣٣ هـ / ٧٥٠ - ٧٥١ م فصاعدا ، ولما كان بلاجيوس قد توفى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، فيكون صاحب أخبار مجموعة قد خلط بينه وبين أحد خلفائه وهو الفونسو الأول ، الذى حكم فيما بين عامى ١٢١ - ١٤٠ هـ / ٧٣٩ - ٧٥٧ م ، وهو ما أكده بعض المؤرخين المحدثين ، انظر ٠ Sànchez Albornoz, Origénes, 2 pp 102-103 ; Lafuente, Ajbar Machmuâ, p 66 No 5. ، مؤنس ، فجر ، ص ٣٢٠ حاشية ٢ ، الذى وان وافق على ذلك فانه يعود صفحات ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ليناقض نفسه ٠

وقد كان نص صاحب أخبار مجموعة السابق سببا فى اعتقاد البعض بان معركة كوبادونجا قد تمت عام ١٣٣ هـ / ٧٥٠ - ٧٥١ م ، أنظر ٠ مؤنس ، نفسه ، ص ٣٢٨ وما بعدها ، وان ناقض نفسه صفحة ١٥٤ حينما جعلها فى ولاية عنبسة بن سحيم (١٠٣ - ١٠٧ هـ / ٧٢١ - ٧٢٦ م) ، وانظر أيضا ٠ السيد سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٩ ، وان لم يحدد تاريخا بذاته ، فيفهم من روايته أنه تاريخ يقع بعد عهد عقبة بن الحجاج ، أى بعد عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ٠ وانظر ٠ على حبيبة ، مع المسلمين فى الأندلس ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ ، الذى يجعل علقمة اللخمى قائد البعث الاسلامى ضد بلاجيوس ، فى تاريخ كان قد توفى فيه علقمة وبقى ابناه فقط ٠

ولو كان قد بدر من بلاجيوس وجماعته حينذاك شىء من التوسع وبسط السلطان فى اى من الاتجاهات لكان قد ظهر خطرهم للعيان واضحا ، وما كان الوالى عبد الملك بن قطن(١) - الذى خلف الوالى عبد الرحمن على ولاية الأندلس فى رمضان - شوال ١١٤ هـ / ٧٣٢ م - قد شغل نفسه بالجهاد فى مناطق أخرى بايبريا ، حددتها المصادر الاسلامية ببلاد البشكنس (٢) Vascones ، وأشارت اليها المدونات اللاتينية بأنها فى اودية جبال البرتات الوعرة(٣) ، دون أن تحدد مكانها هناك بالضبط ، ولا تزودنا اى من المصادر السابقة بنشاط لهذا الوالى ضد مسيحيى أشتوريس ، طوال مدة ولايته التى انتهت فى رمضان - شوال ١١٦ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٧٣٤ م بتولية عقبة بن الحجاج السلولى(٤) .

---

(١) عنه ، أنظر ٠ الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٦٨ رقم ٦٣٨ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٣٦٩ رقم ١٠٧٨ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ١ ص ٦٢٩ رقم ٨١٤ ٠

(٢) أنظر ٠ المقرى عن الواقدى ، نفح ، ١ ص ٢٢٠ ، وعن ابن بشكوال وغيره ، ٤ ص ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ٥ ص ٧١ ٠ وقد أشار كل من مؤنس (فجر ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٩) والسيد سالم (تاريخ المسلمين ، ص ١٤٦) الى أن الوالى عبد الملك قد جاوز فى حملته هذه بلاد البشكنس الى غالة ، واعتمدوا فى ذلك على الرواية التى يوردها أرسلان فى كتابه : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٠٣ - ١٠٥ ، وسايرهم أيضا ، طرخان ، المسلمون فى أوربا ، ص ١١٦ ، حسن خليفة ، تاريخ العرب ، ص ٣٦ ،عبد الجليل عبد الرضا ، العلاقات السياسية ، ص ٨٥ ، Condé, Op Cit, 1 pp 111-113 على أنه ليس لدينا ما يدل على ذلك فى المصادر الاسلامية ، وان كانت مدونة مواسياك Moissiacense تشير الى مهاجمة يوسف بن عبد الرحمن ، الذى كان حاكما لأربونة فى غالة عام ١١٦ هـ / ٧٣٤ ، انظر Ajboar Machmuà, p 166.

(٣) أنظر ٠ Chron. Isidore Pacense, Op Cit, p 312 وان كان Urbel ، قد فسر رواية ايزيدور السابقة على أنها تعنى حملة لعبد الملك الى أشتوريس ٠

(٤) تكاد المصادر الاسلامية تجمع على هذا التاريخ لبدء ولاية عقبة ، قارن : ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص٢١٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٩ ، ٣٠ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٤ ص ١٧ ، ابن الأثير الكامل ، ٥ ص ٧٣ ٠ الا أن صاحب أخبار مجموعة (ص ٢٨) يجعله عام ١١٠ هـ ، والأرجح أنه عام ١١٦ هـ وامتدت ولايته حتى عام ١٢١ هـ ٠

ومع ذلك فنعتقد أن انشغال جيوش المسلمين حتى ذلك الوقت في مناطق غير أشتوريس سواء في داخل الأندلس أو في خارجها ، ثم هزيمتها في غالة في موقعة بلاط الشهداء ، كان له أثره عند مسيحيي أشتوريس ليتحركوا في شيء من الأمن والطمأنينة ، في المنطقة المحيطة بالصخرة ، واثقين من انشغال المسلمين وانصرافهم عنهم انصرافا كفاهم جهد حرب أو قتال، وهو ما كان يتطلع اليه هؤلاء المسيحيون في تلك الفترة المبكرة من تاريخهم ، واعتقدوا بذلك أن الله قد عاد يناصرهم ويؤيدهم ضد المسلمين .

ولذلك فما كاد الوالي عقبة بن الحجاج يلي الأندلس في شعبان من عام ١١٦ هـ / نوفمبر ٧٣٤ م ، حتى عبأ قواته منذ العام الأول من ولايته ، وانصرف بها الى الغزو مثابرا على الجهاد (١) ، بحيث كانت له في كل سنة غزاة(٢) ، وهو وان كان قد أولى عنايته لغالة(٣) ، لأن الفرنجة كانوا يلحون بالضغط على المسلمين منذ موقعة بلاط الشهداء ، فانه لم يهمل أيضا منطقة شمالي ايبيريا بما فيها أشتوريس . ويبدو أن عقبة كان ينوي القيام بحركة كماشة على تلك المنطقة للقضاء كلية على الاضطراب السائد فيها بأن يبدأ بمهاجمة نبرة (بمبلونة) ثم يواصل منها زحفه غربا الى كنتبرية (ألبة والقلاع) ثم الى أشتوريس ، في الوقت الذي تعاونه فيه الحاميات الاسلامية المقيمة في اقليم جليقية في الغرب بالزحف شرقا ، فيضعف بذلك مقاومة المسيحيين في تلك النواحي ، بتشتيت جهدهم وتفريق قواتهم للدفاع عن أنفسهم في جبهتين ، وعلى هذا النحو بات مسيحيو أشتوريس وكنتبرية ونبرة على وشك ان يواجهوا ضغطا قويا من جانب المسلمين ، ويشعروا من جديد بقوتهم وبطش قواتهم .

وعلى حسب تلك الخطة ، فقد اقتحم عقبة أراضي بمبلونة وفتحها من جديد ، وأقام فيها للمرة الأولى حامية اسلامية ، ثم أسكن المسلمين

---

(١) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٩ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٣ .

(٣) عن نشاطه في غالة ، أنظر . Codera, Op Cit, 8 pp 122-123, 319-327.

هناك(١) ، فصارت بمبلونة تابعة للحكم الاسلامي تبعية مباشرة ، بعد ما كانت تتمتع باستقلال ذاتي منذ أن فتحها الوالي عبد العزيز بن موسى . ومن بمبلونة واصل عقبة تقدمه نحو الغرب وهاجم أراضي كنتبرية ففتح جزءها الشرقي المعروف بالبة Aiava (٢) ، وفي تلك اللحظات الحاسمة اختفى عقبة فجأة من المسرح السياسي والعسكري الى الأبد ، وانتهت ولايته نهاية غامضة(٣) في عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، قبل أن يستكمل مشروعه في فتح غربيي كنتبرية المعروف ببردوليا ، أو أن يستعيد السيطرة على ما يجاوره غربا في شرقيي أشتوريس ، الذي كان قد خرج عن طاعة المسلمين منذ موقعة كوبادونجا في عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، وبذلك تهيأت لمسيحيي أشتوريس فرصة أخرى للحياة في مكانهم الساحل النائي دون أن تصل اليهم فيه أيدي المسلمين ، الذين أخذوا منذ ذلك الحين فصاعدا ينشغلون في نزاعات وخلافات داخلية لا جدوى منها .

وقد أكد صاحب فتح الأندلس (٤) استمرار استقلال المسيحيين في هذه الناحية ، حينما قال أن بلاجيوس وجماعته قد ظلوا يسيطرون على أطراف جبهتهم فقط ، وهي الأطراف التي كانت بأيدي المسلمين من قبل . ثم أزال ابن سعيد ـ برواية المقري(٥) ـ الالتباس في تفسير ما تعنيه هذه الأطراف ، حينما حصر حديثه على الصخرة ، اى المنطقة الجبلية الممتدة من بردوليا شرقا الى شرقيي أشتوريس غربا .

واذا كانت مدونة البلدة Chron Albeldense (٦) ـ وهي أقدم المدونات اللاتينية ، قد نوهت أن الأمة الايبيرية أخذت بعد انتصار

---

(١) مجهول ، نفسه ، ص ٢٩ ، أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن عذاري، نفسه ، ٢ ص ٢٩ ، المقري ، نفح ، ١ ص ٢٢٠ ، ٤ ص ١٨ Cronica Del Moro Rasis, Op. Cit, p 87.

(٢) ابن الأثير ، نفسه ، ٥ ص ٧٣ ، وان اثبتها المحقق « البته » وهو بلا شك تصحيف ، أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، Codera, Op Cit, 8 p 121

(٣) المقري ، نفسه ، ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، أخبار مجموعة ، ص ٢٩ ، ابن خلدون ، نفسه ، ٤ ص ١١٩ ، ٢٥٨ ، النويري ، نهاية الأرب ، تحقيق جسبار رميرو G. Remiro ، غرناطة ١٩١٧ ، ٢٢ /١ ص ١٥ .

(٤) مجهول ، ص ٢٦ .

(٥) أنظر . نفح ، ٤ ص ١٦ .

(٦) Ed. Florez, 13p450.

كوبادونجا فصاعدا فى التمهيد لاستعادة حريتها ـ وهو ما اتخذه خطأ بعض المؤرخين المحدثين(١) ، للقول بتحرر أشتوريس عقب هذا الانتصار مباشرة ـ فان كلمات المدونة تكاد تكون واضحة محددة ، ولا يفهم منها أن أشتوريس قد تحررت من الحكم الاسلامى عقب موقعة كوبادونجا مباشرة وانما فيما بعد ذلك بسنوات .

ومن ناحية اخرى فقد بالغت مدونتا سباستيان Sebastiani (٢) والفونسو الثالث Alfonso III (٣) ، حينما ذكرتا أنه لم يبق بعد انتصار كوبادونجا Covadonga مباشرة مسلم واحد داخل حدود جبال البرتات . وهو أمر يتنافى مع ما سبق أن أوضحناه من معاودة المسلمين مهاجمة منطقة جبال البرتات والسيطرة عليها ، على الأقل خلال ولاية عقبة بن الحجاج (١١٦ ـ ١٢١ هـ / ٧٣٤ ـ ٧٣٩ م) . وربما يقصد مؤلفا المدونتين بهذه الجبال جبال تمم أوربا Los Picos de Europa الواقعة بأقصى شرقيى أشتوريس وتمتد فى بردوليا وتشمل الصخرة ، اذ أنها تشكل مع جبال كنتبرية La Cordillera Cantàbrica امتدادا غربيا لجبال البرتات ، التى كان اسمها فى تلك الفترة يمتد ليشمل كل هذه الجبال .

يضاف الى ذلك أن المدونات السابق الاشارة اليها ـ وغيرها من المدونات اللاتينية ـ تصمت عن الاشارة الى أى أعمال عسكرية أو انجازات لمسيحى اشتوريس طوال فترة زعامة بلاجيوس Pelagius ومن بعده ابنه فافيلا(٤) Favila ، فيما بين عامى ١٠٠ ـ ١٢١ هـ / ٧١٨ ـ ٧٣٩م فيما عدا انتصارهم فى موقعة كوبادونجا ، ولا تنسب لهما القيام بأى توسعات داخل المنطقة الأشتورية او فى غيرها من النواحى ، وانما نسبته

---

(١) انظر على الخصوص . Risco, Op. Cit, 37 pp 80-81 ; Sànehez Albornoz, Origénes, 2 p 37.

(٢) Ed. Florez, 13 pp 480-481.

(٣) Ed. Villada, p 66.

(٤) يجعله عنان أخا لبلاجيوس ، انظر . تاريخ العرب فى اسبانيا ، ص ١٠٦ .

صراحة لخليفتهما الفونسو الأول Alfonso I فيما بين عامى ١٢١ ـ ١٤٠ هـ / ٧٣٩ ـ ٧٥٧ م ، وعددت المدن التى استولى عليها فى أشتوريس وجليقية(١) . وأيدتها فى ذلك المصادر الاسلامية ، اذ يتضح من روايتى المؤرخين الرازى وابن حيان ـ اللتين ينقلهما المقرى(٢) ـ أن مسيحيى أشتوريس طوال عهدى بلاجيوس وابنه فافيلا لم يمدوا سيطرتهم على أى من البلاد ، سوى الصخرة التى حصلوا عليها منذ موقعة كوبادونجا ، وكان همهم الدفاع عنها والمحافظة عليها ، وأضافتا أنهم لم يستردوا ما كان المسلمون قد استولوا عليه من بلادهم فى اقليمى أشتوريس وجليقية الا فى عهد الفونسو الأول Alfonso I وبخاصة فى السنوات الأخيرة من حكمه ، اذ يتضح من رواية صاحب أخبار مجموعة (٣) أن المسلمين عربا وبربر كانوا لا يزالون يقيمون فى المدائن التى خلف الدروب ـ أى شمال جبال كنتبرية ـ وذلك حتى عام ١٢٣ هـ / ٧٤١ م ، وأنهم ظلوا مدة طويلة على غزوهم للمسيحيين حتى انهزموا أمامهم سنة١٣٣ هـ / ٧٥٠ ـ ٧٥١ م ،

---

(١) قارن : Chron. Albeldense, p 451 No 52 ; Chron. Sebastiani, pp 481-482 ; Cron. Alfonso III, pp 68-69, 116 ; Chron. Léonaise, pp 390-391 ; Cron. Rotense, pp 615 - 616. ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى مدونة الفونسو العاشر Aifonso X التى ذكرت أن بلاجيوس قد عمت مدافعته وحمايته أشتوريس وقطرى ليون وبرتقال ، وأضافت أنه أحرز انتصارات على المسلمين وهى اضافة سايرتها فيها مدونة دون رودريجو Don Rodrigo . الا أن مدونة الفونسو العاشر تناقض نفسها اذ حينما تؤرخ لفترة حكم أوريليو فيما بعد عام ١٥١ هـ / ٧٦٨ م تشير أنه هو الذى استولى على أشتوريس وجليقية وبرتقال وبعض ليون ، انظر . Antuna, Una version, pp 117, 131 ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ . كذلك فانا ناقشنا من قبل رواية الفونسو العاشر ، ولا يوافقها معظم المؤرخين الأوربيين المحدثين فيه ، قارن : Quadrado, Op Cit, p 29 No 1 ; Cayetano, Op Cit, p 20 ; Risco, Op Cit, 37 pp 85-86 No 125, p 355 ; Danham, Op Cit, 2 p 124 ; Barrau-Dihigo, Recherches, pp 135 136 ; Altamira, A. History of Spain, p 107.

(٢) انظر . نفح ، ٤ ص ١٥ ، ٦ ص ٨٣ .

(٣) انظر . أخبار مجموعة ، ص ٣٨ ـ ٤٠ .

فاضطروا الى اخلاء جليقية كلهـا واستورقة Asturica وغيرها من المدائن ، وصار ملهم خلف ـ جنوب ـ جبال كنتبرية (١) ٠ بل ان بعض المصـادر الاسلامية الأخرى قد نسبت هذا التوسع لفرويلة Fruela ـ ابن النونسو الأول ـ فيما بين عامى ١٤٠ ـ ١٥٠ هـ / ٧٥٧ ـ ٧٦٨ م ، وأضـافت أن مسيحيى أشتوريس قد ظلوا حتى أواخر عهـد الفونسو الأول (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) فى موقف الدفاع عن أنفسهم والحماية عن اراضيهم ، ولم يقو أمرهم الا فيمـا بعـد(٢) ٠

ونعتقد انه بذلك تضيع اهمية انتصـار المسيحيين فى كوبادونجا ، كانتصـار حاسم أو قاطع رد المسلمين عن أشتوريس ، دون أن يبقى فيهـا ـ مثلما تشير المدونات اللاتينية (٣) ـ مسلم واحد بعدها ، ودون أن يعاودوا مهاجمتهـا أو الاستيلاء عليهـا ٠ ولم تخرج عن كونهـا مناوشة عسكرية(٤) خسرها المسلمون لظروف خارجة عن ارادتهم ، أدت فى حينها وحتى عـام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م على الأقل الى فقدانهم السـيطرة على المنطقـة الصخرية فى أشتوريس ، وهى المعروفة بالصـخرة أو صـخرة بلاى وما يحيط بهـا فقط ٠

والأولى القـول أيضا أن مسيحيى أشتوريس قد ظلوا ضعفاء الجـانب حتى أواخر عهد عقبـة بن الحجـاج فى عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، ولم يكن

(١) انظر ٠ نفسـه ، ص ٦١ ـ ٦٢ ٠ وان كان يلاحـظ أنه يخلط فى روايته هـذه بين بلاجيـوس والفونسـو الأول ، وينسب هذه الأعمـال لبلاجيوس ، بيـد أن المؤرخ يحددها باعوام واضحة تقع فى عهد الفـونسو الأول ٠

(٢) قارن : المقرى عن ابن حيان ، نفح ، ١ ص ٣٠٩ ، ٤ ص ٢٦ س٢، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٠ ، القلقشـندى ، صـبح ، ٥ ص ٢٦٤ ٠ وينسـبون اليه استرجاع مـدن لك وبرتقال وسـمورة وسلمنقة وقشـتالة وشنتوبة ، على أنه لمـا كانت المدونات اللاتينية تنسبها لالفونسو الأول ، وتضيف أن اخاه ، ويدعى أيضـا فرويلة ، قد شاركه فيها فربمـا يكـون المؤرخون المسلمون قد خلطوا بين فرويلة الأخ وفرويلة الابن ٠

(٣) انظر ٠ Chron. Albeldense, p 450 No 50 ; Chron Sebastiani, pp 480-481 No. 11 ; Cron. Alfonso III, p 66 ; Chron. Silense, p 276 No 25.

(٤) انظر على سبيل المثال : Atkinson, Op Cit, p 62.

باستطاعتهم أن يقدموا على مواجهـة عسكرية مبـاشرة فعالة مع المسلمين ، او ان يتبنوا سياسة هجومية ضـدهم ، أو حتى تشرئب نفـوسهم الى أى محـاولة للتوسـع ولو محدودة ، فى أى من الاتجاهات على حساب المسلمين ، وانمـا كانوا مضطرين للتركيز أسـاسا على الاحتفاظ والدفاع عمـا حازوه واكتسبوه من أرض ما كانوا ـ على حد تعبير بعض المؤرخين المسـلمين الأوائل ـ يطمعون فيها أو يتطلعون اليها قبلا(١) ٠ ولذلك اقتنعوا بحيـاة التقشـف فى منطقتهـم النائيـــة الصـخرية القاحلة الواقعـة فى الأطراف الشرقية من اقليم اشـتوريس ، فيمـا بين جبـال قمم أوربا ـ Los Picos de Europa فى الجنوب ، وبحر كنتبـرية El Mar Cantàbrico (خليج بسـكاية Golfo de Vizcaya) فى الشـمال ، وهى المنطقـة التى تشمل وادى كانجاس والصخرة ٠ اذ رأوا فيها مكانا ملائما لخدمة أغراضهم الدفاعية عن انفسـهم ، ومن ثم فلم يحاولوا فى تلك الفترة ـ على الأقل ـ أن يمتدوا أو يتحركوا بعيـدا عنها ، لا سـيما أنها شهدت انتصارهم الأول ، وكانت عزيزة على أنفسـهم ، وتوفرت فيها الحمـاية الطبيعيـة ضد أى هجوم اسلامى متوقع ٠

وفى الواقع ، فلا تزودنا المدونات اللاتينيه أو غيرها من الكتابات المعاصرة بمعلومات تمكننا من التعرف على نوعية ونمط حياة بلاجيوس وأتباعه ، او كيفية ممـارستهم لها ، وما اذا كانت قد وجدت لهم مؤسسات أو هيئات نظمت حياتهم ووضعتها فى اطار معين أم لا ؟ وذلك فى فترة ما بعد كوبادونجا حتى عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، وهى الفترة التى شـغلت باقى مـدة زعامـة بلاجيوس Pelagius ثم ابنه فافيلا Favila من بعده ٠ وان كان لا مفر أمامنا من ضرورة التعرف على ملامح الحياة السياسية والدينية لهذه الجماعة وقتذاك باعتبارهمـا الناحيتين اللتين أثرتا بدرجة كبيرة على المقـاومة وأفرادها ٠

ولا جدال فى ان نجاح بلاجيوس Pelagius فى احـراز النصر على المسلمين فى موقعة كوبادونجا Covadonga عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، ثم نجاحه فى تنظيم عمليات الدفاع عن جماعته المسيحية ضد هجماتهم ، وما أبداه من

(١) أنظر ٠ المقرى عن الرازى وابن حيان ، نفـح ، ٦ ص ٨٣ ، ٤ ص ١٥ ٠

همة ونشاط لتامين حياة اتباعه قد صادف هوى فى نفوس هؤلاء الأتباع ، ورأوا فيه رجلا قادرا – ان لم يكن الأقدر – على تحمل تبعات القيادة ومتطلباتها ، فعلا شأنه لديهم وازدادت هيبته فى أعينهم ، واصبح قبلتهم ومحط آمالهم ، فباركوا بالاجماع جهوده ، ومنحوه ثقتهم كاملة ، مفوضين له رسم سياستهم وتخطيطها ، والعمل على انجازها وتنفيذها ، مطيعين له ولأوامره . وعلى ذلك فقد اصبح بلاجيوس بالفعل رأس الجماعة ومتولى أمورها ، واتخذ من مدينة كانجاس Canicas (كانجاس دى أونيس Cangas de Onis الحالية) الواقعة الى الغرب من الصخرة مقرا له ومركزا(١) .

هذا وقد ذهب المؤرخون الأوربيون المحدثون بلا استثناء(٢) الى أن بلاجيوس قد اتخذ لقب ملك ، وذلك لأنه يظهر فى المدونات اللاتينية كخليفة للملك القوطى رذريق Roderigo ، ويندرج التاريخ عنه فيها ضمن ملوك أشتوريس . على انه لما كان مؤلفو هذه المدونات على السواء قد اعتبروا المملكة التى ظهرت فى أشتوريس فيما بعد عهد كل من بلاجيوس وابنه فافيلا استمرارا او احياء لمملكة القوط البائدة ، فكان عليهم بالطبع أن يصلوا بينهما عند التاريخ لهما ، ومن ثم ظهر بلاجيوس فى روايتهم بعد مقتل رذريق مباشرة وقبل ملوك أشتوريس ، الذين بدأوا بالفونسو الأول Alfonso I منذ عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م . ومن ناحية أخرى فلم يرد اسم بلاجيوس أو ابنه فافيلا فى أى من هذه المدونات ولو مرة واحدة مقرونا بأى لقب سياسى ، وهو امر ما كان يغفله مؤلفوها لو انه كان ملكا أو حتى أميرا .

واذا كانت كل من الحوليات الطليطلية Annales Toledanos III (٣) ومدونة الفونسو العاشر Alfonso x – التى ينقلها ابن الخطيب(٤) – قد انفردتا بالقول ان بلاجيوس Pelagius كان أول ملك يحكم فى

---

(١) انظر Chron. Albeldense, p 450 No 50 ; Huici, Op Cit, 1 p 158.

(٢) وعلى راسهم . Caveda, Risco, Cayetano, Quadrado, Velasco Valdeavellano, Barrau — Dihigo, Sànchez Albornoz, Bleye, Brooke

(٣) انظر . Ed. Florez 23 p 415.

(٤) انظر . Antuna, Op Cit, p 117 ، وانظر أيضا تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ .

اسبانيا بعد موت رذريق ودخول المسلمين ، فقد سبق أن أبدينا عدم ثقتنا الكاملة فيما تورده المدونة الأخيرة على الخصوص . يضاف الى ذلك أن مؤلفيهما ربما استخدما لقب ملك ليطلقاه مجازا على من كانوا يشغلون مناصب ادارية ذات شأن وتقل عن مرتبة الملوك بكثير ، ويكونا قد سايرا فى ذلك بعض مؤرخى الاسلام الأوائل ، مثل عبد الملك بن حبيب(١) الذى حينما أنبأنا بغياب الملك القوطى رذريق فى شمال البلاد لقمع ثورة فيه وقت اقدام المسلمين على الفتح ، أشار أنه استخلف على البلاد ملكا من ملوكه يسمى تدمير . وأيضا فانه حينما ذكر الرازى (٢) وابن عذارى (٣) وصاحب أخبار مجموعة (٤) أنباء أسر حاكم مدينة قرطبة القوطى بأيدى المسلمين اثناء فتحها ، قالوا انه لم يؤسر من ملوك الأندلس غيره . ولم يكن تدمير ولا حاكم مدينة قرطبة هذا سوى حاكمين أو نائبين من نواب الملك رذريق فى حكم المدن ، ولم يرتفعا قط الى درجة الملوك ، الأمر الذى لا يمكن معه أن تقف المدونتان اللاتينيتان السابقتان ، ولا بعض المصادر الاسلامية – التى جعلت من بلاجيوس ملكا لجليقية (٥) – دليلا على أنه كان ملكا بالفعل .

حقيقة ورد اسم جواديوسا Gaudiosa – زوجة بلاجيوس – فى مدونة سباستيان Sebastiani (٦) ، وفى نقش مقبرتها(٧) مقرونا بلقب ملكة Regina . وذلك لا يعدو الا أن يكون من قبيل التبجيل والاحترام ، ولا يكفى وحده للقول بأن بلاجيوس قد اتخذ بالضرورة نفس اللقب ، وبخاصة أنه لدينا وثيقة (٨) أصدرها بلاجيوس نفسه ، يهب بمقتضاها كل أملاكه فى أشتوريس لدير سانت يانه (هيلانة)

---

(١) أنظر . محمود مكى ، مصر والتاريخ العربى الاسبانى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الخامس ، ص ٢٢٢ .

(٢) أنظر . المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٤٦ .

(٣) أنظر . البيان ، ٢ ص ١٠ .

(٤) أنظر . ص ١٤ .

(٥) أنظر . أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٢ ، ٢٩ .

(٦) Ed. Florez, 13 p 481 No 11.

(٧) أنظر نصه . Somoza, Op Cit, p 481 والملاحق .

(٨) أنظر الملاحق ، وأنظر أيضا Floriano, Op Cit, 1 pp 29-30

Santillana – وهى وثيقة وان يصعب تحديدها بعام معين فيما بين عامى ١٠٠ – ١١٩ هـ / ٧١٨ – ٧٣٧ م بفعل ما أصابها من أرضه ، فانها تحمل تاريخ الرابع من مارس – ومايعنينا منها الآن ان بلاجيوس لم يظهر فيها الا باسمه فقط ، الذى عرف به دائما – قبل وبعد كوبادونجا – وهو دون بلايو Don Pelayo ، ولو انه كان قد اتخذ لقب ملك Rex ، أو أمير Princeps أو سيدنا (حاكمنا) Noster Dominus ، أو حتى سيد (حاكم) Dominus ، مثلما تلقب خلفاؤه منذ الفونسو الأول Alfonso I (١٢١ هـ / ٧٣٩ م) فصاعدا (١) لكان قد اقترن اسمه فى الوثيقة المذكورة باى من هذه الألقاب .

كما أن هذه الوثيقة كانت موضوع تحقيق وتحليل من جانب بعض المؤرخين ، الذين أثبتوا زيفها ووضعيتها فى أواخر القرن السابع الهجرى / ١٢ – ١٣ م (٢) أى فى وقت كانت قد بلغت فيه حماسة الاسبان ومناهضتهم للمسلمين بشبه الجزيرة الايبيرية شأوا عظيما ونجاحا وأنزلوا بلاجيوس خلالها منزلة القديسين ، وكان يتوقع أن يمجد كاتب الوثيقة به ، ويقرن اسمه فيها بأى لقب سياسى كملك أو أمير أو حاكم ، الا أن شيئا من هذا لم يحدث .

يضاف الى ذلك ان الفونسو الأول Alfonso I (١٢١ – ١٤٠ هـ / ٧٣٩ – ٧٥٧ م) الذى كان أول من اتخذ لقب أشتوريس ، لم يشر الى بلاجيوس فى الوثيقة التى أصدرها فى عام ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م (٣) الا باسمه فقط (Pelagii) دون أى لقب سياسى .

---

(١) لدينا وثائق عديدة تحمل هذه الألقاب ، وعن نصها على سبيل المثال انظر . Floriano, Op Cit, 1 pp 34-35, 38-39 ; Risco, Op Cit, 37 p 303 Sqq.

(٢) أول من نقل هذه الوثيقة هو المؤرخ Sota من مخطوط بأرشيف دير سانت يانا Santillana فى أشتوريس ، ولم يقم بأعمال التمحيص الوثائقى المطلوبة للتأكد من صحتها ، واعتبرها وثيقة أصلية ، وتابعه فى ذلك معظم المؤرخين التالين له حتى جاء Floriano و Berrau-Dihigo فقاما بفحصها وأثبتا عكس ذلك ، انظر بالتتابع . Diplomatica, 1 pp 30-33 ; Actes de Rois Asturiens, pp 98-100, 109.

(٣) انظر الملاحق ، وانظر Floriano, Op Cit, 1 pp 34-35 ; Risco, Op Cit, 37 pp 303-304.

ولربما كان الأمر مرهونا باكتشاف وثائق أخرى جديدة ، تتعلق بفترة زعامة بلاجيوس وابنه فافيلا (١٠٠ – ١٢١ هـ / ٧١٨ – ٧٣٩ م) لتنطق برأى يوما ما فى هذا الشأن ، الا أن المتعارف عليه بين المؤرخين المحدثين حتى الآن انه لا وجود لوثائق أخرى ، غير تلك الوثيقة الفريدة التى اشرنا اليها . ومن ثم فلا يسعفنا أمام قلة وثائق هذا العهد واختفائها، ان نساير المؤرخين المحدثين فيما يذهبون اليه بشأن اتخاذ بلاجيوس لقب ملك ، وتبعا لذلك أيضا ينتفى القول بوجود مملكة فى أشتوريس وقتذاك .

ولو كان الأمر كذلك لكان لابد ان يصاحب نشأتها اقامة مؤسسات وهيئات – لا تقوم مملكة أو دولة بدونها – ومن ثم اصدار مراسيم وقرارات تنظم وتحدد مهام هذه المؤسسات ، وتدلنا فى ذات الوقت على طبيعة هذه الأوضاع الجديدة وشكلها وحقوق وواجبات الرعية والراعين ، وهو ما لم يتم الا بعد بلاجيوس وابنه فافيلا ، اى بعد عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م .

وحقيقة أيضا يظهر اسم بلاجيوس Pelagius فى النقش الخاص بمقبرته (١) – التى تقع فى كوبادونجا Covadonga فى أشتوريس – مقرونا بلقب ملك Rex ، الا أن النقش غير معاصر لبلاجيوس وانما يرجع الى فترة متأخرة ، حوالى القرن السابع عشر الميلادى / ١١ هـ ، وهو ما يتضح جليا من لغة النقش ، اذ هى بالاسبانية وليست باللاتينية(٢) وبالتالى فلا يمكن الاستناد اليه هو الآخر لتحديد ما اذا كان بلاجيوس قد صار ملكا أم لا .

ومن ناحية أخرى فلدينا نقش (٣) خاص بتأسيس ابنه فافيلا Favila كنيسة الصليب المقدس Sanctae Crucis – التى تعرف فى الأسبانية بسانتا كروث دى كانجاس Santa Cruz de Cangas الواقعة على ضفة نهر بوينا Buena بمدينة كانجاس Canicas (كانجاس دى

---

(١) انظر الملاحق ، انظر . Quadrado, Op Cit, p 34 ; Somoza, Op Cit, p 482.

(٢) انظر . Somoza, Op Cit, p 481

(٣) انظر الملاحق ، وانظر أيضا . Risco, Op Cit, 37 pp 86-87 ; Caveda, Op Cit, P 16 ; Hubner. Inscriptiones, P 47; Vigil, Op Cit, 1 p 305.

اونيس Cangas de Onis الحالية) فى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، تخليدا لذكرى والده ، وعلى الرغم من ان النقش معاصر ولا يشك فيه كما يرى المؤرخون الأوربيون المحدثون (١) ، فلم يظهر فيه فافيلا هو الآخر الا باسمه فقط وهو Fafila أو .Fafella دون أى لقب سياسى على الاطلاق . كما يظهر اسمه فى نقش مقبرة الفونسو الأول خلوا من ذلك(٢) .

ولعل فيما سبق ما يدلل على ان بلاجيوس وابنه فافيلا من بعده ، لم يتخذا لقب ملك او أمير ، ونعتقد أن الأمر لم يتعد سوى أنهما كانا زعيمين او قائدين لجماعة من الناس التفت حولهما ، دون أن تكون لهما مملكة او امارة (٣) ، وان لم يمنع هذا الوضع من ان تحيط بهما طائفة من الأتباع المقربين ، كانت ـ كما يفهم من مدونة سيلوس Silense (٤) ـ قوطية المنبت . وقد عملت هذه الطائفة كمجلس استشارى زود بلاجيوس وابنه فافيلا من بعده بالنصح ، وقدم لهما المعاونة فى تصريف شئون الرعية وامورها ، وهو امر طبيعى اذ كان لدى هذه الفئة القوطية ـ أكثر من غيرها من العناصر ـ خبرة قرون مضت فى ممارسة القيادة والسياسة والحكم . ولا نتوقع أن يكون هذا المجلس قد مارس ضغطا او نفوذا مباشرا على بلاجيوس أو ابنه ، وان كان قرب اعضائه منهما ، وارتباط عملهم بأمور الحكم ، قد ساعدهم على ان يكونوا

---

(١) منهم : Danham, Sandoval, Morales وانظر اعلاه .

(٢) عن نص النقش ، انظر . Somoza, Op Cit, p 482

(٣) واذا كان بعض المؤرخين المحدثين يعتمدون على نص مدونة البلدة للقول بوجود مملكة فى أشتوريس بعد انتصار كوبودونجا ، فاننا نعتقد انها لم تكن قد قامت فى فترة زعامة بلاجيوس وابنه فافيلا ، اذ يلاحظ أن مؤلف المدونة قد أرخ لها تحت عنوان «Item Ordo Gothorum Ovetensium Regnum» أى « نظام تتابع ملوك اوفييدو القوط » ولما لم تكن هذه المدينة قد نشأت وقتذاك ، فيكون المؤلف يقصد المملكة التى اتخذت من هذه المدينة عاصمة ، ولا يسعنا لذلك أن نؤرخ لقيام مملكة أشتوريس الا منذ نشأة هذه المدينة او قبلها بقليل وعن نص المدونة ، انظر . Florez, Op Cit, 13 p 450.

(٤) انظر . Florez, Op Cit, 17 p 276 No 25 ; Huici, Op Cit, 2 p 54.

عنصرا اساسيا من عناصر طبقة النبلاء الأرستقراطية فى المجتمع الأشتورى بمرور الوقت .

ولما كان بلاجيوس وجماعته المسيحية ، رغم انتصارهم على المسلمين فى موقعة كوبادونجا Covadonga ، يعلمون انهم يواجهون خصما لا يزال قوى البأس شديد المراس ، بامكانه ان يسحقهم اذا ما ظفر بهم خارج ماواهم الجبلى الحصين ، أو اذا ما أعد للأمر عدته بعد ما خبر جغرافية المنطقة وطبوغرافيتها وطبيعة طرقها ومسالكها . فقد كان على بلاجيوس وجماعته ان يكرسوا كل طاقاتهم لتحصين مواقعهم ، وتنظيم عمليات الدفاع عن انفسهم وتقويتها ، ليكونوا على أهبة الاستعداد لملاقاة خصمهم اذا ما عاد يشن عليهم هجوما جديدا .

ومن ناحية اخرى ، فانه بسبب فقر وضيق المنطقة التى استقل بها هؤلاء المسيحيون فى أشتوريس منذ موقعة كوبادونجا عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، وبسبب هجمات المسلمين المتكررة عليهم بعدها حتى عزل الوالى عقبة بن الحجاج فى عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، وهى هجمات أدت الى الحد من زيادة أعداد هؤلاء المسيحيين زيادة ملحوظة ، فى الوقت الذى لم يكونوا فيه أصلا بالكثرة التى نتوقعها ، ولذا كانوا مضطرين فى ظل تلك الظروف أن يعتبروا مقاومة المسلمين ليست فقط أمرا حتميا ومستمرا من أجل الحفاظ على بقائهم والا كان فناؤهم مؤكدا ، وانما نظموا هذه المقاومة وتوسعوا فيها أيضا حتى شملت كل فرد فيهم ، وصار الجميع ـ يتساوى فى ذلك قادتهم ورعيتهم ـ جنودا قبل كل شىء ، ومن ثم فقد كانت مهام الدفاع والحفاظ على استمرارية المقاومة هما محور سياسة بلاجيوس وهدفه الأول طوال فترة زعامته ، وهو ما يفهم من بعض المصادر الاسلامية (١) ، ويراه مؤرخو اسبانيا المحدثين ذاتهم (٢) . وان كان اعتقادنا انه هدف صار ثانويا فى عهد ابنه

---

(١) أنظر . المقرى عن ابن حيان والرازى ، نفح ، ٤ ص ١٥ ، ٦ ص ٨٣ .

(٢) على سبيل المثال ، انظر . Risco, Op Cit, 37 p 85 No 124 ; Caveda, Op Cit, pp 38, 91, 93 ; Cayetano, Op Cit, p 20 ; Altamira, A History of Spain, p 107.

وخليفتـــه فافيـــلا Favila ، ليس بسبب قصر مـدة زعامته التى لم تزد عن عامين ١١٩ ـ ١٢١ هـ / ٧٣٧ ـ ٧٣٩ م ، وانمـا لأنـه لـم يكن على شىء من خصال ابيه فى الهمة والاقدام وانما متقلب الأهواء ، صرف معظـم جهـده ووقته الى هوايته المفضلة ، وهى الجرى وراء الحيوانات البرية وتعقبهـا لاصطيادها (١) • ومن ثم فلم يقم بعمل يسـتحق التسجيل على الاطلاق ، كمـا تشير بذلك مدونتا سباستيان Sebastiani (٢) والفونسـو الثالث Alfonso III (٣) •

ورغم اننا نجهل نوعيـة التنظيم الدفاعى الذى اتبعـه بلاجيوس فى هذا الشأن او كيفيته ، فان بعض تصرفاته تدلنا على انه اسـتغل منـذ البـداية عامـل الدين وطوعه لصالح قضيته ، اذ عمـل على اكتســاب رجـال الدين الى صفه ، ليقوموا بدورهم فى اذكاء شعلة الغيرة الدينية عند الرعية ، وفى حملهم على اعتبار مناهضـة المسلمين واجبا دينيا على كل فرد فيهم ، وبذلك ربط بلاجيوس بين الدين والمقاومة •

وقـد تعددت اساليب بلاجيوس فى تطويـع الدين لصالح تلك المقاومة ، اذ حينما اثار سـكان اشتوريس اللاتين والجرمان ضـد المسلمين ، فى فتـرة ما قبـل كوبادونجا ، فقـد حفزهم باسم انقـاذ العقيدة المسيحيـة والحفاظ عليهـا ! ثم كان التجاؤه الى المغارة المقدسة (كوبادونجا) وادارته للمعركـة منها بمثابة ايحاء لأتباعه على أنه يحارب أعداءه بحماية من العناية الالهية ، كمـا أنه حينما حاول الأسـقف القوطى عبـاس Oppas اقناعه بالتخلى عن مقاومة المسلمين قبيـل نشـوب المعـركة نراه يزعم لعبـاس بأن الرب قـد وعـده بالتغلب على المسلمين انقـاذا للكنيسـة واعـلاء لشأنهـا • يضاف الى ذلك انه اكسب المعركـة طابعـا دينيـا حينمـا حمـل صليبـا من خشـب كلواء لـه فيهـا ، وهـو الصليب الذى عرف فيمـا بعـد بصـليب النصر La Cruz de la Victoria او حتى بالصـليب المقـدس Sanctae Crucis

---

(١) قارن : Chron. Albeldense, p 451 No 51 ; Chron Lusitanum, Ed. Florez, p 402 ; Cron Rotense p 615 ; Chron. Léonaise, p 390.

(٢) Ed Villada, p 67.

(٣) Ed. Florez, 13 p 481 No 12.

واحاطه مسيحيو اشـتوريس بهالة من التقديس ، حتى ان فافيلا بن بلاجيوس وخليفته فى الزعامة ، اقام كنيسـة باسـمه تخليـدا له فى العـام الأول من زعامته ٧٣٧ م / ١١٩ هـ ، عرفت بكنيسـة الصليب المقدس Santa Cruz De Cangas (١) ، كما اشرنا من قبل ، وان اندثرت فى وقتنـا الحـاضر ، ولـم يبق منهـا سوى نقش تاسيسهـا •

ويذهب بعض المؤرخين الحديثين(٢) الى أن هذا الصليب هو نفسه الصليب الذى أمر ملك اشتوريس الفونسو الثالث الملقب بالعظيم Alfonso El Magno فى عام ٨٨٣ م او فى عـام ٩٠٨ م ، بتطعيمـه بصـفائح الذهب الخـالص والأحجار الكريمـة ، وتزيينه بنقش دينى ذكر فيه اسـم بلاجيوس وانتصاره على المسلمين ، ثم حفظه بالحجرة المقدسـة La Camara Santa بكاتدرائية مدينة اوفييدو فى اشتوريس وهى التى لازالت تحتفظ به • وقـد نسجت حول هـذا الصليب قصـة راجت منذ القرن ١٧ م / ١١ هـ فصاعدا ، على انهـا احدى معجزات معركة كوبادونجا ، وكانت من اسباب المغـالاة فيهـا ، ومـؤداها ان صليبـا ورديـا ظهـر لبلاجيوس فى السماء فى اليـوم السابق للمعركـة كاشـارة اكيدة له على معاونة الرب وتاييد السـماء له ، ودليـل على حتمية انتصاره على المسلمين(٣) •

---

(١) انظر Cron. Alfonso III, p 115 ; Cron. Rotense, p 615 ; Chron Léonaise, p 390 ; Cron. Sebastiani, p 4 81

(٢) Caveda, Op Cit, pp 81-83 ; Risco, Op Cit, 37 pp 86, 356; Velasco, Op Cit, pp 197-198 ; Somoza, Op Cit, pp 482-483.
واعتمدوا فى ذلك على عبارة وردت فى مدونتى سيلوس Chronicon Silense وتوى Cron. Tuy ، خاصة بصليب الفونسو الثالث ، ومؤداها انه كان من بين اشياء ذهبية اخرى جمعها واحضرها الفونسو الثالث سويا ، واسـتنتجوا منهـا دون اساس ان صليب بلاجيوس كان من بينهـا • وعن نص مدونـة سيلوس ، انظر • Huici, Op Cit, 2 pp 84-86 ، وعن صليب الفونسو الثالث ، انظـر الملاحق •

(٣) عنهـا انظر • Velasco, Op Cit, p 198 ; Cabal, Covadonga, pp 149-150 ، ونص هـذه القصة كما وردت عندهمـا هـو :
«Cuando Pelayo vencio en Covadonga excelente, à la Sarracena gente, este milagro acaecio y es que el fuerte Caballero vio en el sielo senalada la cruz blanca y colorada, muy ricamente esmaltada.»

ومن الطبيعى ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث قط ، والا لما التزم الصمت تجاهه مدونى المدونات اللاتينية ، وهم الذين انكبوا دون أن يالوا جهدا على جمع وتدوين كل ما يتعلق بالأعمال الالهية الخارقة ، التى تفوق طاقة البشر لاظهار مدى العناية الالهية ومساندتها لهم ضد المسلمين . وكثيرا ما نجد اشباه تلك القصص ايضا فى المصادر الاسلامية ذاتها ، تبين ان ما قام به المسلمون من فتح كان واجبا دينيا يؤيده الله ، وذلك مثل القصة التى تشير الى ظهور النبى (صلعم) لطارق بن زياد ، وقت عبوره الى ايبيريا لفتحها ، والخلفاء الأربعة معه يمشون على سطح الماء حتى مروا على طارق ، فبشره النبى بالفتح (١) . وتلك كانت طبيعة العصر ، ونعتقد ان الأمر لم يتعد ان حمل بلاى صليبا اثناء المعركة وهو شىء طبيعى ،مما اكسب المعركة طابعا دينيا .

كذلك انشغل بلاجيوس هو وأتباعه بعد انتصارهم فى المعركة فى شكر الرب وحمده ، اعترافا بفضله وعونه لهم ،واجتهدوا فى تقوية وتدعيم كل ما يتصل بأمور الدين والعبادة ، فتشير المدونات اللاتينية(٢) الى نشاط الأعمال المعمارية ونهضتها وقتذاك ، وهى نهضة تمثلت فى اقامة الكنائس على الخصوص ، وتضافر هذا النشاط الدينى الملحوظ مع غيره من النشاطات السلمية من زرع وحرث ، حتى أن مؤلفى تلك المدونات يتعجبون من كيفية تضافر تلك النشاطات وتوازيها فى نفس الوقت مع الجهود والاستعدادات العسكرية ، فى تلك الفترة المتقدمة من حياة الجماعة المسيحية فى اشتوريس .

وقد ضرب بلاجيوس بنفسه المثل والقدوة فى الاعتراف بهذا الفضل الالهى حينما اقدم على هبة كل ما يملكه من اراضى - اذا ما صدقت الوثيقة الدالة على ذلك(٣) - الى مقدم وآباء دير القديسة

---

(١) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٢٢٤ ، ابن القوطية ، تاريخ، ص ٣٤ ، الحميرى ، صفة ، ص ٩ .

(٢) Cron. Sebastiani, p 481 ; Cron. Alfonso III, pp 66-67 ; 114-115 ; Cron. Rotense, p 615 ; Chron. Leonaise, p 276.

(٣) عن نصها ، انظر الملاحق .

ميلانةاو جوليانا . وفى ذات الوقت وضع اساس اول كنيسة فى اشتوريس،وهى كنيسةسان ايولاليا دى بلاميو Santa Eulalia De Velapmio (كنيسة اباميا Abamia الحالية) ، الواقعة قريبا من جبل بلاميو Velamio فى مدينة كانجاس(١) ، وهى الكنيسة التى دفن فيها بلاجيوس الى جوار زوجته جواديوسا Gaudiosa ، عندما توفى فى عام ٧٣٧ م / ١١٩ هـ (٢) ، وان نقلت رفاتهما فيما بعد الى كنيسة اخرى وهى سانتا ماريا Santa Maria فى كوبادونجا(٣) . ويبدو أن بلاجيوس قد استلهم فكرة بناء الكنائس كرمز للسيادة المسيحية فى اشتوريس مما كان يقوم به المسلمون من تشييد المساجد كرمز للسيادة الاسلامية فيما يحلون به من بلدان وأماكن .

ومن ناحية اخرى ، فقد عمل بلاجيوس على استمالة رجال الدين اليه ، لما كان يعلمه من مكانتهم الدينية ، وهو ما ترك آثاره الطيبة فى نفوسهم ، فأحاطوه وباركوا بالاجماع اعماله باسم السماء . ويبدو ان اهتمام بلاجيوس بالدين ورجاله لم يكن قد نبع من فراغ ، فربما فسر انتصارات المسلمين المذهلة بشدة تمسكهم حينذاك بتعاليم دينهم ،ثم انه بحكم انتمائه الى اسرة قوطية ملكية ، وارتباطه بالعمل فى البلاط القوطى، قد تناهى الى سمعه عواقب انتهاك بعض ملوك القوط من امثال وامبا Wamba ومن بعده اجيكا Egica وتيزا Witiza وغيرهم لتعاليم الدين المسيحى وللكنيسة وامانة رجالها(٤) . يضاف الى ذلك ما قد شاهده بلاجيوس بنفسه لما حدث لروذريق آخر ملك قوطى عندما ضرب عرض الحائط

---

(١) عنها ، انظر . Vigil, Op Cit, 1 pp 308-309 ; Saavedra, Pelayo, p 16.

(٢) Cron. Sebastiani, p 481.

(٣) Somoza, Op Cit, p 481 ; Saavedra, Op Cit, p 16.

(٤) عن أمثلة لتلك الانتهاكات انظر على الخصوص . Cron. De Espana Del Don Rodrigo, Op Cit, 105 pp 119, 157, 188.

بتسامح رجال الدين فى دولته (١) ، وهى انتهاكات فسرها بلاجيوس – مثل غيره من قوط عصره – على انها سبب ضياع وزوال المملكة القوطية ، كعقاب الهى للجنس القوطى على ما اقترفه بعض ملوكهم من خطايا وآثام فى حق الدين ، وعلى هذا النحو ربط بلاجيوس المهام العسكرية بأمور العقيدة متلازمتا منذ السنوات الأولى للمقاومة المسيحية فى اشتوريس ، فى الوقت الذى لم يكن فيه هناك دعامة من دعامات المؤسسات الحكومية سوى كرسى الزعامة ومذبح الكنيسة .

---

(١) مثل قصة بيت الحكمة التى رواها المؤرخون العرب ومؤدى تلك الأسطورة انه كان فى طليطلة عاصمة القوط بيت مغلق يحرسه قوم من ثقات القوط ، وكانت العادة انه اذا تولى من القوط ملك زاد على البيت قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله ، حتى صار عليه اربعة وعشرون قفلا ، فلما تولى رذريق عزم على فتح الباب والاطلاع على ما بداخله ، قائلا : والله لا اموت بغم هذا البيت ، ولأفتحنه حتى اعلم ما فيه ، فاعظم ذلك اكابر القوط وتضرعوا اليه ان يكف عن ذلك فتنفى له : ماذا تريد بفتح هذا البيت ؟ فقال لهم : والله لا اموت بغمه ولا علمت ما فيه ، فقالوا : اصلحك الله انه لا خير فى مخالفة السلف الصالح ، وترك الاقتداء بالأولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ، ولا يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه ، فانهم اولى بالصواب منا ومنك ، فابى رذريق الا فتحه وظن انه بيت مال . فقالوا له : انظر ! ما ظننت فيه من المال والجوهر وما خطر على قلبك فانا ندفعه اليك ، ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا ، فانهم كانوا اصل معرفة وعلم ، فابى رذريق الا فتحه ففتحه وفض عنه الأقفال ، ودخله فأصابه فارغا لا شيء فيه ، الا المائدة التى تعرف بمائدة سليمان فضلا عن تابوت عليه قفل ، فأمر بفتحه ، فألفاه فارغا ايضا ليس فيه الا تصاوير للعرب وهم على الخيول وعليهم العمائم متقلدين السيوف ومتنكبين القسى ، ورافعين الرايات على الرماح ، وفى اعلى الصور كتابة اعجمية فقرئت فاذا هى : اذا كسرت هذه الاقفال من هذا البيت ، وفتح التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور ، فان الأمة المصورة فيه تغلب على الأندلس وتملكها . انظر · ابن القوطية ، نفسه ، ص ٣٣ ، الحميرى ، صفة ، ص ١٣٠ – ١٣١ ؛ ابن الأثير ، نفسه ، ٤ ص ٢٣٢ ، ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ٤٢ – ٤٣ ، ابن الشباط ، نفسه ، ص ١٣١ – ١٣٢ ؛ ١٥٦ – ١٥٧ .

على انه منذ انتصار بلاجيوس فى معركة كوبادونجا فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، فان اسمه يختفى من المدونات اللاتينية بأسرها ، ولا يظهر فيها الا فجأة حين وفاته فى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، بعد ان امضى تسع عشرة سنة زعيما (١) .

واذا كانت المدونات اللاتينية والنقش الخاص بمقبرة بلاجيوس تتفق – كما اوضحنا – على تاريخ وفاته بعام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، فضلا عن ان النقش الخاص بتأسيس ابنه لكنيسة الصليب المقدس ينفى هو الآخر ان يكون بلاجيوس قد ظل على قيد الحياة بعد هذا العام ، فان مؤرخى الاسلام الأوائل قد خالفوا هذا التحديد مخالفة واضحة لا تخلو من اضطراب . اذ على الرغم من أن معظمهم يتفقون مع اصحاب المدونات اللاتينية بتحديد مدة زعامة بلاجيوس بتسع عشرة سنة ، فانهم ينفردون بجعل وفاته فى عام ١٣٣ هـ (٢) / ٧٥٠ – ٧٥١ م ، وتكون بداية هذه الزعامة – من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين المسلمين – فى عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م .

ويتضح خطأ تحديد مؤرخى الاسلام السابقين لتاريخ وفاة بلاجيوس ، ليس فقط بسبب عدم مسايرته لتحديد المدونات والنقوش اللاتينية ، وانما لمناقضة هؤلاء المؤرخين انفسهم فى ذات الوقت ، لأنهم يجعلون تاريخ ظهور بلاجيوس على مسرح الأحداث السياسية ، وبداية زعامته فى عهد والى الأندلس عنبسة بن سحيم (٣) اى فيما بين عامى ١٠٣ – ١٠٧ هـ / ٧٢١ – ٧٢٦ م ، واذا ما اضفنا تسع عشرة

---

(١) انظر · Chron. Sebastiani, p 4 81 ; Cron. Rotense, p 615 ; Chron. Albeldense, p 451 No 50 ; Cron. Alfonso III, p 67 ; Chron. Léonaise, p 390.

(٢) انظر · المقرى عن الرازى ، نفح ، ٦ ص ٨٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٧٩ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٦٣ ، وانظر ايضا · مؤنس ، فجر ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، على حبيبة ، مع المسلمين فى الأندلس ، ص ١٢٧ ،

(٣) انظر · المقرى عن الرازى وابن حيان ، ٦ ص ٨٣ ، ٤ ص ١٥ .

سنة هى مدة زعامة بلاجيوس – طبقا لنفس المؤرخين المسلمين ايضا – فلا بد ان تكون وفاته فيما بين عامى ١٢٢ – ١٢٦ هـ / ٧٤٠ – ٧٤٣ م وليس عام ١٣٣هـ / ٧٥٠ – ٧٥١ م ، اى بفارق يقدر باحدى عشرة سنة تقريبا .

ومن ناحية اخرى ، فان هؤلاء المؤرخين المسلمين قد حددوا مدة زعامة فافيلا – خليفة وابن بلاجيوس – وخليفته الفونسو الأول بعشرين عاما تنتهى فى عام ١٤٢ هـ (١) / ٧٥٩ – ٧٦٠ م . واذا اضفنا هذه العشرين عاما الى عام وفاة بلاجيوس فى ١٣٣ هـ / ٧٥٠ – ٧٥١ م الذى حدده نفس المؤرخون ، فلا نصل الى عام ١٤٢ هـ / ٧٥٩ – ٧٦٠ م وانما الى عام ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م ، اى بفارق احدى عشرة سنة ايضا .

ومن ناحية ثالثة ، فان نفس المؤرخين المسلمين يتفقون مع امثالهم اللاتين فى تحديد مدة زعامة بلاجيوس وفافيلا ثم الفونسو الأول من بعدهما بتسع وثلاثين سنة ، وان يجعلون نهايتها فى عام ١٤٢ هـ (٢) / ٧٥٩ – ٧٦٠ م ، وهو تاريخ وفاة الفونسو من وجهة نظرهم ايضا ، فان المؤرخين اللاتين (٣) والنقش الخاص بمقبرة الفونسو ذاته(٤) يجعلون نهايتها فى عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م اى بفارق عامين ، ناتج عن اعتبار المؤرخين المسلمين بداية زعامة بلاجيوس مع بداية ولاية الوالى عنبسة بن سحيم فى أوائل عام ١٠٣ هـ / ٧٢١ م ، فى حين يجعلها المؤرخون اللاتين منذ بداية

(١) انظر . ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٧٩ – ١٨٠ ، القلقشندى ، صبح ، ٥ ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٢) انظر . اعلاه .

(٣) انظر Chron. Sebastiani, p 482 ; Cron. Rotense, p 616 ; Chron. Lusitanum, p 402 ; Chron. Léonaise, p 391 ; Cron. Alfonso III, p 117.

(٤) ونصه : «AQVI YAZE EL CATOLICO Y SANTO REI DON ALONSO EL PRIMERO I SV MVGER DONA ERMENISENDA ERMANA DE DON FAVILA QVIEM EVZEDIO GANO ESTE REI MVCHAS VITORIAS A LOS MOROS FALECIO EN CANGAS ANO DE 757.» انظر . Somoza, Op Cit, p 482

تمرده قرب نهاية ولاية الحر بن عبد الرحمن ، اى فى اواخر عام ٩٩ واوائل ١٠٠ هـ / ٧١٨ م .

وبعملية حسابية بسيطة لما سبق يتضح ان هناك حوالى ثلاث عشرة سنة زائدة فى تحديد مؤرخى الاسلام لتاريخ وفاة بلاجيوس، عن تحديد مؤرخى اللاتين ، وهى مدة نتجت عن خطأ واقع فى روايات المؤرخين المسلمين انفسهم . ولكى تستقيم رواياتهم وحساباتهم من ناحية، ولتتفق مع روايات وحسابات المؤرخين والنقوش اللاتينية من ناحية اخرى ، يقتضى الأمر تعديل تاريخ وفاة بلاجيوس من عام ١٣٣ هـ / ٧٥٠ – ٧٥١ م الذى يحدده المؤرخون المسلمون الى عام ١١٩ هـ / ٧٣٧ م .

وقد انزلق صاحب نص فتح الأندلس فى مثل هذا الخطأ الحسابى المضلل دون أن يتنبه اليه ، اذ انه حدد مدة حكم بلاجيوس بسنتين فقط ، بدأتا بانتصاره على قوات الوالى عنبسة بن سحيم فى موقعة كوبادونجا ، وأضاف انه حين وفاة بلاجيوس فقد خلفه ابنه فافيلا فى الحكم حتى عام ١٣٣ هـ (١) / ٧٥٠ – ٧٥١ م .

وبغض النظر عن كون ذلك المؤرخ قد خالف جمهرة المؤرخين المسلمين والمسيحيين على السواء ، فضلا عن الوثائق اللاتينية ذاتها ، التى اطالت مدة حكم بلاجيوس الى تسع عشرة سنة وقصرت مدة حكم ابنه بعامين فقط ، فان المؤرخ يبرز بنفسه خطاه . ذلك انه اذا كان قد احتسب اجمالى

(١) أنظر . مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٦ . ونص روايته كما يلى : « وقام علج خبيث من أعيانهم فى أيام عنبسة هذا بأرض جليقية ، اسمه بلاية بن فافلة ، على من كان يملك اطراف جهته من العرب فنفاهم منها ، فملك سنتين ، ثم ملك ابنه فافله بعده الى سنة ثلاث وثلاثين ومائة هلك » . وهنا يجب ملاحظة أن جليقية انما كانت تعنى عند المؤرخين المسلمين بعامة اقليم اشتوريس . كما ان قيام بلاجيوس فى ايام الوالى عنبسة (١٠٣ – ١٠٧ هـ / ٧٢١ – ٧٢٥ م) لا يعنى تحديد بداية ثورة بلاجيوس وانما بالأولى تحديد تاريخ الصدام بينه وبين قوات الوالى عنبسة فى معركة كوبادونجا فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، وكانت الثورة قد بدات قبل ذلك بنحو ثلاث سنوات كما اوضحنا منقبل .

مدة حكم هذين الزعيمين باحدى وعشرين سنة ، بدات بمعركة كوبادونجا اى فى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، او على حد تعبيره فى ايام الوالى عنبسة ، وانتهت فى عام ١٣٣ هـ / ٧٥٠ – ٧٥١ م ، فاننا اذا طرحنا هذه الاحدى وعشرين عاما من عام ١٣٣ هـ ، فنصل الى عام ١١٢ هـ / ٧٣٠ م ، وهو عام لا يقع فى نطاق مدة حكم عنبسة – كما يذكر المؤرخ – وانما فى مدة حكم خليفته .

ومن الناحية الأخرى ، فاذا اضفنا الاحدى وعشرين عاما الى عام ١٠٣ هـ / ٧٢٢ م ، وهو عام موقعة كوبادونجا ، فلا نصل الى عام ١٣٣ هـ وانما الى عام ١٢٤ هـ فقط . وفى كلتا الحالتين يتأكد لنا خطأ حسابات المؤرخ المذكور .

اما ابن الخطيب – الذى يعتمد على مدونة الفونسو العاشر اللاتينية – فقد اتفق مع باقى المدونات اللاتينية فى تحديد بداية زعامة بلاجيوس بعام ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، وان جعلها لمدة ثلاث عشرة سنة فقط بدلا من تسع عشرة . واتفق معها فى تحديد مدة زعامة ابنه فافيلا بعامين ، وان جعلها أيضا تنتهى عام ١١٤ هـ (١) / ٧٣٢ م وليس عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م . اى بفارق يقل عن تحديد المدونات اللاتينية الأخرى بحوالى ست او سبع سنوات ناتجة عن تقليل مدة حكم بلاجيوس ، وهو تقليل لا نستطيع تبريره .

وعلى كل ، فانه بوفاة بلاجيوس يتغلب حب وولاء سكان اشتوريس اللاتين والجرمان على كل شىء حتى على تقاليدهم ، واختاروا بالاجماع ابنه فافيلا Favila ليخلفه فى زعماتهم (٢) ، وذلك بطريقة تلقائية

---

(١) انظر . تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ Antuna, Una Version, pp 117. 130-131.

(٢) تتفق المدونات اللاتينية والاسلامية على استخلاف فافيلا لأبيه ، اما مؤلف مدونة سيلوس Chron. Silense اللاتينية فلا يشير قط الى فافيلا هذا ، متخطيا اياه ، وجاعلا الفونسو الأول هو خليفة بلاجيوس مباشرة ، انظر . Florez, 17 p 276 ; Huici, Op Cit, 2 p 54 وقد ساير المقرى هذا التخطى ، انظر . نفح ، ٤ ص ١٦ س ٢ .

دون أن يعهد بلاجيوس لابنه من بعده كما يذهب البعض (١) ، او دون أن يفكر وقتذاك فى اتباع نظام وراثى ، وان كانت هذه السابقة سترسى تقليد حق وراثة الابن لأبيه ، وهو تقليد سيراعى تطبيقه – فيما بعد – فى المملكة الأشتورية التى قامت هناك ، اذ على الرغم من ان عرشها كان انتخابيا فانه انحصر فى اسرة معينة هى اسرة الفونسو الأول – زوج ابنة بلاجيوس – وسلالته من بعده ، فصارت ملكية انتخابية مثلما كانت مملكة القوط البائدة .

وللأسف فلم تخص المدونات اللاتينية بأسرها فافيلا Favila الا بترجمة قصيرة لم تتجاوز أسطرا تقل عن عدد انامل اليد الواحدة ، ولا تنسب اليه اى اسهام او انجاز فى المجال العسكرى ضد المسلمين ، وتعلل فتور هذا النشاط الحربى وتوقفه فى عهده بقصر مدة زعامته التى لم تتعد العامين(٢) ، ونعتقد انه ليس بمبرر كاف ، اذ كثير ما تنجز مهام ضخمة فى فترة اقصر ، مثلما كان الحال مع بعض ولاة الأندلس المسلمين . والأولى القول انه لم يكن لديه اهتمام كبير بأعمال البطولة فى ميدان الحرب(٣) ، ولا أمل فى توسيع ممتلكاته على حساب المسلمين ، خاصة وكان يعاصره الوالى عقبة بن الحجاج ١١٦ – ١٢١ هـ / ٧٣٤ – ٧٣٩ م ، الذى كان – على حد تعبير المؤرخين المسلمين – (٤) يجاهد العدو ويلح عليهم بالحرب ، وكان ذا نكاية للعدو وشدة . فأحس فافيلا بالعجز أمام قوة المسلمين آنذاك ، وآثر السلامة وتحاشى القيام باى عمل عسكرى من شأنه أن يثير غضبة عقبة عليه أو يلفت انتباهه نحوه .

---

(١) انظر : Risco, Op. Cit, 37 p. 356; Danham, Op. Cit, 4 p. 47; Cotarelo. Op Cit, p 27.

(٢) قارن : Chron. Sebastiani, p.481 No 12; Cron. Rotense p. 615; Cron. Alfonso III, p 67 No 12, p 115 No 12.

(٣) أنظر . Scott, Op Cit, 1 p 356

(٤) قارن : ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٩ ، المقرى عن ابن بشكوال ، نفح ، ٤ ص ١٨ .

وعلى العكس فقد استسلم فافيلا ـ كما تذكر المدونات اللاتينية ـ للتافه من الأمور (١) ، ووجه نشاطه لاشباع هوايتــه فى تعقب الحيــوانات البرية واصطيادهــا ، فحق لمؤلفى مدونة سباستيان Chron. Sebastiani (٢) ومدونة الفونسو الثالث Cron. Alfonso III (٣) القول بانه لــم يحدث فى عهــده شىء يستحق التسجيل التاريخى على الاطــلاق .

وأغلب الظن أن ما كان يستحق التسجيل التاريخى وقتذاك عند هؤلاء المؤرخين اللاتين ، هو الانجاز العسكرى وأمر مقاومة المسلمين ، اذ نسمع عن انجاز لفافيلا من نوع آخر ارتبط باعمــال معمارية دينية ، فاقام فى عام ٧٣٧ م / ١١٩ هـ كنيسة الصليب المقدس كمــا أشرنا من قبل .

وفى العام الثانى من زعامة فافيلا ، قضى نحبه فى غابات منطقة كانجاس Cangas De Onis فى احدى رحلات صيده العابثة ، حيث تملكه فيهــا دب ومزقه اربا(٤) ، فدفن مع زوجته فروليبا Froleba بنفس الكنيســة التى كان قــد اقامهــا . ثــم اقيمــت كنيســة اخــرى فى نفس مكــان مصرعه ، عرفت بكنيسة سان بدرو دى بلانويبا San Pedro de Villanueva وهى التى زين بابها الرئيسى فيما بعد بنقش يمثل آخر مشــهد من مشــاهد حياة فافيلا وحادثة مصرعه التراجيدية(٥) .

وقد اتفق المؤرخــون اللاتين على تحــديد تاريخ وفاة فافيــلا Favila فى عام ٧٣٩ م / ١٢١ هـ ، مع أنهم اختلفوا فى مــدة زعامته ، فيفهم من بعضهم

---

(١) قارن Chron. Albeldense, P 451 No 51; Chron Sebastiani, P 481 No. 12; Chron. Léonaise, P 390 No. 8; Cron. Rotense, P 615; cron Alfonso III, pp. 67, 115.

(٢) Ed. Florez, 13 p 481 No. 12.

(٣) Ed. Villada, p 67 No. 12.

(٤) انظر . Chron. Sebastiani, p 481; Cron. Rotense, p 615; Chron. Albeldense, p 451; Cron. Alfonso III, pp 67, 115. ابن الخطيب ،تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ .

(٥) انظر . Vigil, Op. Cit, I pp 309. 311; Watts, Op Cit, pp23 - 27; Danham, Op Cit, 2 pp 125 — 126; Quadrado, Op Cit, p 43.

انه لم يستكمل العامين(١) ، أو أنه أتمهما(٢) ـ وهو ما عليه رأى مؤرخى الاســلام الأوائل (٣) ـ فى حين أشــار البعض الآخر من المــؤرخين اللاتين انه زاد عليهما ستة أشهر(٤) ، أو ســبعة أشهر وعشرة ايام(٥) ، وهى مدد لا نستطيع أن نجزم بصحة أى منهــا لعــدم توفــر ادلة قاطعــــة ، وان كانت فترة زعامته لم تتعد عام ٧٣٩ م / ١٢١ هـ (٦) .

وبوفاة فافيلا Favila تنتهى ذرية بلاجيوس الذكور Pelaguis اذ لم ينجب من الذكور سوى فافيلا الذى لم يترك هو الآخر ـ على ما يبدو ـ وريثا (٧) يخلفه فى قيــادة الجماعة المسيحية المنــاهضــة فى أشتوريس ، ولــم يكن هنــاك والحــال كــذلك أولى بالأمر من الفنش أو اذفــونش

---

(١) أنظر . Cron. Rotense, P 615; Cron. Alfonso III, pp. 67, 115 Chron. Sebastiani, P 481.

(٢) انظر Chron. Albeldense, P 451; Chron. Léonaise, P 390; Annales Toledanos, ed. Huici, 1 P 367.

(٣) قارن : ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاســلامية ، ص ٣٢٣ . وان يجعل تاريخ وفاته عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٧٩ ، القلقشندى ، صــبح ، ٥ ص ٢٦٣ م المقرى عن الرازى ، نفــح ، ٦ ص ٨٣ ويجعلون تاريخ الوفاة حوالى عام ١٣٥ هـ / ٧٥٢ ـ ٧٥٣ م .

(٤) انظر Chron. Complutensis, Op Cit, 23 P 310; Chron. Compostellanum, Op Cit, p 325; Huici, Op Cit, 1 p 52, 82.

(٥) انظر . Cron. Profetica, ed. Moreno, P 628.

(٦) يوافق معظم المؤرخين المحــدثين على هــذا التحــديد ، أنظر على سبيــل المثال Caveda, Op Cit, P 32; Williams, Op Cit, 10 P 40; Bruke, Op Cit, I p 135; Bleye, Op Cit, 1 P 477; Scott, Op Cit, 1 P 356; Lévi-Provençal, Histoire, I P 63; Barrau-Dihigo, Recherches, P 136.

، وان كان الدكتور مؤنس مقتنعا بتحديد المصادر الاسلاميــة لتاريخ وفاته بحوالى عام ١٣٤ هـ / ٧٥٢ م ، ويعتقــد انه الأصح ، انظر . فجر ، ص ٣٤٢ .

(٧) تصمت المــدونات اللاتينيــــة عن ذكر لعقب له ، وان كان بعض المؤرخين المحدثين يعتقدون انه انجبابناء يجهلون اسماءهم او ابنين كانا صغــارا ، قارن : Cotarelo, Op Cit, p 27 No. 1; Coppée, Op Cit, 1 pp 412 — 413.

(الفونســو الأول Alfonso I) ابن الــدوق دون بطــره(١) (بدرو ـ بطـرس Petrus) وكان قـد خلفــه فى حكــم دوقيــة قانطــابرية (كنتبرية) Cantàbria المجاورة لأشتوريس من ناحية الشرق ، وكان من أصل ملكى قوطى كمـا ذكرنا ، وزوجا لابنــة بلاجيوس (٢) الوحيدة ـ أخت فافيلا(٣) ـ التى تدعى ارمسندا Hermesinda .

ومجمل القول ، فانه رغم ما بذله مسلمو الأندلس من جهــد فى استكمال فتح ايبيريا ، فانهم عجزوا حتى عــام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م عن فتح بردوليـــا Bardulia الواقعة فى غربيى اقليم كنتبرية باقصى شمال ايبــيريا ، كمـا عجزوا عن استعادة السيطرة على ما يجاوره غربـــا فى اقصى شرقيى اشتوريس منذ أن استقل به بلاجيوس فى عام ٧٢٢ م / ١٠٣ هـ ، وكان تجاور هاتين المنطقتين من عوامـل تقـارب مسيحييهـا وتعاونهم ضـد المسلمين فى الأندلس فيما تلى ذلك من اعــوام ، وكان التاريخ على وشـك أن يسطـر لمسيحيى هاتين المنطقتين اتجاها آخر مســتقلا عن المسلمين فى الأندلس منـذ ذلك الحــين فصـاعدا ، بسـبب اختــلاف المســلمين وتنــاحرهم وتشــتت أهــوائهم .

---

(١) انظر . ابن الخطيب ، تاريخ أسبانيا الاسلامية ، ص ٣٢٣ ، ويشير أنه يسـمى بالقاطوليقى لمعرفته بأصول شريعة الروم المسمى علمها عندهم قاطوليقى اى كاثوليكى .

(٢) انظر : ابن الخطيب ، نفس الصفحة والمكــان ، وانظر أيضــا . Chron. Albeldense, p 451; Chron Silense, p 276; Chron. Léonaise, p 390 No. 7,9; Cron. Alfonso III, p 115; Cron. Rotense, p 615; Annales Toledanos III, 23 p 415.

(٣) انظر . نقش شــاهد مقبرة الفونســو الأول الذى يورده Somoza ويتضمن اسمهــا وانهــا اخت فافيلا وزوجــة لألفونسو الأول الذى لقــب بالكاثوليكى . انظر . Gijon, p 482

محتويــات الكتــاب

